القسم الثانى

المثقفون المعاصرون
فى المجتمع اليمنى

الفصل الرابع

معالم البناء الطبقى فى المجتمع اليمنى

قبل الدخول فى تحليل موضوع فئة المثقفين فى المجتمع اليمنى كنموذج بارز لأوضاع مثقفى البلدان النامية والمتخلفة بتحليل أكثر عمقا فى الفصول القادمة من هذا القسم سنتناول أولا فى هذا الفصل تحليل البناء الطبقى فى المجتمع اليمنى بصفة عامة ، وذلك حتى نستطيع أن نحلل فى ضوء ذلك أوضاع فئة المثقفين بوضوح أكثر · فنحن ندرك أن القاعدة العلمية المطلقة التى تحكم أوضاع أى مجتمع طبقى وفى أى مرحلة من مراحل تطور هذا المجتمع هى انقسامه عادة الى أقلية طبقية مسيطرة ومستغلة وأغلبية عامة مضطهدة ومستغلة ، وتظل الفروق فى الكيفيات والمضامين فروقا نسبية بالنسبة للأقلية الطبقية المسيطرة والمسيطرة عليها معا ، كأن تكون ذات مضمون اقطاعى أو برجوازى أو رأسمالى من جهة ، وأن تكون الأغلبيات الطبقية والشعبية ذات مضمون فلاحى فى الأساس حينما تكون الطبقة الاقطاعية هى المسيطرة ، وعمالى بالدرجة الأولى حينما تكون الطبقة البرجوازية والرأسمالية هى المسيطرة ، وذلك وفقا لطبيعة التطور والمرحلة التاريخية التى يمر بها هذا المجتمع أو ذاك من جهة أخرى ·

والفرق النسبى الآخر الذى لا يؤثر على القاعدة المطلقة السابقة ، هو أنه غالبا ما يوجد تداخل اجتماعى وتاريخى بين النماذج المختلفة للطبقات المسيطرة والمسيطر عليها ، اضافة الى بعض النتوآت والتشوها المؤقته التى قد تحجب الرؤية الحسنة لهذه الحقيقة وتعمق فاعليتها وحركتها الجدلية الصحيحة الى حد ما وهى تشكل ما يعرف فى النظرية العلمية بالخصوصيات والمميزات الذاتية التى قد يتميز بها مجتمع عن مجتمع آخر أو أمة عن أمة أخرى وبحدود نسبية أيضا ، وذلك على نحو ما لاحظنا فى الفصل السابق عن أنماط التشوهات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الحديثة المتمايزة فى كل من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية والتى نجمت عن الغزو والسيطرة الاستعمارية القادمة من الخارج والطبقات والفئات الاقطاعية والكمبرادورية المتحالفة معها فى الداخل ·

وبناء عليه نستطيع القول بالنسبة للمجتمع اليمنى الذى نحن الآن بصدد البحث عن ملامح بنائه الاجتماعى والطبقى، نستطيع القول - بديهيا - بأنه ينقسم الى طبقات مسيطرة وطبقات مضطهدة ومسيطرة عليها من ناحية ، وان الصفة التقليدية الغالبة لمضمون هذا البناء الطبقى هو المضمون الاقطاعى للطبقة المسيطرة والفلاحى للطبقة المضطهدة من جهة ثانية ، وان متغيرات وتداخلات حديثة قد حدثت وما تزال تحدث بين هذه الطبقات التقليدية وبين نشوء طبقات جديدة ذات مضامين عمالية وبرجوازية مشوهة من جهة ثالثة، وان هناك الكثير من النتوآت والتشوهات الاجتماعية والثقافية التى ما تزال تؤثر على تحقيق الرؤية الحسنة لعلاقات المجتمع الاقتصادية والطبقية الصحيحة من جهة رابعة · وفى ضوء هذه الفروض الأربعة ومن خلالها سوف نحاول تشخيص ملامح البناء الاجتماعى والطبقى فى المجتمع اليمنى فيما يلى :

الطبقة الاقطاعية التقليدية :

لقد كانت هناك ولا تزال فى الشطر الشمالى من الوطن وفى الشطر الجنوبى أيضا حتى عهد قريب طبقة اقطاعية مسيطرة فى مقابل طبقة فلاحية مضطهدة منذ زمن طويل ، استطاعت أن تطبع قوى الانتاج وعلاقات الانتاج بطابعها الاقتصادى وايدولوجياتها السياسية والثقافية منذ ما يزيد على ألف عام ، اذا ما استثنينا بعض الظواهر المحدودة فى الزمان والمكان التى شكلت مجرد حالات رفض سياسى واجتماعى لما هو موجود ورغبة فى تحقيق ما هو أفضل منه على أساس اصلاحى ووطنى وثورى فى بعض الأحيان ، كما حدث بالنسبة لحركة على بن الفضل فى القرن الرابع الهجرى ذات النزعة الثورية والاشتراكية الواضحة ، ومن بعده بفترة من الزمن دولة الصليحيين التى أعادت تطبيق خط الجناح المعتدل للحركة نفسها بأفق أصلاحى ووطنى(١) · وما عدا ذلك فقد كانت الأحداث والتطورات دائما تعبر عن مجرد صراعات وخلافات فى اطار نفس الطبقة على فوز فرد أو عدة أفراد بأوفر نصيب ممكن من الامتيازات السياسية والاقتصادية أكثر من غيره وتكريس مصالح الطبقة ككل ·

ولو أننا قمنا بمراجعة سريعة للتاريخ المعاصر لهذه الطبقة خلال المائة

---

(١) راجع سلطان أحمد عمر : نظرة فى تطور المجتمع اليمنى ، دار الطليعة ببيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٠ ، ص ٥٣ و ٥٤ ·

عام الماضية وحتى عام ١٩٦٢ نوجدنا أن ما دار من صراع بين النفوذ التركى وبين بيت حميد الدين ، أولا ثم فيما بين بيت حميد الدين أنفسهم مع بعضهم البعض بعد انفرادهم بالسلطة أو مع بعض البيوتات الاقطاعية المنافسة من نفس الطبقة ، كبيت الوزير وبيت الأمير وبيت الأحمر ... الخ . هى خلافات على توزيع الامتيازات السياسية والاقتصادية داخل نفس الطبقة الواحدة ، نظرا لاحتكار أسرة بيت حميد الدين لمعظم هذه الامتيازات وانفراد كبيرهم الامام أحمد بها أخيرا ومن قبله الامام يحيى قرابة سبعين عاما كاملة، ولم يكن صراعا بين طبقة وأخرى ، وذلك حتى عام ١٩٦٢ حيث شكلت الثورة نقطة بداية حقيقية لتناقضات طبقية واجتماعية جديدة وحقيقية .

ولم يكن الامر فى جنوب الوطن يختلف عنه كثيرا بالنسبة للشمال ، سواء أن الاستعمار الذى فرض نفوذه المباشرة على هذه المنطقة من الوطن فى هذه الفترة خلال القرن المنصرم بعد رحيل الاتراك قد جعل من نفسه حكما فى توزيع وتنظيم مصالح هذه الطبقة والدفاع عنها فى نفس الوقت ، الأمر الذى قلل من حدة الخلافات فيما بين أفرادها ومراكز قواهـــا ، حيث قام بتقسيم المنطقة اداريا وسياسيا الى عدة امارات ودويلات صغيرة ونصب على كل منها أميرا أو سلطاننا يتصرف بالارض ومن عليها كيف يشاء ، فبدلا من أمير أو سلطان واحد فى الشمال ممثلا فى الامام أو الملك صار فى الجنوب أكثر من عشرة ما بين سلطان وأمير ، وكل المقدمات والنتائج كانت واحدة فى كل الشطرين(١) .

طبقة الفلاحين :

اننا لا نجد كبير عناء فى البحث عن ملامح هذه الطبقة الواسعة النطاق والعريقة المنبت فى مجتمعنا ، سوى الاشارة الى أنه بالاضافة الى كونها قد شكلت وما تزال دائما طبقة الاغلبية الساحقة فانها من باب أولى كانت ولم تزل تشكل التجسيد الحقيقى لوجود المجتمع وتاريخه القديم والجديد ، وان هذه الطبقة فى مجتمعنا تتمتع بكثير من المميزات والخصوصيات الايجابيـــة اذا ما قورنت بغيرها فى مجتمعات أخرى عربية وغير عربية ، والتى يهمنـــا الاشارة اليها هنا ، ذلك أنه بالرغم من أن هذه الطبقة التى ظل وما يزال يتكون منها غالبية المجتمع بأسره قد منيت بنماذج مختلفة من أشد نماذج

(١ مكرر) راجع عبدالفتاح اسماعيل : كتابات مختارة حول الثورة الوطنية الديمقراطية وآفاقها الاشتراكية . دار الفارابى ببيروت ، ١٩٧٩ . ص ٢١٣ الى ٢١٦ .

التسلط الاقطاعى تخلفا وسوءا ، من أئمة ومشايخ وسلاطين وأمراء منذ زمن طويل ، ودأب هذا التسلط على فرض أسوأ نماذج الثقافة والتفكير الاقطاعى على الواقع الاجتماعى بمساعدة ودعم التسلط الاستعمارى المباشر فى جنوب الوطن ، والذى كان يبارك فى الريف ـ كما تذكر أحد وثائق الثورة الوطنية الديمقراطية ـ كل ما من شأنه ان يعمق ثقافة الاقطاع المتخلف من اساطير وخرافات تزرع الخنوع والاتكالية(٢) · الا ان هذه الطبقة الفلاحية رغم ذلك لم تصب بكسور اجتماعية أو تشوهات ثقافية ونفسية عميقة من جراء ذلك على غرار ما لاحظناه بالنسبة لأوضاع هذه الطبقة فى المجتمع المصرى مثلا ·

فاذا كانتطبقة الفلاحين فى المجتمع اليمنى قد اضطرت مختـارة وغير مختارة للاستسلام السياسى والاقتصادى الى حد كبـير والثقافى الى حد ما لطبقة الاقطاع منذ زمن طويل الا أنها ـ حقيقة ـ لم تستسلم وجدانيا ونفسيا وثقافيا بصفة عامة ، حيث كانت ولم تزل تمتلك الوعى بذاتها والاحساس بالظلم الواقع عليها ، وقادرة على ممارسة الرفض الاجتمـاعى بصفة دائمة والرفض السياسى المباشر من وقت لآخر · ان هذه الطبقة رغم كل ما لحق بها من ألوان القهر والظلم والتجهيل والتضليل لم تفقد يوما زمام المبـادرة الاجتماعية والنفسية والمعنوية على الأقل تجاه نفسها ، ناهيك عن المبـارات الاقتصادية والسياسية أيضا ، ولم تفقد شيئا من مقومات الاعتزاز بالنفس تجاه الطبقية الاقطاعية المسيطرة ·

وذلك هو الأمر الذى حال دون تغلغل الثقافة والفكر الاقطاعى بـكل دلالاته الميتافيزيقية والخرافية والأسطورية المنحرفة فى أعماق هذه الطبقة وفى واقع المجتمع القومى بصفة عامة ، على غرار ما حدث فى بعض المجتمعات العربية والاسلامية ، كمصر مثلا حيث يحج آلاف من البشر يوميا ومئـات الآلاف سنويا الى مقابر موتاهم وأضرحة بعض الأشخاص الوهميين كالسيد الحسين والسيدة زينب فى القاهرة ، والسيد البدوى فى طنطا وأبوالعباس المرسى فى الاسكندرية ومئات وآلاف غيرهم أقل شهرة فى كل منطقة تقريبا من أرض وادى النيـــل ، لكى يشكون اليهم حزنهم وشقائهم ومشـاكلهم ويطلبون منهم البركة والرحمة والحل والعدل الذى افتقدوه والذى لن يأتى بهذه الطريقة(٣) ·

---

(٢) الثورة الوطنية الديمقراطية فى اليمن (سلسلة وثائق) دار ابن خلدون ببيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٢ ، ص ٢٦ ·

(٢٣) راجع د· سيد عويس : حديث عن الثقافة ، مكتبة الانجلو المصرية بالقـاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٤٤ و ٤٥ ·

وكذلك ما يحدث دائما وعلى مدار العام فى النجف وكربلاء فى العراق ، وما يشبهه فى ايران وبعض مناطق الخليج العربى والباكستان .. الخ .

حيث لم تنجح الطبقات الاقطاعية فى اليمن فى تكريس ثقافة وفكر بهذه الدرجة الحادة ، أو جعلها تغترب بحيالها بهذا الشكل الباثيولوجى اقطاعى من هذا الطراز فى وجدان الطبقة الفلاحية والواقع الاجتماعى ككل المرضى ، اذا ما استثنينا بعض الظواهر الجزئية المحدودة ، أو ما يتصل بهذه الدرجة الحادة ، أو جعلها تغترب بحياتها بهذا الشكل الباتيولوجى بفكرة التمييز السلالى لمن كانوا يسمون أنفسهم « بالسادة » وادعاء انتسابهم الى الرسول ومطالبة المجتمع بموجب هذا الادعاء « الفاسد عنميا » بالعديد من الامتيازات الأرستقراطية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والواجبة الأداء والمراعاة « دينيا » والتى من بينها تحريم تزويج بناتهم لمن لا يتمتع بشرف هذا النسب الوهمى(٣) .

وبالرغم مما كانت قد وصلت اليه هذه الظاهرة من السعة والانتشار المعزز بالسلطة السياسية لبيت حميد الدين الا أنها قد بدأت بالانهيار السريع بصفة تلقائية بعد ثورة عام ١٩٦٢ ، وتميل اليوم الى أن تصبح موضع سخرية اجتماعية تماما ، رغم أنه ما يزال هناك من يؤمن بها ويدافع عنها ويطبقها ولو بصورة غير مباشرة من كلا الطرفين بوعى أو بدونه .

خلاصة الأمر أن الطبقة الاقطاعية فى المجتمع اليمنى اذا كانت قد نجحت فعلا فى فرض سلطتها السياسية واستغلالها الاقتصادى لفترة طويلة على طبقة الفلاحين وعلى المجتمع بصفة عامة الا أنها لم تنجح كثيرا فى توطيد فكرها وثقافتها بنفس الدرجة رغم محاولاتها اليائسة والمستميتة. كما أن هذه الظاهرة والخاصية شبه المتميزة بالمبادرة الايجابية وعدم الاستسلام المطلق والانصياع للميتافيزيقيات لدى الطبقة الفلاحية فى المجتمع اليمنى بصفة عامة ، والتى يمكن اعتبارها ميزة وخصوصية ذاتية ينميز بها

(٣ مكرر) لابد وأن نلاحظ أن هذه الفكرة المتعلقة بدعوى الانتماء السلالى وغيرها من مجمل الأفكار الاقطاعية والاستعمارية التى تؤمن بالتفرقة والتمييز العنصرى والسلالى . قد أصبحت من الأمور التى لا يقرها العلم ولا يدعمها الواقع ، وفكرة الانتماء لعلى بن أبى طالب التى انتشرت فى العالم الاسلامى هى واحدة من هذه الأفكار الموروثة والخاطئة ، لأن أساس الرابطة التى جمعت بين من ينتسبوا لأنفسهم هذا الادعاء الفاسد هى رابطة سياسية وطبقية فى الأساس ، بدأت فى عهد على بداية راديكالية ووطنية لمعارضة السلطة الأموية ، وتحولت من بعده الى ظاهرة مرضية ومنحرفة تقوم على الخرافة .

المجتمع اليمنى عن كثير من المجتمعات الى حد ما ، هذه الظاهرة لم تكن محكومة بالصدفة والتلقائية التى تفتقر الى التفسير العلمى ، بل انها ترتكز فى الأساس على أسباب تاريخية وحضارية وعوامل اقتصادية وجغرافية وبيئية ونفسية ضاربة الأعماق والجذور فى الواقع الاقتصادى والجغرافى والتاريخى منذ المراحل الأولى التى عرف فيها المجتمع نفسه على هذه الرقعة من الأرض(٤) ٠

البرجوازية الطفيلية :

النشوء البرجوازى فى المجتمع اليمنى هو نشوء حديث شأنه فى ذلك شأن معظم مجتمعات البلدان النامية والمتخلفة ولا تتعدى بذوره الأولى بالنسبة لليمن المائة عام المنصرمة ، والمرتبط أساسا بنشاط التجارة والاحتكارات الرأسمالية الدولية فى ظل السيطرة والنفوذ الاستعمارى ، وبالرغم من التعارف الشائع لتسمية هذا النشوء الطفيلى « بالبرجوازية كمفهوم طبقى » الا أن مثل هذا المفهوم فى تقديرنا على الأقل مشكوك فيه الى حد كبير ولا ينطبق على المفهوم والتعريف العلمى للطبقة البرجوازية التى عرفتها أوروبا منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى آخره ، وربما يكون اطلاق مصطلح ومفهوم « الكمبرادور » الذى يعنى بالعربية الوسيط أو أداة النقل والتوصيل الذى بدأ يشيع حديثا ، هو أكثر صوابا واقترابا من الموضوعية ، لأن انغراس الرأسمالية الدولية فى البلدان النامية والمتخلفة قد حال حتى الآن دون أية امكانية لنشوء طبقة برجوازية حقيقية فى هذه البلدان منذ زمن بعيد وحطم كل مقومات امكانية وجودها بسهولة ، وخلق فى الوقت نفسه هذه التشوات أو الفئات والشرائح الطفيلية التجارية المتكاملة مع الاحتكارات الرأسمالية الدولية والمرتبطة بها ١٠٠٪ ، والتى نطلق عليها غالبا اسم « البرجوازية » ، وأحيانا « الكمبرادورية » ، وذلك كبديل مشوه ومعوق لامكانية نشوء طبقة برجوازية حقيقية بالمعنى العلمى والتاريخى ٠

لقد رغبنا فى ايراد هذا المفهوم هنا بايجاز حتى لا يتبادر الى ذهن القارىء العزيز ونحن نتحدث عن ما نطلق عليه ولو مجازا « البرجوازية الطفيلية » فى مجتمعنا اليمنى بأننا نتحدث عن طبقة برجوازية حقيقية بالمعنى العلمى ، بل اننا بصدد الحديث عن شرائح وفئات كمبرادورية

---

(٤) يمكن العودة الى مزيد من التفاصيل حول هذه النقطة ومعرفة دلالاتها الى كتابنا التراث الشعبى وعلاقته بالتنمية فى البلاد النامية ، دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمنى ، وبالذات الفصل الثامن ، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ، ١٩٨٠ ٠

وطفيلية مرتبطة بالخارج ومقطوعة الصـــلة الاقتصادية والوطنية أيضـــا بالداخل ٠

فهذه الفئات التجارية الطفيلية قد وجدت فى مدينة عدن بالذات منذ وقت مبكر ، ومنذ اللحظة الأولى لفرض السـيطرة الاستعمارية البريطـانية المباشرة على المنطقة منـــذ أكثر من مائة وأربعـين عاما ضمن تخطيط مسبق من قبـل الادارة الاستعمارية ، أساسه التركيز على جعل مدينة عدن محطة خدمات نشطة ذات أغراض وأبعـاد محددة سياسيا وعسكريا واقتصاديا ، حيث تمثل البعد السياسى فى فرض الهيمنة المباشرة على منطقة من أشـــد مناطق العالم اثارة وحيوية قديما وحديثا ، بالتحكم فى مدخل البحر الأحمر وممرات العبور البحرى القـــديم والجديد بين الشرق والغرب من خـــلال السيطرة على هذه المنطقة ، كما أن البعد الاستراتيجى العســكرى للمنطقة قد جاء انعكاسا للبعد السياسى ، حيث جعلت بريطانيا من هذه المنطقة بعد أن بنت فيها أضخم قاعـــدة عسكرية لها فيما وراء البحار ما يشبه بـرج المراقبة الذى يحرس ويدافع عن كل مصالح الامبراطورية فى الشرق بأسره والتى لم تكن لتغيب عنها الشمس كما يقال(٤) ٠

أما البعد الاقتصادى وهو الأهم بالنسبة لموضوع بحثنا وما نرمى الى تحليله بتفصيل أكثر فى هذه النقطة فقد تمثل أولا : فى جعل مدينة عدن وميناؤها الاستراتيجى الدولى محطة عالمية لخدمات الشحن والتفريغ والتموين والصيانة للأساطيل البحرية التجارية والعسكرية الغـربية التى تضاعفت حركتها عشرات المرات بين الشرق والغرب خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وتمثل ثانيا : فى جعل المدينة أشبه بمركز تموين تجارى ضخم لتزويد كل مناطق الداخل فى الشمال والجنوب على السواء بمختلف السلع الصناعية الاستهلاكية التجـــارية المستوردة من جهة والحصول على بعض المحاصيل الزراعية والمـــواد الأوليـة التى يحتاجها جنود القـــاعدة البريطانية فى عدن أو غيرها من مناطق النفوذ البريطانى فى مناطق آســيا وافريقيا وأسواق أوربا نفسها ٠

وهنا ومن واقع هذه القضية نشأت وتطورت شريحة برجوازية تجارية وكمبرادورية طفيلية يمنية وغير يمنية فى مدينة عدن وحدها ، نذرت نفسها للقيام بعملية استقبال السلع الاستهلاكية المصنعة فى الغرب والقيام بنقلها

(٤ مكرر) راجع بصفة عامة حول هذا الموضوع فردهولايد : الصراع السـياسى فى الجزيرة العربية ، دار ابن خلدون ، بيروت ، ترجمة حازم صاغيه وسعد محيو ، ١٩٧٨ ، ص ١٠٨ الى ١١٤ ٠

وتوزيعها الى كل منـــاطق الداخل على مستوى الشمال والجنوب خـــدمة للشركات والوكالات التجـــارية الأجنبية الممركزة فى الخارج ومن خـــلال فروعها فى مدينة عدن · ولقد استطاعت هـــذه الشريحة أن تجنى أرباحا هامشية لا بأس بها من جراء عمليات التوزيع والسمسرة والوساطة والمرابحة وتكرار عمليات بيع السلعة الواحدة أكثر من مرة قبل وصولها الى المستهلك فى أعماق المناطق الحضرية والريفية فى الداخل ، كما استطاعت من خلال كل ذلك أيضـــا وبمرور الوقت أن تجعل من نفسهـــا ظاهرة اجتمـــاعية واقتصـــادية ذات دلالات طبقية برجوازية مليئة بالتشـــوهات الاقتصـــادية والاجتماعية على مستوى الشمال والجنوب ، نظرا لارتباطها الكامل بالشركات والاحتكارات التجارية الدولية ١٠٠٪ وانحصار نشاطها كمجرد حلقة أخيرة فى سلسلة النشاط الاقتصادى والتجارى لتلك الاحتكارات ، اضـــافة الى انقطاع كل صلة اقتصادية لهذا النشوء الطبقى البرجوازى المشوهة بالأوضاع الاقتصادية التقـــليدية فى الداخل من استثمار زراعى أو صناعى أو غيره ، متخذا من مدينة عـــدن مرتكزه الأســـاسى وموقع انطلاقه الوحيد فى اتجـــاه الداخل والخارج معا ·

وبالرغم من أن النفوذ السياسى المباشر للادارة الاستعمارية لم يمتـــد الى معظم مناطق الداخل فى الوسط والشمال واقتصر على مناطق الجنوب ، الا أن كل الحسابات السياسية والاقتصادية بالذات كانت قد وضعت سلفا بالنسبة لمدينة عدن بحيث تؤدى أغراضها الاقتصادية كاملة كمحطة لتموين مناطق الداخل بأكملها شمالا وجنوبا بالسلع التجارية الاستهلاكية منذ زمن بعيد ، فلقد كانت مدينة عدن هى المحطة الرئيسية لنشاط العمالة والتجارة لكل اليمنيين حيث لم يلجأ أى من الادارة الاستعمارية فى الجنوب أو الأمام فى الشمال الى اتخاذ أى اجراءات سياسية أو ادارية من أى نوع للحد من انتقال الأفراد بين صنعاء وتعز وعدن أو أى منطقة أخـــرى ، حيث لم يطبق أى نوع من بطاقات المرور أو جوازات السفر أو غيرها ما عدا بعض التحريات السياسية والضرائب الجمركية فى نقاط العبور ، بل لقد كان أبناء المناطق الداخلية فى جنوب الوطن يجدون صعوبة أكثر فى الوصـــول الى هـــذه المدينة بسبب تعدد الامارات والسلطانات الاقطـــاعية المنفصلة عن بعضها ووجود نقـــاط حدود وعبور بين كل منهـــا تقتضى الرقابة والتفتيش ودفع الضرائب والمكوس الاقطـــاعية عنـــد العبور من سلطنة لأخـــرى لصـــالح الاستعمار والسلطات المحلية للسلاطين والأمراء(٥) ·

---

(٥) المرجع السابق ، ص ١١٤ الى ١١٨ ·

ولقد تمثلت سياسة العزل بين مدينة عدن وكل مناطق الداخل شمالا وجنوبا فى قصر كل هذه الخدمات التجارية والمصرفية والبريدية وغيرها على هذه المدينة فقط دون سوها من مناطق الداخل فى الجنوب والشمال التى حافظ كل من الاستعمار والامام على أوضاعها التقليدية وعزلتها عن العالم الى حد كبير من جهة وابراز هذه المدينة (مدينة عدن) بما توفر فيها من حالة انتعاش وخدمات مختلفة كنتيجة وضرورة لازمة لكل المقدمات السابقة ، وكما لو كانت مدينة خارج الحدود اليمنية تماما وذات سمات اقتصادية واجتماعية متميزة الى حد كبير(٥) ٠

نشوء الطبقة العاملة الحديثة

اذا كانت البذرة الأولى للنشوء البرجوازى الحديث قد انطلقت من مدينة عدن على نحو ما سبق ملاحظته ، فان البذور الأولى لنشوء الطبقة العاملة اليمنية الحديثة قد بدأت كذلك فى هذه المدينة أيضا كنتيجة حتمية ومنطقية لكل التحولات التى طرأت على هذه المدينة وضواحيها فى ظل الادارة الاستعمارية البريطانية طوال قرن ونيف من الزمن ، وذلك نتيجة لافتقار هذه الادارة واحتياجها لقطاع واسع من اليد العاملة لتغطية مختلف الخدمات اللازمة لعمليات الشحن والتفريغ والتموين البحرى فى ميناء عدن ، ومعامل تكرير البترول التى أقيمت فى المنطقه لنفس الغرض ، اضافة الى متطلبات القاعدة العسكرية البريطانية الضخمة من جهة والادارة المدنية الاستعمارية من جهة أخرى لقطاع واسع من المستخدمين الدائمين ، وغير الدائمين ، ناهيك عما شكلته المؤسسات والوكالات التجارية الأجنبية داخل المدينة وضواحيها من مراكز جذب واسعة لليد العاملة اليمنية المتوفرة والرخيصة التى وفدت من مختلف مناطق اليمن للقيام بمختلف الأعمال الخدمية والانشائية والتجارية من نقل وتفريغ وتخزين وصيانة وتوزيع وبناء ٠٠ الخ بكثافة عالية ٠

حيث تكون من خلال فاعلية هذه العوامل مجتمعة قطاع واسع النطاق من العمال والمستخدمين البسطاء الذين وفدوا بمفردهم من مختلف مناطق

(٥ مكرر) اننا مانزال نذكر جيدا حينما كان أى مواطن يمنى من صعدة وحتى حضرموت اذا أراد أن يراسل ابنه أو قريبه فى المهجر فى أوربا - أمريكا - الحبشة - السودان - جنوب شرق آسيا والوطن العربى نفسه وغيرها من مناطق العالم التى ينتشر فيها اليمنيون منذ زمن طويل وحتى اليوم فان عليه أن يذهب الى مدينة عدن أولا ليتمكن من مراسلتهم وتلقى ارسالياتهم أو الذهاب اليهم أو استقبالهم ٠٠ الخ ٠

اليمن بلا استثناء ، وهنـــا نود أن نؤكد حقيقة بديهية ربما غاب أو أسيء فهمها لدى البعض بحسن نية أو بدونها ، وهى انه اذا كانت هـذه المدينة قد استقبلت منذ وقت مبكر أفراد عاديين من مختلف منـــاطق اليمن ذوى أصـــول فلاحيـة وحرفيـة وتجـــارية محـــلية قديمة ، وتحولوا فى ظل الادارة الاستعمارية وتشجيعهـا الى شريحة برجوازية كمبرادورية حديثـــة نشطة . عمقت بذورها داخل هـــذه المدينة وحدها ، ومدت نشاطها الى كل مدينة وقرية فى مدن وقرى الوطن اليمنى بأسره على نحو ما سبقت الاشارة ، فان نشوء البـــذور الأولى للطبقة العاملة اليمنية الحديثة قد نبتت أيضـا فى هذه المدينه بنفس الطريقة ولنفس الاسباب وبكم وكيف أكثر اتســاعا وحيوية بالنسبة لهذه الطبقة التى كانت هى أكثر ارتباطا بأعماق القـــرية اليمنية والريف اليمنى كنه وتعبـــيرا عنـه الى حد كبير(٦) حيث ظل ألوف هؤلاء العمال يعيشون حياة مزدوجة ، فهم نصف عمال ونصف فلاحين فى ظل الادارة الاستعمارية .

ذلك أنه فى الوقت الذ كانت تحرص فيه هذه الادارة الاستعمارية كل الحرص على خلق شريحة برجوازية وكمبرادورية تجـــارية متفرغة لأعمـال استقبال السلع التجارية المستوردة وتوزيعها الى كل قرية وربط حياة هذه الشريحة بهذه العملية الطفيلية نهائيـا ، أو بالاحتكارات الدوليه على الاصح وقطع كل صلة لها بواقع الاقتصاد القومى والوطنى ، الا أن هـــذه الادارة كانت تقوم بعملية عكسية تماما بالنسبة للطبقة العاملة .

حيث كانت تعمل دائما وبكل الوسائل على الحد من وجود طبقة عاملة منقطعة عن الريف ومرتبطة بمواقع العمل ارتباط دائما فى هذه المدينة التى اتسع حجمها وخدماتها المحلية والدولية ، حيث كانت كل الاجراءات الخاصة بطريقة الاستخدام المؤقت والموسمى وعدم ربط العمـال بعقود عمل طويلة المدى وحقهم المباح فى ترك العمل فى أى وقت يشاءون مهما كانت صفة هذا العمل ، اضافة الى معـدل الأجور المنخفضة جـــدا وظروف السكن الرديئة فى صناديق الصفيح وأنقاض الخشب والدكاكين الصغيرة وفراغات العـراء الطلق مباشرة ، وعـــدم وجود أية ضمانات صحية واجتمـاعية أو تأمينات اجتماعية كافية ، كل ذلك قد أدى بصورة مباشرة وغير مباشرة الى عـــدم استقرار العمال فى المدينة وارتباطهم الدائم بمواقع العمل من جهة واستحالة قدرتهم على اصطحاب عائلاتهم للاقامة معهم فى مناطق العمل من جهة أخرى ، وهو الأمر الذى كان يضطرهم بصورة مباشرة وغير مباشرة الى ممارسة العمل الموسمى ، المؤقت ، مختارين وغير مختارين ، وجعل مسألة العمالة فى هذه

---

(٦) راجع فردهولايد : الصراع السياسى فى الجزيرة العربية ، ص ١٣٩ .

المدينة دائما مسألة هامشية تماما فى حياة القائمين بهـا ، وذات اهمية اقتصادية واجتماعية من الدرجة الثانية والثالثة بالنسبة لأساس وجودهم الحقيقى كفلاحين فى القرى والمناطق الريفية أو حرفيين ومستخدمين فى الأعمال الزراعية والمناطق الحضرية القديمة فى الداخل ٠

ولقد دأبت الادارة الاستعمارية على تكريس هـذه الوضعية الهامشية المشوهة لأوضاع اليد العاملة فى المنطقة والحيلولة دون استقرارها وارتباطها الدائم بمـكان العمل ، حتى لا ينفصل هؤلاء العمـال عن أصولهم الريفية ويشكلون نواة الطبقة العاملة المستقرة ذات ملامح وأبعاد سياسية واجتماعية واقتصادية محددة ، لأن من شأن مثل هذا الأمر لو حدث أن يثير الكثير من المتاعب للسلطات الاستعمارية وحلفائها الكمبرادوريين المتطفلين ويؤدى الى الحد من استغلالهم لهؤلاء العمال من جهة ، واثارة الوعى الوطنى والتحررى من جهة ثانية ، لا بالنسبة للاحتلال الأجنبى فحسب بل وبالنسبة لركائزه الاقطاعية القديمة من جهة وسماسرته « البرجوازيين والكمبرادوريين المرابين الجدد » من جهة أخرى ٠

ذلك أن الاحتفاظ بتوازن الوضع الهامشى لألوف هؤلاء العمال اليمنيين الذين ظلوا يتدفقون على هذه المدينة بين وقت وآخر قد حقق ثلاث نتـائج هـامة فى خـدمة الادارة الاستعمارية وحلفـائها الاقطـاعيين فى الريف والبرجوازيين الطفيليين فى المدينة ، وتتمثل هذه النتائج فى : خلق سوق رائجة لليد العاملة اليمنية لتلبية كل الخدمات والمنـافع التى كان يتطلبها هذا التحالف الثـلاثى من جهة ، والحيلولة دون تحولهم الى طبقـة عاملة مستقرة يمكن أن تتحـول بطبيعتها الى تيار سياسى وطنى لمناهضة هـذا التحالف الثلاثى المستغل لهـذه الطبقة وللمجتمع بأسره من جهة ثانية ، ثم خلق ثغرة ونقطة ضعف خطيرة فى أوسـاط الطبقة الفلاحية فى الريف من خلال تهميش هذا القطاع الواسع من قوتها المنتجة الذى لم يعـد يقوى على الاعتماد فى عيشه على الأرض الزراعية من جهة ثالثة ٠

وهذه السياسة الاستعمارية التى جعلت من مدينة عـدن وضواحيها تؤدى كل هذه المهام والوظائف المضرة والمشوهة لأوضـاع المجتمع بأسره شمالا وجنـوبا سياسيا واقتصـاديا واجتماعيـا لم تكن حـالة استثنائية للسياسة الاستعمارية تخص اليمن وحدها ، ولكنها لا تعدوا أن تكون حلقة حادة من سلسلة طويلة من مبدأ سياسى واقتصادى عام مارسته كل القوى الاستعمارية فى آسيا وافريقيا وأمريـكا اللاتينية ، كما سبق وأن أوضحنا فى فصل سابق ، حيث لم تكن عـدن لتختلف فى وظيفتها بالنسبة لليمن

عن بيروت بالنسبة لمنطقة الشام ، وهونج كونج بالنسبة للصين والمناطق المجاورة ، اضافة الى الكثير من المناطق الحضرية فى الموانىء ومناطق التعدين وزراعات التصدير المنتشرة بكثرة فى افريقيا ، والتى كانت الادارة الاستعمارية تقوم بفصل مثل هذه المناطق الضيقة عن الوطن الأم لكى يقوم بمثل هذه المهام المحددة والمفيدة للادارة الاستعمارية والمضرة جدا بالأوضاع الوطنية للمجتمع الأصلى ٠

ومع ذلك وبالرغم من كل المحاولات المستميتة للادارة الاستعمارية وحلفائها للحيلولة دون تكون بذور طبقة عمالية يمنية حديثة فى عدن ، الا أن تلك المحاولات لم تؤدى كل النتائج التى استهدفتها بالنسبة لهذه القضية ، ذلك أن الاستراتيجية العسكرية والسياسية والاقتصادية التى لعبتها المنطقة بحكم موقعها الهام بالنسبة للمصالح الاستعمارية المحلية والدولية قد فرضت على الاستعمار البريطانى أن يقيم فيها مرافق عسكرية واقتصادية برية وبحرية وجوية على درجة عالية من الأهمية والتعقيد والاتساع الذى يلبى كل الخدمات والمصالح الاستعمارية الدولية عبر المحيط الهندى وآسيا وافريقيا معا ، ابتداء باقامة ميناء عدن الدولى الضخم ومصافى البترول وانتهاء باقامة أضخم قاعدة عسكرية بريطانية فى منقطه ما وراء البحار تقريبا ، وهو الأمر الذى أدى بالضرورة الى وجود استقرار نسبى لقطاع محدود على الأقل من مئات وألوف العمال فى المدينة وضواحيها ، ونمو قدراتهم وخبراتهم المهنية ، ووعيهم بمصالحهم الوطنية والسياسية والقومية بصورة ملحوظة ، وكنتيجة حتمية وجدلية لطبيعة هذه المتغيرات ٠

حيث لعبت هذه المجاميع الطليعية للطبقة العاملة اليمنية الحديثة أدوارا سياسية واجتماعية وقومية فعالة فى اذكاء الحس والوعى القومى فى المنطقة ومناهضة الاحتلال الأجنبى والمطالبة بالاستقلال من جهة ، ثم شاركت بفاعلية وطنية وثورية مع الأحزاب السياسية الوطنية والثورية فى حرب التحرير الشعبية التى بدأت من الريف وانتهت الى أعماق مدينة عدن نفسها ، وزاد دور هذه الطليعة الطبقية أهمية وحجمها اتساعا بعد الاستقلال وحتى اليوم ، وذلك على نحو ما سنرى من خلال الفقرة التالية التى سنناقش من خلالها المتغيرات الجديدة فى البناء الاجتماعى والطبقى لمرحلة ما بعد عام ١٩٦٢ فى المجتمع اليمنى ٠

متغيرات البناء الطبقى فى اليمن بعد عام ١٩٦٢ :

ان الأوضـــاع السياسية والاجتماعية والطبقية السابقة والتى ظلت سـائدة قرابة قرن ونيف من الزمن قد تعرضت لعـــدة متغيرات جوهرية وأساسية خلال العشرين عاما الأخيرة ومنذ قيـام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٦٢ بالذات ، والتى يمكن ايجازها فى : اتســـاع دائرة الطبقة الاقطاعية ونفوذها السياسى والاجتماعى فى الشمال وتقلص هـــذه الدائرة ومصالحها الى حد كبير فى الجنوب من جهة ، وانتقال مراكز نشاط البرجوازية والكمبرادورية التجارية من عـدن الى الحديدة وصنعاء وتعـــز وتوسيع نشاطها أيضا من جهة ثانية واتساع دائرة الطبقة العاملة ونفوذها السياسى والاقتصادى فى الجنوب وظهور بذور هذه الطبقة وجيوبها الأولى فى مناطق الشمال من جهة ثالثة ، ثم دخـــول طبقة الفلاحين فى الشمال والجنوب كطرف سياسى واجتماعى فعال فى كل المتغيرات والأحداث الجديدة وحتى الآن ٠

ونظرا لمـا لكل هذه المتغيرات الجديدة من دلالات اجتماعية وسياسية واقتصادية بالغة الأهمية فاننـــا سوف نتناول كل منها بشىء من التفصيل والتحليل الضرورى من خلال الفقرات الآتية :

أولا ـ اتساع دائرة الطبقة الاقطاعية فى الشمال وتقلصها فى الجنوب

لقد تمكنت الطبقة الاقطـــاعية التقليدية فى شمال الوطن من توسيع دائرتها الاجتماعية وتطوير نفوذها السياسى والاقتصـــادى بصورة ملحوظة بعد سنوات قليلة من قيام الثـــورة التى لم تكن بأفقها القومى والبرجوازى الوطنى الصغير لتقوى على القضاء على هذه الطبقة الاقطاعية العريقة فى المجتمع اليمنى أو حتى مجرد الحد من طموحاتها الا لسنوات قليلة فقط بعد قيـام الثورة ، ولا تتجاوز الثـــلاث سنوات الأولى وبفعل ظروف قومية ومعنوية ونفسية لا أكثر ، حيث ما كاد عام ١٩٦٧ أن ينصرم حتى كانت هذه الطبقة قد أوشكت على التخلص من كل تأزماتها النفسية والمعنـــوية التى سببتها الثورة بأفقها القومى والعاطفى الحاد ، وصارت على مقربة من مواقع السلطة السياسية والتى أحكمت قبضتها عليها نهائيا بعد انقلاب الخامس من نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، وأقصى كل المشاغبين السياسيين بالنسبة لها ، والقيام بتوزيع كل المصالح والامتيازات السياسية والاقتصادية بين أفرادها ومراكز قواها على نطاق أكثر اتساعا وشمولا ٠

وبذلك تحقق أعظم حلم تاريخى فى حيـــاة هذه الطبقة بـكل أبعادها وتحالفاتها الأرستقراطية والقبلية والعشائرية والعقارية والسلالية ، والذى كانت تحلم به وتناضل من أجله منذ زمن طويل ، حينما كانت تناضل من أجل اسقاط الديكتاتور الاقطاعى الوحيد ممثلا فى « الامام الملك » الذى كان يحتكر لنفسه كل شىء ولا يسمح لأفراد هذه الطبقة الا بالفتات التافه ، وذلك لكى تتمكن من احلال نفسها محله واعادة قسمة كل هذه المصالح والامتيازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية قسمة أقرب الى العـــدل والمساواة بين أفرادها فقط كما سبقت الاشارة ٠

واستطاعت بذلك أيضـــا أن تحقق من خلال ثورة ٢٦ سبتمبر التى فجرها الخط القومى والبرجوازى الوطنى الصغير ما فشلت هى فى تحقيقه من خلال حركاتها السياسية عام ١٩٤٨ و ١٩٥٥ ٠

وبينما كانت الأحداث منذ منتصف الستينات تسير فى هذا الاتجـاه فى شمال الوطن كان هنـــاك اتجـاه شبه عكسى فى جنوب الوطن ، حيث استطاعت تجـــارب وممارسة حرب التحـرير الطويلة أن تستفز قطاعات الشعب الواسعة من فلاحين وعمـــــال ومثقفين وطنيين فى مواجهة سياسية وعسكرية شاملة ذات أبعاد اجتماعية وطبقية أكثر عمقا ، لا بالنسبة للمحتل الأجنبى فحسب بل وبالنسبة للتحالف الاقطاعى السلاطينى والكمبرادورى المرتبطة مصالحه بهذا الاحتلال نفسه الأمر الذى أدى الى وضع هذه الطبقة الاقطاعية فى قفص الاتهام والخيـانة الوطنية تماما من أول لحظة ، وسهل امكانية تقليص نفوذها ومحاصرة مصالحها السياسية والاقتصادية أثناء حرب التحرير والقضاء عليها نهائيا بعـد الاستقلال وتعميق الخط الثورى التقدمى فى السلطة ٠

وذلك هو المتغير الأساسى الأول الذى حدث بعد ثورة سبتمبر عام١٩٦٢ فىالشما ل وثورة الرابع عشر من أكتوبر فى الجنوب وتحقيق الاستقلال ، أما اذا سؤلنـا عن كل الأسباب والعوامل المـادية والتاريخية التى أدت الى حدوث هـذا المتغير بهـذا الشـكل حتى الآن ، فان ذلـك هو ما سنتناوله فى الفصل القادم الذى سنتناول فيه حدث الثورة نفسه وتحليل كل أبعاده السياسية والطبقية والقومية ٠

ثانيـا ـ انتقـال نشـــاط البرجوازية التجـارية من عـــدن الى الحديدة وصنعاء وتعـــز :

ان نفس المتغيرات والأسباب التى أثرت على أوضاع الطبقة الاقطـاعية فى الشمال والجنوب على نحو ما سبقت الاشارة قد عكست نفسها بوضوح

على أوضاع النشوء الطفيلى للطبقة البرجوازية التجـــارية التى ظل نشاطها مركزا ومحاصرا فى مدينة عدن وحدها بفعل تخطيط مسبق من قبل الادارة الاستعمارية ، وذلك حينما تهاوت هـــذه القلعة الدولية الحصينة لنشـاط الاحتكارات التجارية والامبريالية العالمية وحلفائها من الكمبرادوريين المحليين والدوليين تحت ضربات حرب التحرير الشعبية المنتصرة التى أفقدتها توازنها السياسى والاقتصادى المشوهة بصورة أكثر عمقا وفاعلية مما حدث للطبقة الاقطاعية السلاطينية فى الريف ، وذلك من خلال كل الاجراءات الاشتراكية والثورية التى تمت حتى الآن ووضعت حدا نهائيا لوضع هذه المدينة اليمنية (عدن) المشوه الذى ظلت تتسم به كمجرد سوق للسمسرة وأعمال المراباة وتوزيع السلع الاســـتهلاكية الرأسماليـــة المســـتوردة فى كل منـــاطق الداخل(٦)

فما كان من تلك الطبقة البرجوازية الطفيلية التى ترعرعت فى هـــذه المدينة منذ زمن بعيد الا أن شدت رحالها بسرعة فى اتجـــاه مناطق الشمال الداخلية (الحديدة وصنعاء وتعـــز) حيث توجد مواطنها الأصلية من جهة وأسواق تجارتها المباشرة من جهة أخرى ، مستفيدة بكل المتغيرات التى تمت فى شمال الوطن منذ عام ١٩٦٢ بصفة عامة وما حدث بعـــد انقلاب الخامس من نوفمبر ١٩٦٧ بصفة خاصة ، والذى لم يهيىء لهذه الطبقة مجرد مكان للاتواء والحمـــاية من المد الوطنى والثـــورى المتصاعد فى الجنوب فحسب بل وتوفير منطلقات اقتصادية وسياسية لنشاطها أكثر اتساعا وربحا فى أكثر من مدينة ومنطقة فى الشمال بدلا من المحـــاصرة التى ظلت تفرض عليهـــا فى الماضى داخل مدينة عدن وحدها من قبل الاستعمار والامام على السواء ، حيث تأكد ــ بعد انقلاب نوفمبر الرجعى ــ اقامة تحالف منظور وغير منظور بين الطبقة الاقطاعية التى أصبحت فى قمة السلطة فى صنعاء بعد عام١٩٦٧ ، وبين هذه الشرائح البرجوازية والتجـــارية التى كانت قد بدأت فى تأكيد وجودها كحقيقة اجتماعية واقتصادية فى شمال الوطن منـــذ عام ١٩٦٢ ، وأكدت هذا الوجود بعـــد عام ١٩٦٧ بسرعة أكثر كطبقة برجوازية طفيلية واسعة النطاق وذات مضمون سياسى واضح مشـــارك فى السلطة ، بعـــد أن فقدت كل مواقعها ومصالحها القديمة فى الجنوب ٠

(٦ مكرر) راجع الثورة الوطنية الديمقراطية فى اليمن (سلسلة وثائق) ص ٩١ -

وهنا نستطيع أن نؤكد حقيقة هامة وهى أن متغيرات الأحداث التى سارت فى اتجاه سلبى بالنسبة لثورة السادس والعشرين من سبتمبر فى الشمال منذ منتصف الستينات لأسباب كثيرة سنتناولها فى الفصول القادمة ، وكادت أن تفرغها من مضمونها الوطنى بعد انقلاب الخامس من نوفمبر ، لم تكن قد خدمت الطبقة الاقطاعية فحسب ولكنها قد فتحت أفقا جديدا لطبقة كمبرادورية طفيلية جديدة ، وأحالت هزيمتها وخسارتها فى عدن الى انتصار وربح أكبر فى صنعاء والحديدة وتعز وغيرها ، من خلال التحالف المنظور والغير منظور لهذه الطبقة مع الطبقة الاقطاعية ومشاركتها فى السلطة وتنسيق كل جهودهما وتركيزهما فى اتجاهين رئيسيين : الأول الامعان فى تصفية كل الجيوب والمفاهيم والتوجهات الوطنية التى كانت قد فرضتها ثورة السادس والعشرين من سبتمبر والدأب المستميت على افراغ كلمة « الثورة والجمهورية » من كل مضامينهما الوطنية ، أما الاتجاه الثانى فهو القيام بعملية التفاف ومحاصرة للنظام الوطنى الذى بدأ يتوطد سياسيا واجتماعيا على امتداد الشطر الجنوبى من الوطن ، استعدادا للانقضاض عليه واجهاضه ، من خلال الدعاية والتشويه السياسى وبث الفرقة الوطنية والاجتماعية والدينية لأبناء المجتمع الواحد ودفعهم الى عمليات الاقتتال والحرب المباشرة وغير المباشرة بين أبناء البلد الواحد ، من أجل تحقيق الأهداف الخفية السابقة ٠

ولقد وجد هذا التحالف الكمبرادورى والاقطاعى الرجعى والمتخلف الذى امتد على مستوى الشمال والجنوب فى الداخل والخارج من أجل استكمال افراغ مفهوم الثورة والجمهورية فى الشمال من كل مضامينهما ، واسقاط النظام الوطنى فى الجنوب بعد عام ١٩٦٧ ، وجد له الكثير من الأنصار والمؤيدين والمدعمين له بكل الامكانيات من قبل القوى الاستعمارية والامبريالية العالمية ورؤس حرابها المتقدمة من النظم الرجعية فى المنطقة العربية المجاورة التى فشلت فى تحقيق أغراضها من خلال الحرب الملكية الجمهورية طوال الست سنوات الأولى من عمر الثورة والتى خرجت منها بخفى حنين ، فعمدت الى دعم كل المصالح السياسية والطبقية فى الداخل ذات المصلحة المباشرة فى افراغ الثورة والنظام الجمهورى من كل مضامينهما الصحيحة ، من ملكيين وجمهوريين على السواء ، تحت علم الثورة واسم الجمهورية ٠

ثالثا - تعاظم دور الطبقة العاملة فى الجنوب وظهور بوادرها فى الشمال :

ان المتغيرات الجديدة التى طرأت على أوضاع الطبقة الاقطاعية والبرجوازية الكمبرادورية فى المجتمع اليمنى على نحو ما سبق قد وجدت امتدادها وتأثيرها بالنسبة للطبقة العاملة اليمنية أيضا بمقاييس لا تقل عن سابقتها ان لم تكن أكثر عمقا ودلالة ، فبعد انتصار الثورة فى جنوب الوطن وتعميق توجهها الثورى والتقدمى الاشتراكى الناجز تعاظم بفعل ذلك دور الطبقة العاملة وتبدلت أوضاعها على كل المستويات ، فانتصار الثورة ببعدها التقدمى والاشتراكى الناجز وتعميق هذا البعد أكثر فأكثر لم يؤدى الى مجرد حل مشاكل هذه الطبقة وازالة الظلم والاستغلال عنها والقضاء على تشردها وحالة التهميش الحياتى التى ظلت تعانيه فى ظل الاحتلال فحسب بل لقد شقت طريقها بعمق وحيوية نحو المشاركة فى السلطة وادارة الانتاج الاشتراكى الجديد وترسيخ ملكيته العامة من خلال مؤسساتها النقابية والسياسية المختلفة وطلائعها الثورية والتقدمية .

فلقد تمكنت الثورة من القضاء على كل أدوات وعلاقات الانتاج القديمة القائمة على اقتصاد الاستيراد السلعى والخدمات الطفيلية التابعة للخارج فى نطاق مدينة عدن وضواحيها فقط ، واستبدلتها بوسائل وعلاقات انتاجية جديدة مرتكزة على التنمية الزراعية والصناعية واستثمار الموارد المختلفة على أسس اشتراكية وعلى امتداد الوطن كله وبعيدا عن كل أشكال تبعية الاحتكارات الرأسمالية الأجنبية ، وبالتعاون البناء مع المنظومة الاشتراكية الحليف الحقيقى لتقدم وتنمية المجتمعات النامية والمتخلفة وتحررها من التبعية الرأسمالية الأوربية ، بحكم عداء هذه المنظومة للاستعمار والرأسمالية وتناقضها معها سياسيا واقتصاديا وأيديولوجيا ، الأمر الذى يجعلها تقف فى خط وجبهة نضالية واحدة ذات مصلحة مشتركة مع الدول النامية والمتخلفة فى مواجهة الاستعمار والرأسمالية من جهة وما تفرضه على هذه الدول النامية من حالة الاستغلال والتبعية من جهة أخرى .

حيث لم تؤدى كل هذه التحولات الجذرية التى تمت فى اليمن خلال الثلاثة عشر عاما الماضية بالنسبة للطبقة العاملة الى مجرد تغيير أوضاعها القديمة وتملكها لوسائل الانتاج التقليدية ومشاركتها الفعالة فى السلطة فحسب على نحو ما سبقت الاشارة بل لقد أدت الى اتساع نطاقها الكمى وتنامى قدراتها الكيفية ، حيث امتدت مظلتها الاجتماعية الى كل المناطق

والمدن الداخلية كافراز جدلى مباشر لامتداد الاجراءات والتحولات الاشتراكية والتنموية العميقة فى هذه المناطق من جنوب الوطن التى شهدت ثورة حقيقية فى مجال الزراعة الحديثة والصناعة والتعدين والصيد .. الخ . بعد أن ظلت محاصرة ومعزولة فى مدينة عدن زمنا طويلا كما سبقت الاشارة أيضا ، والتى كانت تفد اليها بين وقت وآخر من الأرياف ثم تغادرها وكما لو كانت مدينة خارج الحدود الوطنية لليمن .

كما أن هذه التحولات لم تقضى نهائيا على الارتباط الهامشى المؤقت للعمال بمواقع عملهم وانتاجهم فحسب كما كانت تخطط لذلك الادارة الاستعمارية دائما ، بل لقد صار هؤلاء العمال هم الذين يمتلكون هذه المواقع نفسها وكل أدواتها الانتاجية ملكية جماعية ويديرونها بأنفسهم ادارة اشتراكية وديمقراطية مباشرة .

ولقد كان لكل هذه الاجراءات والتحولات الاشتراكية والاجتماعية وغيرها وما وصلت اليه من عمق اقتصادى واجتماعى كبير أبعد الأثر فى تمكين الثورة والسلطة الوطنية فى جنوب الوطن من تصفية كل الجيوب الاقطاعية والكمبرادورية فى الداخل ، والتصدى لكل المحاولات الرجعية والامبريالية المستميتة فى عدائها للشعب اليمنى بأسره وأطماعها فى النيل من ثورته وسيادته ومصالحه الوطنية والقومية العليا فى الخارج .

وعلى نطاق الشطر الشمالى من الوطن كانت مواقع الطبقة العاملة الحديثة شبه معدومة قبل عام ١٩٦٢ اذا ما استثنينا بعض التجمعات فى ميناء الحديدة الذى تم اقامته بمساعدة الاتحاد السوفيتى ، وعمال النقطة الرابعة الأمريكية لبعض المشاريع الخدمية المحدودة كالمياه وشق الطرق الترابية فى تعز ، والتى لم يكن قد امتد العمر ببعضها لأكثر من عامين أو ثلاثة قبل قيام الثورة ، وكذلك مصنع الغزل والنسيج فى صنعاء الذى أقامته جمهورية الصين الشعبية فى مطلع الستينات بعد قيام الثورة مباشرة .

أما مجمل المتغيرات التى تمت بعد قيام الثورة فقد سارت فى مجملها فى اتجاه تنشيط وتوسيع مواقع هذه الطبقة بصورة مباشرة وغير مباشرة ، من خلال اقامة بعض المشاريع الوطنية التى تبنتها الثورة والانتعاش العام والسريع لاقتصاد التجارة والخدمات خصوصا ما يتعلق بأعمال البناء والطرقات والورش وأعمال الصيانة والتجهيزات والخدمات التجارية فى النقل والشحن والتفريغ فى الموانىء والمطارات والمراكز التجارية والتى اتسعت وتضاعفت طاقتها عشرات المرات فى السنوات الأخيرة ، نظرا لانتعاش

حركة الاستيراد والاستهلاك الواسع النطاق للسلع المستوردة ، خصوصا بعد عام ١٩٦٧ وابرام المصالحة الملكية الجمهورية وتوقف الحرب من جهة وانتقال مواقع الارتكاز للطبقة البرجوازية والكمبرادورية التجارية من عدن ومن الشطر الجنوبى بأكمله واعادة توزيع نفسها فى المدن الرئيسية فى الشمال (الحديدة ، تعز ، صنعاء) وتصعيد نشاطها الاقتصادى بحدة أكثر فى مجال التجارة والخدمات وبعض الصناعات الجزئية على نحو ما سبقت الاشارة ، الأمر الذى أدى بالضرورة الى انتعاش نسبى موازى فى حياة الطبقة العاملة كما وكيفا ٠

الا أنه بالرغم من الانتعاش الكمى والكيفى لأوضاع الطبقة العاملة فى كثير من المواقع فى شمال الوطن ونمو وعيها السياسى والوطنى منذ عام ١٩٦٢ وحتى الآن ، الا أنها ظلت وما تزال تعانى من حياة التهميش الاجتماعى بين القرية والمدينة وعدم الاستقرار والارتباط بمواقع العمل والانتاج بفعل نفس الأسباب التى كانت تعانيها فى الماضى فى عدن قبل الاستقلال وبفروق نسبية ، نظرا لما تقوم به شريحة البرجوازية الطفيلية والكمبرادور التجارى من عملية اضطهاد ورفض مطلق لأبسط حقوق هذه الطبقة العاملة ومطالبها الاجتماعية والقانونية ، أو حتى مجرد الاعتراف بوجود هذه الطبقة نفسه ، ومنحها حق اقامة المؤسسات النقابية الخاصة بها بأى شكل من الأشكال ، وذلك رغم وجود قانون رسمى للعمل ذى مضمون متواضع فى تنظيم علاقة العمال بأصحاب الأعمال وحقهم فى اقامة المؤسسات النقابية الخاصة بهم ، والذى صدر بعد قيام الثورة بفترة وجيزة وتحول بعد عام ١٩٦٧ الى مجرد حبر على ورق ، حيث يرفض أصحاب الأعمال الاعتراف بهذا القانون أو تطبيقه جملة وتفصيلا الا فى حدود لا تذكر ، تجاريهم فى ذلك وتتعاطف معهم السياسة العامة للدولة بوعى منها أو بدونه ٠ كما ان سياسة الباب المفتوح لهجرة الأيادى العاملة الى الخارج بالملايين منذ زمن بعيد من جهة ، وفتح باب الهجرة المضاوة الى الداخل لعمال وجاليات أجنبية بكاملها أخيرا من جهة أخرى ، لم يؤدى الى المزيد من تردى أوضاع الطبقة العاملة اليمنية فى الشمال وعدم استقرارها فحسب ، بل لقد عكس نفسه بصورة أكثر رداءة وسوءا على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع بصفة عامة(٦)

---

(٦) راجع بصفة عامة حمود العودى : التنمية وتجربة العمل التعاونى فى اليمن ، طبعة القاهرة ١٩٧٧ ، وبالذات ص ٣١ الى ٣٧ ٠

رابعا - بروز طبقة الفلاحين وتعاظم دورها السياسى والاجتماعى :

ربما يكون أهم متغير حديث فى حياة الشعب اليمنى بصفة عامة وأبرز خصوصياته الذاتية المعاصرة هو بروز طبقة الفلاحين كطرف سياسى واجتماعى مباشرة وذا فعالية ملحوظة فى سير الأحداث والتطورات الحديثة منذ عام ١٩٦٢ وما بعدها بقليل ، فلقد شكلت هذه الطبقة خط الدفاع الأول عن الثورة والجمهورية فى الشمال ومعها قطاعات واسعة من العمال والمهاجرين الذين ينتمون اليها أصوليا فى نفس الوقت ، من خلال انخراط مجاميعها الواسعة طواعية فى الحرس الوطنى والخدمة العسكرية كجنود وضباط فى الجيش والشرطة ٠

كما شكلت هذه الطبقة العمق الحقيقى لانطلاق حرب التحرير الثورية فى جنوب الوطن ضد الاحتلال الأجنبى وحلفائه الاقطاعيين والكمبرادوريين ٠ حيث سجلت طبقة الفلاحين اليمنيين الكثير من المواقف السياسية والتاريخية التى تجاوزت بها كل الحسابات والتقديرات السياسية والاجتماعية ، والتى لم يكن أولها هو الانخراط الجماعى فى سلك الحرس الوطنى طواعية وبصورة لم يسبق لها نظير دفاعا عن الثورة والجمهورية فى الشمال فحسب ، بل لقد قامت بالدور الأساسى فى حرب التحرير فى الجنوب ، التى شكلت هذه الطبقة الأرضية الأولى لانطلاقها العسكرى وأداتها وعمقها الاستراتيجى فى احراز الانتصار الحاسم وتحقيق التحولات الاشتراكية العظيمة التى تمت حتى الآن ٠ فاذا كانت السياسة البريطانية - كما يقول فرد هوليد - قد استندت الى استخدام المناطق القبلية « المستقرة » لاخضاع العمال المناضلين فى عدن ، الا أنها قد فوجأت باندلاع لهب الثورة فى المناطق الريفية ، وزاد بالتالى الدفق الثورة فى المدينة(٧) ٠

ونستطيع القول - كما يقول عبدالفتاح اسماعيل - بأن المعركة المسلحة من أجل السلطة السياسية والاستقلال الوطنى قد انطلقت من الريف فى الأساس لتلتحم بنضال الطبقة العاملة والمثقفين الثوريين وسائر الكادحين فى المدينة الذين كانوا يؤمنون بالنضال المسلح(٧) ٠

---

(٧) فردهوليد : الصراع السياسى فى الجزيرة العربية ، ص ١٤٦ ٠

(٧ مكرر) عبد الفتاح اسماعيل : كتابات مختارة حول الثورة الوطنية الديمقراطية وآفاقها الاشتراكية ، دار الفارابى بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٢١٥ ٠

ولقد كان لهذه الطبقة دورها التاريخي كذلك في حرب السبعين يوما التي ظلت فيها صنعاء عاصمة الجمهورية والثورية اليمنية بعامة محاصرة من قبل فلول الملكية والرجعية ومرتزقة الامبريالية العالمية والاستعمار ، وذلك حينما دافع أبناء هذه الطبقة من جنود وضباط وطلاب ومعهم العمال والتجار الوطنيين الصغار من أصحاب الدكاكين والورش والمطاعم وغيرهم عن هذه العاصمة الجمهورية بصلابة حتى النصر ، بعد أن تخلت عنها كل البؤر الاقطاعية القبلية والأرستقراطية وتجار الحروب والسياسة ، كما تحملت هذه الطبقة أيضا مسئولية جبهة أوسع نطاقا في تلك اللحظات التاريخية الحاسمة من حياة الشعب اليمني في الدفاع عن عاصمة الثورة والجمهورية وعن كل بقاع الوطن الحبيب ، وذلك من خلال تشكيل المقاومة الشعبية في معظم المناطق الريفية والتي لعبت دورا بالغ الأهمية في دعم مقاومة العاصمة ورفع معنوياتها وامدادها بالدعم المادي والمعنوي حتى النصر .

كما أن المراحل اللاحقة قد أثبتت بشكل أكثر وضوحا أن الفلاح اليمني والقرية اليمنية ليست مجرد عمق جمهوري وقومي وطني معادي للملكية والرجعية بكل مفاهيمها الاقطاعية والرجعية فحسب ولكنها كذلك تشكل عمقا ثوريا وتقدميا بالغ الأهمية والدلالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، طالما تجاهله أو جهله الكثيرون على الأصح من العناصر السياسية الوطنية المثقفة بوعي منهم أو بدونه ، حتى استطاعت المتغيرات السياسية والاجتماعية اللاحقة في شمال الوطن بالذات أن تجبرهم على الاعتراف بهذه الحقيقة واكتشاف أهميتها الاستراتيجية في النضال .

والمشكلة الأساسية التي عانت منها هذه الطبقة في كل مراحل حياتها السابقة وحتى عام ١٩٦٢ وما بعد عام ١٩٦٢ هو افتقارها الدائم لطليعة وطنية مثقفة تنبع من أوساطها وتلتزم بفكرها ومصالحها وطموحاتها المختلفة . ذلك أنه بالرغم من أن متغيرات ما بعد عام ١٩٦٢ قد حطمت منذ اليوم الأول للثورة حاجز العزلة التي فرضها الأئمة في الشمال والاستعمار في الجنوب على هذه الطبقة زمنا طويلا بحرمانها من التعليم أو الخروج من دائرتها الضيقة ، واستطاعت بفعل هذه المتغيرات أن تدفع بقطاع واسع من أبنائها الى ميدان التعليم والثقافة والجيش والسياسة والسلطة أيضا بعد قيام الثورة والتي كانت محرمة عليهم ، الا أن هؤلاء الأبناء الذين تحولوا بعد وقت قصير نسبيا الى سياسيين ومثقفين بشكل ما قد انفصلوا عن هذه

الطبقة نهائيا بحثا عن انتماءات سياسية وطبقية برجوازية واقطاعية أخرى بوعى منهم أو بدونه ، ولم تستطع طبقة الفلاحين أن تسترد منهم أحدا الى صفوفها كطليعة طبقية وطنية مثقفة لقيادة هذه الطبقة والتعبير عن مصالحها وفكرها والالتزام به منذ أوائل الستينات وحتى أوائل السبعينات ، حينما بدأ هذا الاتزان المشوه يتغير فى صالح هذه الطبقة وبدأت تسترد وتمتص بعض أبنائها وغير أبنائها من المثقفين الوطنيين الى صفوفها مختارين وغير مختارين ، لأسباب سياسية وثقافية وقومية مختلفة سوف نتعرض لها بالتحليل فى الفصول القادمة حينما نتحدث عن المثقفين اليمنيين من حيث النشأة والتطور والاغتراب ثم العودة الى الأصل ٠

ولقد أدى هذا الغياب والحرمان التام لطبقة الفلاحين فى شمال الوطن بالذات بعد عام ١٩٦٢ وحتى أوائل السبعينات من مثل هذه الطليعة الوطنية الثورية المثقفة والملتزمة بمصالح هذه الطبقة وفكرها ، أدى ذلك الى وقوع هذه الطبقة ووقوع الحركة الوطنية بعامة فى مزالق خطيرة وملابسات سياسية واجتماعية كانت لها أسوأ العواقب فى أكثر من موقف ، والتى يمكن حصرها فى الآتى :

(أ) ان الافتراض الأساسى الأول الذى افترضته واستسلمت له هذه الطبقة الفلاحية العريقة فى شمال الوطن منذ اليوم الأول لقيام الثورة بحسن نية هو أنه قد أزيح عن كاهلها كل أعباء ومظالم الطبقة الاقطاعية واستغلالها وقهرها السياسى والاجتماعى ، وراحت جماهيرها تتصرف منذ اليوم الأول على هذا الأساس وبعواطف قومية ووطنية متصاعدة وصادقة ، وفى حدود وعيها وامكانياتها السياسية والذاتية التى كانت ما تزال متواضعة من حيث النضج وحسن الرؤية الواضحة ، وبحكم طبيعة الظروف والحدود الطبيعية لامكانياتها كجماهير عامة فى فهم الأحداث وتقييمها ، حيث ساعدها على ذلك ودفع بها الى أقصى حد ممكن كرهها وعدائها القديم للطبقة الاقطاعية وسلطتها السياسية المستبدة من جهة ، وما أحاط بها من ظروف نفسية ومعنوية عامة بعد قيام الثورة مباشرة ، من خلال التوجه القومى والوطنى العام محليا وعربيا الذى كانت تعكسه أجهزة الاعلام المحلية والقومية بحدة وتهور لم يسبق له مثيل من الناحية الدعائية ، رغم أن أى شىء مما كان يقال نظريا لم يكن ليوجد له أى بعد عملى على الاطلاق ، الا بما لا يتعدى نسبة واحد فى الألف ، عوضا عن أن ما كان يقال كان يتجاوز ألف مرة حقيقة ما يمكن تحقيقه فى الواقع العملى والذى لم يحقق منه الا القليل وبالطرق غير المباشرة ٠

(ب) لقد كان ذلك الافتراض الذى دخل حيز التنفيذ والفعل بالنسبة للطبقة الفلاحية هو بحق أفضل ما يمكن أن يصل اليه وعى وادراك طبقة شعبية لمصالحها واختيار مواقفها الصحيحة بكل تأكيد ، ولقد كان الافتراض الثانى والمكمل للافتراض السابق هو أن تكون هناك طليعة وطنية وثورية مثقفة من داخل هذه الطبقة أو من خارجها تلتزم بفكرها وتتبنى مصالحها والدفاع عنها بوعى وادراك علمى صحيح لكى تقوم بما يشبه رأس الحربة المتقدمة فى قيادة هذه الطبقة وتحديد المعالم الحقيقية لخط سيرها الصحيح والمنسجم مع كل طموحاتها وتطلعاتها الجديدة ، ويزيح عنها حقيقة التسلط الاقطاعى والرجعى القديم الذى كان ولا يزال يتجسد من خلال جهاز القضاء الموروث والادارة المحلية والملاكين العقاريين الكبار والمشايخ بالوراثة .

الا أن سوء الفهم المطبق لدى العناصر الوطنية المثقفة فى السنوات الخمس الأولى من عمر الثورة بحكم تجربتهم وخبرتهم المتواضعة وسوء تربيتهم ومفاهيمهم السياسية الخاطئة قد حال بينهم وبين أن يقوموا بمثل هذا الدور التاريخى البالغ الأهمية ، وزج بهم فى متاهات جانبية وتطلعات برجوازية صغيرة ومثالية لا مكان لها فى أرض الواقع ، وحتى بالنسبة لعشرات المثقفين الذين جاءوا بعد الثورة من أوساط هذه الطبقة الفلاحية نفسها بعد أن حصلوا على قسط معين من التعليم والثقافة قد ذهبوا بعيدا عنها بحثا عن تطلعات برجوازية وانتماءات طبقية جديدة ، رغم استمرار عواطفهم وحنينهم اليها من وقت لآخر واعتقادهم بأنهم يعملون من أجلها . وسيتضح هذا الأمر بتفصيل أكثر عند تناول موضوع المثقفين بالدراسة والتحليل المتعمق فى الفصول التالية .

(ج) وبينما كانت هذه الطبقة الفلاحية قد استسلمت لذلك الفرض المنطقى بالنسبة لها والنابع من طبيعة وجودها ووعيها ومصالحها الطبقية وتصرفت فى ضوئه منذ اليوم الأول لقيام الثورة وبمساعدة كل الظروف السياسية والقومية المحيطة وأجهزتها الدعائية التى رافقت قيام الثورة(٨) بينما كان يحدث كل هذا على المستوى الشكلى والعاطفى لا أكثر وفى حالة غياب تام للفرض المكمل لما قبله بوجود طليعة ثورية تقود هذه الطبقة ، كان ولا يزال هناك طابورا سياسيا واجتماعيا واداريا واسع النطاق يغطى

---

(٨) راجع حمود العودى : المنظور العلمى للثقافة ، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣ م ، ص٢١٩ الى ٢٢٢ .

كل مراكز السلطة الرسمية وغـير الرسمية ذات الصلة المبـاشرة بطبقة الفلاحين وينتمي بلحمه ودمه الى الطبقة الاقطاعية القديمة وسلطتها السياسية والرجعية ويحمل فكرها وأيديولوجيتها الحقيقية من (العمال) التابعين للحكم المحلي والحكام المحليين التـابعين للقضاء والمشـايخ بالوراثة ووكلاء الشريعة وغيرهم ٠

حيث ظل هـذا الطابور الاقطاعي الرهيب كما هو دون أن يمسسه تغيير يذكر حتى الآن ، ظل يمارس كل صلاحياته النـابعة من طبيعة وعيه ومصالحه الطبقية الاقطـاعية والرجعية المتخلفة ويتجسد من خلال بقـائه واستمراره الاستمرار الحقيقي لسيطرة الطبقة الاقطاعية والرجعية بمفهومها الامامي والملكي ، واطلاق سلطاتها المباشرة بصورة أكثر بشـاعة في ظل الثورة والجمهورية على طبقة الفلاحين الذين حلموا بالحرية نظريا وافتقدوا ما تبقى لهم منها عمليا ٠ وهو الأمر الذى أدى الى اصابة جماهير هذه الطبقة الواسعة النطاق بالعديد من الاحباطات المادية والمعنوية نتيجة التناقض بين ما يقال وما يفترض رسميا وما ينفذ فعليا ، وأورثها الكثير من مشاعر اليأس وعدم الثقة بحقيقة التوجه الوطني نفسه ٠

(د) ان الطبقة الاقطاعية والرجعية ممثلة بهـذا الطابور السياسي والاجتماعي الواسع لم تنجح بمجرد الاحتفاظ بسيطرتها وسلطاتها التقليدية على نحو ما سبق على طبقة الفلاحين ، بل لقـد نجحت أيضا في عـزل هذه الطبقة ثقافيا واجتماعيا عن كل المؤثرات والتيارات السياسية والثقافية التي كانت قد بدأت وازدهرت في المـدن عن طريق نشوء العـديد من المنظمات السياسية القومية للمثقفين الوطنيين ، واستطاعت أن تعزل هذه التيارات عزلا تاما عن الطبقة الفـلاحية ، وتجعل منها شبحا مخيفا بالنسبة لهـذه الطبقة وبالنسبة للمجتمع ككل ، عن طريق التشويه والتحريف والكذب الذى يعتمد عليه فكر هذه الطبقة دائما ، حينما نجحت في الباس المفاهيم الوطنية والتقدمية والعلمية ثوبا غير ثوبها ومضمونا عكس مضمونها ، حينما تحولت الجمهورية الى كفر والاشتراكية الى اباحة الحقوق والأعراض والحرمات ، والثقافة والعلم الى الحاد وزندقة ،الى غير ذلك مما أبدعه ويبدعه دائما خيال هذه الطبقة، وطابورها الموروث هـذا في بلادنا حتى اليـوم ، والتي نجحت من خلالها في الزج بطبقة الفلاحين في مواقف مضادة لمصالحهم الحقيقية أكثر من مرة ، ابتداء من الحرب الملكية الجمهورية وحتى دعاوى واشاعات محاربة الالحاد والشيوعية ٠

(هـ) ان مرارة النتائج التى ظلت تفرزها الملابسات والتداخلات السياسية والاجتماعية السابقة فى شمال الوطن منذ عام ١٩٦٢ وحتى عام ١٩٦٧ تقريبا قد أدت رغم ثمنها الفادح الى نتيجة هامة ، هى أن طبقة الفلاحين عموما التى سحقتها الأحداث قد اقتنعت بأن افتراضها الأساسى الأول اذا لم يكن خاطئا وسابقا لأوانه فانه غير كاف بالمرة ، وأن الاحتكام اليه مسألة محفوفة بالمخاطر تماما ، وبدأت حقيقة تنتقل بوعيها من مجرد العداء للملكية والرجعية بمفهومها السياسى والاسمى (الامام والملكية) الى العداء بمفهومه الاجتماعى والطبقى تماما ، وأن مجرد احلال اسم الجمهورية بدلا من الملكية والرئيس بدلا من الملك لم يعد كافيا ولا مقنعا لحل المشكلة ، كما أنه لم يكن كافيا فى أى وقت مضى لتحقيق الطموحات والتطلعات المشروعة لهذه الطبقة وللشعب اليمنى بأسره ، ان لم يكن ذلك قد اتخذ كستار لمزيد من القهر والاستغلال لهذه الطبقة وللمجتمع بأسره .

وبدأت هذه الطبقة بحسها الوطنى والقومى تحاكم الأوضاع الجمهورية الراهنة بعد عام ١٩٦٢ وبعد انقلاب الخامس من نوفمبر بالذات محاكمة سياسية واجتماعية نقدية مفتوحة على كل المستويات ، ابتداء من عاقل القرية وشيخها بالوراثة حتى قمة السلطة ، وبشجاعة صاحب الحق وبيقين الممارس والمجرب وثبات المؤمن بضرورة التغيير والتحول الى الأفضل .

(و) انه بينما كانت الطبقة الفلاحية وغيرها من جماهير الشعب المحرومة من عمال وجنود وموظفين وبرجوازية وطنية صغيرة تتماثل لمثل هذا الموقف الجديد من واقع المعاناة والتجربة منذ أواخر الستينات حتى أوائل السبعينات كانت فئة المثقفين السياسيين الوطنيين قد فقدت آخر ورقة من أوراق تصرفاتها وفهمها الخاطىء بعد انقلاب الخامس من نوفمبر ، وصارت تحت وطأة التصفية والمطاردة الاقطاعية الشرسة تبحث عن أى مأوى أو موقع قدم جديدة لكى ترسى عليها سفنها المهشمة ، وبصورة عفوية وشبه تلقائية وجد هؤلاء المثقفون الوطنيون الذين انقطعت بهم السبل وضاقت بهم الممرات التى حلموا بالعبور من خلالها الى مجدهم الجديد والموهوم ، وجدوا أن قراهم ومزارعهم وأهلهم فى الريف لم تكن هى مواقع النجاة والمحافظة على البقاء الذى صار مهددا بالنسبة لهم فحسب ، بل لقد اكتشفوا فجأة الامكانية الهائلة لهذه الطبقة فى النضال الوطنى ، وأن لديها ما هو أكثر بكثير من مجرد تقديم قوارب النجاة وضمان حق البقاء المهدد ، وأن فى مقدورهم اعتمادا عليها أن يشكلوا مواقع انطلاق سياسية ووطنية جديدة وبالغة الاهمية والدلالة كطليعة وطنية مثقفة لهذه الطبقة وغيرها من الفئات

والطبقات الاجتماعية المحرومة والمستغلة فى المجتمع ، والذى كانت تفتقر اليه هذه الطبقة الفلاحية من زمن بعيد ٠

وبذلك حدث ولأول مرة أن اكتملت الدائرة المقطوعة منذ عام ١٩٦٢ بين طبقة فلاحية ذات وعى وتطلعات وطنية وثورية واضحة تفتقر الى طليعة سياسية وثورية ، وفئة من المثقفين السياسيين الوطنيين يناضلون بمفهوم خاطىء وبلا أرضية اجتماعية أو طبقية محددة ، حيث ما لبثت الامور أن تطورت بعد ذلك فى اتجاهها الصحيح وحتى الآن وبمقاييس من السرعة والكم والكيف فاق كل التقديرات القديمة ، والذى انعكست آثاره بوضوح على المستوى السياسى والاجتماعى بعد حركة الثالث عشر من يونيو عام١٩٧٢ وحتى الآن ٠

(ز) ان الشىء الوحيد والأساسى الذى يميز كل المتغيرات السابقة بالنسبة للطبقة الفلاحية فى شمال الوطن عما حدث فى الجنوب حتى أوائل السبعينات ، هو أن الثورة المسلحة ضد الاستعمار البريطانى ببعدها الاجتماعى والسياسى قد انطلقت من أوساط هذه الطبقة الفلاحية فى الريف أساسا ، وهو الأمر الذى ساعد الطلائع الوطنية المثقفة والطبقة الفلاحية معا على الاحتفاظ بتلك الدائرة حية ومكتملة دائما بين الطليعة والطبقة ، ولم يسود اللبس وسوء الفهم والرؤية بينهما بنفس المقاييس التى حدثت فى الشمال ، رغم كل المحاولات الاقطاعية والكمبرادورية المستميتة لفصل هذه الدائرة قبل الاستقلال وبعد الاستقلال ، والتى كانوا يعرفون جيدا مدى خطورتها على مصالحهم(٨) ٠ ولهم كل الحق فى ذلك ، ولكن كل الظروف والمتغيرات التاريخية قد سارت حتما فى غير صالحهم وحتى هذه اللحظة ، وبأخطاء أقل وخطوات أسرع مما حدث فى الشمال ٠

(٨ مكرر) لقد كانت محاولات التحالف البرجوازى والكمبرادورى والاقطاعى السلاطينى فى قيادة جبهة التحرير عام ١٩٦٦ من أجل القفز الى قيادة الثورة الشعبية المسلحة بقيادة الجبهة القومية التى أوشكت على النصر والتى سبق وان قاوموها وأدانوها بالأمس ، من خلال مسرحية التوحيد الزائف مع الجبهة القومية هو ضرب من هذه المحاولات ، وكذلك محاولة الانقلاب العسكرى الفاشل بعد الاستقلال مباشرة من قبيل الجيش كمؤسسة استعمارية قديمة كان يراهن عليها الاستعمار كاحتياطى كبير بعد رحيله ، وبما فى ذلك خط قحطان الشعبى اليمينى نفسه داخل الجبهة القومية ، وسنتناول هذه الأمور بتفاصيل أكثر فى الفصول القادمة ٠

الأشكال الطبقية الهامشية

والملاحظة الأخيرة التي لابد من الاشارة اليها ونحن على وشك الانتهاء من هذا الفصل الخاص بتحديد معالم البناء الطبقي في المجتمع اليمني هو الحديث عن بعض الفئات والشرائح الاجتماعية الهامشية في مظهرها والطبقية في حقيقتها ومضمونها ، والتي غالبا ما يثير وجودها الكثير من الملابسات وسوء الفهم عند الكثيرين ممن لا يملكون رؤية ومنهجا علميا صحيحا في تفسير الواقع الاجتماعي والطبقي ، حيث غالبا ما ينظرون اليها اما باعتبارها بديلا عن الطبقات وينكرون وجود الطبقات نفسها ، أو باعتبار أنها هي بذاتها التي تجسد النظام الطبقي نفسه الذي تتعدد طبقاته بتعدد هذه الفئات والشرائح الهامشية نفسها .

وتنتشر هذه الفئات والشرائح رأسيا من قاعدة المجتمع حتى قمته في كل المجتمعات النامية والمتخلفة مع فرق في المسميات وبعض المضامين الى هذا الحد أو ذاك ، وهي تتمثل في مجتمعنا اليمني بما يعرف بفئة القضاة والسادة والهجر(٩) والمشايخ بالوراثة الذين لا يملكون عقارات واسعة والوجهاء وبعض رجال الدين الرسميين ، وجميعهم يميلون الى التكامل مع الطبقات العليا في قمة الهرم الاجتماعي ، يقابلهم في قاعدة هذا الهرم فئات هامشية أخرى ، كالحلاقين والدواشين وأصحاب الحرف اليدوية القديمة المتصلحة بالخدمات المنزلية والأخضور والمتسكعين وغيرهم ، والذين يميلون الى التكامل مع أشد قواعد الهرم الاجتماعي انحطاطا ، اذا لم يكن من الناحية الاقتصادية في الغالب فمن الناحية الاجتماعية على الأقل .

فهذه الفئات المنتشرة على نطاق واسع من مجتمعنا غالبا ما ينظر اليها من وجهة نظر مثالية ولا علمية واقطاعية رجعية في الأساس باعتبارها المكونات الأساسية لوجود المجتمع ، وهي تستمد وجودها واستمرارها من نظام الوراثة ومفاهيم الغيب التي نشأت لكي تكون هكذا منذ الأزل

---

(٩) « الهجر » بكسر الهاء وفتح الجيم هي بعض العائلات والأسر وأحيانا قرى بأكملها التي تهجر من قبل المجتمع ، بمعنى تسقط عنها الكثير من المسئوليات العامة لأعتبارات دينية واجتماعية ، فلا تلزم بدفع اتاوات وغرامات أو ضرائب مما يفرض على غيرهم في ظروف الحرب أو السلم ، كما أنهم لا يشاركوا في الحرب ولا يعتداء عليهم فيها ، ويتقيشون عادة في حماية القبائل والمناطق التي تجاورهم ويرجع اليهم في بعض المسائل القضائية والدينية أحيانا كمستشارين ويشعرون نتيجة لذلك بنوع من التميز الاجتماعي على غيرهم .

وبلا تغيير ، ولحكمة ما شاءها الخالق فى خلقه لا يرقى اليها فهمنا ولا يجوز لنـا أن نعترضها !! وهى حكمة سياسية وطبقية اقطاعية شاءوها لأنفسهم على الأصح ولم يشأها الله أو ينزل بها من سلطان ٠

ومن هذا المنطلق الفكرى والميتافيزيقى المعـروف فى أيدلوجية الطبقة الاقطاعية دائما تصل هذه الطبقة الى انكار وجود الطبقات نفسها ومبـدأ الصراع والتناقض فيما بينها وامكانية حلول بعضها محل الأخرى ٠

أما وجهة النظر الأخرى والتى تنظر الى هذه الفئات والشرائح باعتبارها تجسيدا مباشرا للنظام الطبقى فى المجتمع وترى مثـلا بأن المجتمع اليمنى يتكون من عدة طبقات هى : طبقة السادة ، وطبقة القضاة ، وطبقة المشايخ ، وطبقة التجار ، وطبقة الملاكين العقاريين فى الريف ، وطبقة المتوسطين منهم ، ثم طبقة الفلاحين والأجراء فى الريف ، وطبقة العمـال فى المـدن ، وطبقة البروليتاريا الكادحة والرثة فى الريف والمـدن على السواء والذين يدخل ضمنهم الفئات الهامشية المشار اليها آنفا فى أشد قواعد الهـرم الاجتماعى انحطاطا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، من حلاقين ومزاينة وجزارين ودواشين وخدم وباعة متجولين ومتسكعين وغيرهم ٠

فان هذه الرؤية التى طرحها الأخ سلطان أحمد عمر فى كتابه « نظرة فى تطور المجتمع اليمنى بصورة مباشرة وغير مباشرة » هى رؤية مخـالفة جذريا للرؤية الاقطاعية السابقة وأميل الى الرؤية العلمية الصحيحة من حيث طرحها للمفهـوم الطبقى على الأقل فى تفسـير الواقع الاجتماعى للمجتمع اليمنى بغض النظر عن النواقص المنهجية المخلة فى استخدام الأخ سلطان لهذه الرؤية بأسلوب شكلى مسطح وخاطىء(١٠) ٠ لأن هذه المسميات الكثيرة هى فئات هامشية ملحقة أصـوليا وأيدولوجيـا بطبقات رئيسية محـددة فى المجتمع بصورة مباشرة وغير مباشرة ، ولو أنها أخذت باعتبارها طبقات لامتدت أرقام تعدادها عبثا الى ما لا نهاية ٠

والصحيح هو أن فئات القضاة والسلاطين والسـادة والمشايخ وبعض رجال الدين المحترفين للسياسة والسلطة والجماعات الأرستقراطية المختلفة

---

(١٠) راجع سلطان أحمد عمر : نظرة فى تطور المجتمع اليمنى ، دار الطليعة بيروت عام ١٩٧٠ ، ص ١٠١ الى ١٠٨ ٠

فى المجتمع يشكلون فى مجموعهم مع كبار الملاك العقاريين تحالف الطبقة الاقطاعية القديمة ، وأن ما قد يلاحظ من فروق أو خلافات نسبية بين هذه الفئات والجماعات هى فروق وخلافات ثانوية لا أكثر فى نطاق الطبقة الواحدة ، وترتكز على أسس اقتصادية وايدولوجية وعقائدية واحدة لا خلاف عليها بينهم جميعا ، وأن دافع هذه الفروق والخلافات الثانوية هو اما حرص بعض أفراد هذه الطبقة على الاستئثار بأكبر قسط ممكن من الامتيازات السياسية والاجتماعية أكثر من غيرهم ، كما كان يحدث بالنسبة لفئة السادة فى مقابل القضاة والمشايخ فى عهد الامام ، أو حدوث العكس تماما حينما تتطلع فئة أخرى أقل حظوة ونصيبا من تلك الامتيازات الى الحصول عليها على حساب فئة أخرى ، كما حدث بالنسبة لفئة المشايخ بعد الثورة فى مقابل السادة والقضاة ، فهو خلاف فى الجزئيات وعلى الانصبة وليس فى الأساسيات ٠

كما أن الفئات الاجتماعية المقابلة فى أسفل السلم الاجتماعى هى داخلة فى حقيقتها ضمن تخالف الطبقات العمالية والفلاحية والبرجوازية الوطنية الصغيرة،فالمزاينة والأخضور والدواشين والأخدام فى الريف هم جزء لا يتجزأ من طبقة الفلاحين وتتكامل كل جوانب حياتهم الاقتصادية والاجتماعية مع هذه الطبقة وترتبط بها ، كما أن ممارسى المهن والحرف اليدوية والخدمات المنزلية التقليدية (سقايين ـ حمالين ـ مفلقين ـ مزاينة ـ خدم دائمين ومؤقتين للأعراس والمناسبات والمنازل ٠٠ الخ) هم جزء لا يتجزأ من الطبقة العاملة ونواة وجودها المبكر فى المدن ، وكذلك الباعة المتجولين والدلالين ومقادمة السيارات وأصحاب الصنادق والأكشاك التجارية الصغيرة والمصلحين فى الأسواق العامة هم جميعا ينتمون للطبقة البرجوازية الصغيرة وبحكم تطلعاتهم وطموحاتهم على الأقل ٠

والملاحظة الأخيرة والجديرة بالاشارة اليها هى أنه غالبا ما يفتقر معظم أفراد هذه الفئات الهامشية على اختلاف مضامينها وانتماءاتها الطبقية الى الأساس الاقتصادى والمادى الذى ينسجم وينطبق مع ما أشرنا اليه من ميولهم وانتماءاتهم الطبقية فعلا ، رغم الأهمية القصوى التى يمثلها هذا العامل الاقتصادى فى تحديد الوضع الطبقى الحاسم لأى فرد أو جماعة ،حيث نجد غالبا الكثير ممن يفترضون انتماءاتهم لفئة السادة أو القضاة أو المشايخ يعانون من الفقر والحرمان الاقتصادى الى حد كبير ، رغم ما أشرنا اليه من أنهم يكونون مع نظائرهم من الملاك العقاريين التحالف الواسع للطبقة الاقطاعية ٠

وهنا تكمن أهمية الاشارة الى أن هـــذه العناصر رغم فقرها الا أنهـا متشبعة الى حد كبير بفكر وأيديولوجية الطبقة الاقطاعية وثقافتها ومعتقداتها ومبدأ الانتماء الاجتماعى والسياسى اليها منذ زمن بعيد ، ويعترف لها بكل ذلك من قبل هذه الطبقة الاقطاعية ، وهى تجد فى هـــذا الانتماء الاجتماعى والثقافى والعقائدى والدينى أحيانا تعويضا نفسيا ومعنويا كبيرا عما يكون قد لحق بها من حالة الفقر الاقتصادى والمادى والاضطهاد الســياسى الفعلى بالرغم من تطلعها الشديد الى الخلاص من كل ذلك لكى تستكمل عضويتها داخل الطبقة الاقطاعية التى تنتمى اليها اجتماعيا وأيديولوجيا ونفسيا · الا أن ذلك لا يشكل الشرط الوحيد والمعوق لوجودها ضمن الطبقة الاقطاعية بمفهومها الاجتماعى والثقافى ، فهم ضمن هـــذه الطبقة حقيقة بحكم الانتماء الاجتمـاعى والفـكرى والثقـــافى وبحكم سلوكهم وممارساتهم وتصرفاتهم الاجتماعية ونوع تطلعاتهم السياسية والاقتصادية التى قد تنقصهم فى بعض الأحيان امتيازاتها الملموسة ·

وهذا لا ينفى أبدا حقيقة أن هذه العناصر والفئات الهامشية والاقطاعية بفكرها وثقافتها وانتمائها الاجتماعى والمسحوقة جدا فى واقعها الاقتصـادى هى أقـــدر من غيرها على الانســلاخ عن هـذه الطبقة والتخلى عن فكرهـا وأيدولوجيتها الاقطاعية العفنة ، وتبنى مفـاهيم وأفكار وأيدولوجيات جديدة تنسجم جوهريا وطبيعة واقعهم الاقتصـــادى والاجتمـاعى ضمن الطبقـات الفلاحية والعمـالية والبروليتارية الكادحة ، لأنهـــا لا تملك أية امتيازات اقتصادية وسياسية تحول دون ذلك ، فاذا كان يتوجب على أحد أفراد الطبقة الاقطاعية من ذوى الامتيازات السياسية والملكيات العقـارية أن يتحول الى شخص وطنى وتقدمى يؤمن بفكر ومصالح الغالبية العظمى من أفراد المجتمع من العمـال والفلاحين ويكف عن استغلالهم فانه يحتـاج الى تجاوز عقبتين أو مرحلتين من التحول ، الأولى التخلى عن أفكا رومفاهيم طبقته الأصـــلية وأيديولوجيتها ، والثـــانية التخلى عن امتيازاته الســياسية والاقتصـادية والاجتماعية داخل هذه الطبقة نفسها ، والثـانية هى أشق من الأولى بـكل تأكيد ·

أما من لا يملكون امتيازات ســياسية واقتصـادية ممن سبقت اليهم الاشارة فى نطاق هذه الطبقة الاقطاعية فانهم لا يحتاجون الا الى تجاوز أقل العقبتين مشقة فقط ، وهى التخلى عما لصق فى أذهانهم أو بصق فيهـا على الأصح من أفكار ومفاهيم الطبقة الاقطاعية الفاسدة جملة وتفصيلا منذ زمن

بعيد والمبنية على الطائفية والسلالية والتضليل والخرافة والارهاب الفكرى لا أكثر ٠

ففى اللحظة التى سيتمكن فيهاكل مواطن مظلوم وبائس من أن ينتزع من ذهنه الخرافة الاقطاعية التى بصقت فى رأسه بأنه قد خلق « سيدا » أو « قاضيا » أو « شريفا » أو « سلطانا » أو « حبيبا » أو « شيخا » ٠٠ الخ وأن له على الآخرين،الأقل منه شأنا ولحما ودما،حقوقا وواجبات ترقى الى درجة التقديس والطاعة التىيسنبها أهل السماء على أهل الأرض ، فانهم لا يكونون بذلك قد تخلصوا من أعظم أكذوبة أودعتها الأقدار فى رءوسهم منذ زمن بعيد وخدعوا بها نفوسهم أو خدعتهم بها هذه الطبقة الاقطاعية على الأصح فحسب ، بل انهم سيكونون بذلك قد حققوا عتقهم الحقيقى من سيطرة هذه الطبقة نفسها ووضعوا أقدامهم لأول مرة على الطريق الصحيح ويشقون طريقهم فى الحياة بقدراتهم وكفاءتهم كمواطنين لا بخرافاتهم وأوهامهم المريضة عن أنفسهم وعن غيرهم ٠

والعكس بالعكس صحيح بالنسبة للفئات والعناصر الاجتماعية المقابلة الواقعة فى الهامش المتدنى للطبقات الشعبية ، والتى تشبعت منذ القدم بثقافة وأفكار الطبقة الاقطاعية المفروضة عليها والقائمة على الاحساس الاجتماعى والنفسى العميق « بالدونيه » والانحطاط المبرر والمعلل بمختلف الأساطير والادعاءات الاقطاعية والرجعية الفاسدة والمعزز بقهرها وسلطاتها السياسية والاجتماعية ضد هذه الفئات وغيرها من الطبقات الشعبية الفلاحية والعمالية ٠

فهذه الفئات هى بحكم مشاعر الغبن والاحتقار والحرمان الذى تعانيه هى أقدر على تجاوز وضعها هذا حينما تقوى على التخلص من كل الرواسب الثقافية والاجتماعية التى فرضت عليها من قبل الطبقات الاقطاعية والرجعية وتناضل ضدها ببعد طبقى وتاريخى ناضج ، وذلك اذا ما قيست بالفئات المقابلة لها فى أعلى السلم الاجتماعى والمشار اليها فى الفقرة السابقة والتى تعانى من مشاعر وعقد نفسية وثقافية اقطاعية ذات مضمون معاكس تماما ، هى التفوق والنبالة وسمو العنصر والسلالة والمكانة ٠٠ الخ ٠ رغم بؤسهم وفقرهم الشديد الذى يجعلهم حقيقة ضمن أشد الطبقات كدحا واضطهادا فى المجتمع ٠

لأنه اذا كان على الفئـات والعناصر السابقة أن تناضل لـكى تتخلص من أفكار ومفاهيم اقطـاعية ورجعية داخل ذاتهـا فرضت عليهـا للحط من كرامتهاوقيمتها الانسـانية وزيادة استغلالها وهى تكرهها أصلا ، فان الفئة الأخرى ملزمة بأن تناضل من أجل التخلص من أفكار ومفاهيم اقطاعية ورجعية فاسـدة داخل ذاتهـا أيضـا هى محببة الى نفسهـا وتمنحها بعض التعويض النفسى والمعنـوى الكاذب فى مقـابل ما تعانيه من فقر وحرمان واضطهاد حقيقى ٠

الفصل الخامس

المثقفون اليمنيون : النشـأة والتطور

فى الفصل السابق تناولنا بالعرض والتحليل ملامح البنـاء الاجتماعى والطبقى فى المجتمع اليمنى وما طرأ عليه من متغيرات معاصرة ، ونصل الآن الى البحث فى أهم بند جوهرى من بنود هذه الدراسة ، وهو البحث التحليل لأوضاع المثقفين اليمنيين من حيث علاقتهم بهذا البناء ومدلولهم الموضوعى والاطار الزمنى لتكوينهم المعـاصر ، وأثر البعد القومى فى ذلك ، وكذلك الاطار الاجتماعى والطبقى الذىانحدروا منه ثم الأطر السياسية والأيدولوجية التى بدأوا منها وانتهوا اليها حتى الآن ، وأخيرا الحديث عن المثقفين الوطنيين منهم بالذات من حيث : ماهيتهم وأهمية دورهم فى عمليات التغيير والتحول المعاصر نحو الأفضل .

ماذا نقصد بالمثقفين اليمنيين ؟

لسنا هنا بصدد البحث والحـديث عن تعريف مستقل وقائم بذاته للمثقف اليمنى أو المثقفين اليمنيين ، مقطوع الصـلة بما سـبق عرضه من تحليل وتحديد لماهية المثقف والمثقفين فى بداية هـذه الدراسة بصفـة عامة ، فذلك أمر يخـرج عن حـدود الموضوعية الى ما وراء منطـق العلم وقوانينه ، وما نقصده هنا وفى هذه الفقرة بالذات هو البحث الأكثر تفصيلا وشمولا وعمقا لأوضـاع المثقفين اليمنيين والكشف عن بعض الخصوصيات الجزئية والمميزات الذاتية التى قد يتميز بها المثقفون اليمنيون المعـاصرون عن غيرهم بحدود نسبية ، والنـابعة من ظروفهم وأوضـاعهم السـياسية والاجتماعية المتميزة أيضا ، وهو أمر لا غبار عليه ومعترف به فى عرف البحث العلمى والاجتماعى بلا منازعة ،واننا ونحن بصدد البحثوالتقصى لكل جوانب هذا الموضوع كهدف أساسى من أهداف هذا البحث ، نريد ببساطة فى هذه الفقرة أن نرد على هذه التساؤلات : ماذا نقصد بالمثقفين اليمنيين الذين نريد الحديث عنهم كمدلول علمى وموضوعى يأخذ به كمعنى للمثقفين اليمنيين ، هل هم كل من استطاع الحصول على قسط معين من التعليم فى حدود اجادة القراءة والكتابة فوق المتوسط ؟ أو هم كل من قاوم السلطة قبل عام ١٩٦٢

ومارسها بعد عام ١٩٦٢ مباشرة ؟ هل هم الذين يحكمون الآن فى قمة السلطة أم الذين يعارضون من خارجها ؟ هل هم خريجى الجامعات أم الثانوية العامة أم الكليات العسكرية ؟ هل هم الذين مارسوا ويمارسون العمل السياسى من خلال الأحزاب والمنظمات السياسية العلنية والسرية أم من خارجها ؟ أم أنهم خليط غير محدد من كل هذا وذاك ؟

فاذا جاز لنا أن نفترض أى من التساؤلات السابقة باعتباره مدلولا وتعريفا مقنعا لوجود المثقفين اليمنيين فما هو المبرر العلمى والمنطقى والموضوعى لهذا الافتراض ؟ أما اذا افترض أنهم خليط من كل هذا وذاك فما هو التعريف والاطار المحدد الذى يمكننا أن نتعرف عليهم من خلاله بدقة ونميزهم عن غيرهم ؟ مع ملاحظة عدم الوقوع فى تعارض أو تناقض مع التعريف والمدلول العلمى العام لمعنى المثقف والمثقفين الذى سبق تحليله فى بداية هذا البحث ، والذى لا بد وأن يكون كل مجهودنا مركزا فى البحث عن خصوصيات المثقف اليمنى فى ضوء ذلك المفهوم العام والشامل ومن خلاله ٠

واذا كان قد وجب علينا الآن أن نحدد بالضبط افتراضنا الخاص الذى سنأخذ به كمدلول ومدخل لتحديد ماهية المثقفين اليمنيين المعاصرين واخضاعهم للبحث والدراسة من خلاله ، فاننا من واقع المعايشة الموضوعية للواقع الاجتماعى المتغير خلال العشرين عاما الماضية نميل الى الأخذ بالانتماء للعمل السياسى المنظم وممارسته من خلال الأحزاب والمنظمات السياسية المحظورة وغير المحظورة وذلك كمقياس لتحديد الاطار الموضوعى الخاص بالمثقفين اليمنيين ، لأسباب كثيرة سنوردها بعد قليل ، علما بأننا لا نخفى أبدا ادراكنا لكل مصاعب وحساسية هذا الاختيار ومشاق البحث فيه خصوصا فى ظل ظروف المجتمع اليمنى التى ما يزال فيها العمل السياسى المنظم تهمة اجرامية ترقى عقوبتها الى درجة الموت ٠

ووفقا لهذا الافتراض وقبل أن ندخل فى تحليل مدى صحته ومبررات اختياره يمكننا أن نعرف المثقفين اليمنيين المعاصرين والذين سنتولاهم بالبحث فى كل الصفحات التالية من هذا الفصل بأنهم : كل من انتمى وينتمى الى العمل السياسى المنظم من ذوى الصف الأول والثانى فى قيادة هذا العمل ، سواء منهم من برز على مستوى الحياة السياسية والاجتماعية العامة أو احتفظ بنفسه فى الظل وهو يمارس العمل السياسى من موقف الصف القيادى الأول أو الثانى على الأقل ٠

أما اذا سؤلنا عن المبررات المنطقية والدوافع الموضوعية لوضع هذا الفرض والتعريف كمدخل علمي لدراسة المثقفين اليمنيين وتعريفهم بدقة ، وعما اذا كان هذا الفرض سيؤدى الى نتائج موضوعية سليمة حقا ، فاننا نستطيع أن نرد بكل اطمئنان بأنه قد ثبت لدينا سلفا من واقع حصر وتتبع دقيق لحالات فردية وجماعية عديدة أن هذا الفرض هو أقدر من غيره بكثير على الوصول بنا الى نتائج أكثر قربا من الحقيقة والتصاقا بها ، عن المثقفين اليمنيين المعاصرين ، خلال العشرين عاما الأخيرة ، وبالتحديد من أوائل الستينات حتى اليوم ، ونحن في بداية الثمانينات ، وأن هذا الفرض في نظر الباحث يكاد أن يكون نتيجة يبنى عليها وليس مجرد مقدمة كما هو المفروض .

هذا من حيث المدلول السياسي والاجتماعي لأهمية هذا الفرض ، أما من حيث أهميته كأداة تكنيكية منهجية بحتة فانه يبدو أكثر ملاءمة من غيره سواء بالنسبة للمثقفين اليمنيين أو غيرهم في أى مجتمع آخر ، وذلك لأسباب كثيرة نشير الى أهمها فيما يأتى :

١ - العمل السياسي المنظم هو أفضل مقياس علمي لتحديد ماهية المثقفين بصفة عامة

لقد كان في الامكان أن نستبدل مبدأ « الانتماء السياسي المنظم » كمقياس لتحديد الاطار العام للمثقفين اليمنيين وتعريفهم بغيره من المقاييس الشائعة والمتبعة ، كالمستوى التعليمي (تعليم فوق المتوسط - جامعي - أكاديمي ... الخ) أو المستوى الوظيفي (قادة اداريين - وسياسيين) أو نوع المهنة والممارسة (صحفيين - شعراء - كتاب - محامين ... الخ) وغير ذلك من المقاييس التي يؤخذ بها عادة مجتمعة أو متفرقة في كثير من أغراض البحث العلمي ، بما في ذلك تحديد المستويات الثقافية والتعليمية في أى مجتمع . ذلك أنه بغض النظر عما قد يؤخذ على مثل هذه المقاييس من معايب في تعريف الشخص المثقف بصفة عامة ، فانها لا تساعد كثيرا على تحديد ماهية المثقف اليمني بالذات في الوقت الحاضر ، فاذا كان من المؤكد بصفة عامة أن ليس كل من حصل على شهادة تعليمية من أى نوع أو شغل مركزا اداريا وسياسيا على أى مستوى أو مارس الصحافة والكتابة كيفما اتفق هو بالضرورة شخص مثقف بالمعنى العلمي ، فان هذا الأمر يصدق من باب أولى على المجتمعات النامية والمتخلفة الى حد كبير ومنها اليمن على وجه الخصوص .

فكثير من الأشخاص في مجتمع متخلف قد يشـــغلون أعلى المـراكز الادارية والسياسية والعسكرية لمجرد كونهم يجيدون القـــراءة والكتابة ، أو قد لا يحسنونها كثيرا ، وذلك اما بحكم الوراثة والتسلط والقهر الطبقى ، أو بحكم الندرة فعلا لمن يحسن ذلك ، خصوصا اذا ما تذكرنا بأن فكرة محو أمية الشخص واجادته للقراءة والكتابة وحتى وقت ليس بالبعيد قد ارتبط بتطلعه الى السلطة السياسية مبـــاشرة في مجتمع متخلف كله من الأميين تقريبا(١) . هذا بينما نجد أن مبدأ الانتماء السياسى المنظم هو أكثر المقاييس السابقة قدرة على تقليص ميل الفرد في مجتمع متخلف الى أى من المقاييس السابقة مجتمعة أو متفرقة واستغلالها كاطار لشخصيته وفرض نفسه على الواقع ، بل ان مبـدأ الانتماء السياسى كثيرا ما يعمل على تخليص الفـــرد من هـذه الميـــول ، باعتبارها مقاييس خاطئة ومضللة أصـــلا ، كما يعمل من جهة أخـــرى على خلق دوافع وقناعات ذاتية بحتة لدى الفرد من أجل الاستيعاب الثقافى والفكرى المنظم بلا انقطـــاع ، وصولا الى تحقيق وضعه كمثقف حقيقى ، بغض النظـــر عن هويته الاجتماعية والطبقية الأصـــلية ، أو مستواه التعليمى الرسمى ، أو مركزه الاجتماعى والسياسى المعلن .. الخ حيث لا مكان لمثل هذه الاعتبارات في نطاق العمل السياسى المنظم ، والتى يستعاض عنها جميعا باعتبار واحد هو قدرة الفرد على الاستيعاب والعطـاء المتنامى والمتجدد وتكوين شخصيته بصفته مواطنا من خلال ذلك .

٢ ـ العمل السياسى المنظم هو المدرسة الوحيدة للمثقفين اليمنيين

ولقد ثبت بالنسبة لليمن أن ما لا يقل عن ٩٥٪ ممن قاموا برفع مستواهم الثقافى والتعليمى بأنفسهم أو حصلوا على شهادات جامعية أو تعليمية فوق المتوسط من خلال الكليات العسكرية والشرطة وما شابه ذلك، ورغبوا زيادة على ذلك في الارتقاء بمستوى ثقافتهم وتفكيرهم كمثقفين ناضجين حقا، قد مارسوا جميعا العمل السياسى المنظم ، بل لقد كان العمل السياسى المنظم هو الأداة شبه الوحيـــدة التى ارتقوا من خلالها من مجرد حمـلة شهادات مدرسية أو جامعية أو لا شهادة على الاطلاق فى الغالب الأعم الى مثقفين ســـياسيين قياديين فعلا . أما الخمسة في المـائة الباقين الذين قد لا يكونون ممارسين للعمل السياسى المنظم وحققوا ارتقـــاء سياسيا أو اداريا واضحا فقد كان

---

(١) دكتور محمد الجوهرى : علم الاجتماع وقضايا التنمية فى العالم الثالث ، ص ٢٧٣ .

ارتقاءا فى اتجاه الخبرة المهنية والكفاءة الوظيفية وليس فى اتجاه الفكر والثقافة سياسية كانت أو غير سياسية ، اذ أننا نستطيع أن نقول بكل اطمئنان أنه لا يوجد فى اليمن حتى الآن لا ثقافة ولا مثقفين خارج نطاق العمل السياسى المنظم ، أو على الأقل أنهم قد مروا من خلاله ووجدوا بفضله بصورة مباشرة وغير مباشرة ٠

فالعمل السياسى المنظم فى بلادنا يكاد يكون حتى اليوم وبالرغم من كل ظروفه القاسية هو القناة الوحيدة للحصول على الثقافة والفكر المقنع للشخص والمحقق لطموحاته وتطلعاته فى الحياة العامة سياسية كانت أو اجتماعية ، ومنحه فرصة حق اعطاء الرأى الآخر ونقده ، بل لقد اتسع مدلول هذا العمل السياسى المنظم وشبه المنظم فى الآونة الأخيرة ليشمل المواقف والأفكار الاجتماعية والطبقية فى المجتمع اليمنى ويعبر عنها ، بما فى ذلك الأفكار والمواقف الاقطاعية والرجعية المتخلفة ، كما تطور فى المقابل من مجرد وعاء لتنمية الأفكار الوطنية والقومية الى اطار صلب لأشد المواقف والأفكار الأممية والتقدمية المعاصرة جرأة ، وأداة للعنف الجماعى والصدام الطبقى المسلح على نطاق واسع ٠

٣ - عن شمال الوطن بخاصة

ان هذا البعد السياسى اضافة الى كل ما سبق يكتسب أهمية خاصة بالنسبة للمجتمع اليمنى وفى الشطر الشمالى من الوطن بالذات منذ عام ١٩٦٢ وحتى الآن ، حيث كان وما يزال يشكل القناة شبه الوحيدة لاشباع كل الاهتمامات العامة للشباب وتلبية احتياجاتهم الثقافية والفكرية ، الضرورية والحصول على أبسط المفاهيم المقنعة للفرد تجاه نفسه وواقعه وواقع الغير ٠ وذلك بسبب انعدام القنوات الثقافية الموازية والمسموح بها من أى نوع ، حيث لا صحافة حرة أو حتى مقنعة على الأقل ، ولا مؤسسات نقابية أو ثقافية عامة ، ولا حتى أماكن للهو وقضاء أوقات الفراغ ٠

فكل ذلك اذا لم يكن قد وجد فهو محظور على الأصح بما فى ذلك التنظيمات السياسية ، والتى تكون من خلال وجودها السرى غير المشروع رسميا البديل الشامل والمقنع عن كل ما كان من المفروض أن يوجد بصورة طبيعية وعادية على سطح الحياة العامة ٠

حيث أنه بالرغم من تشدد السلطة السياسية ذات البعد الاقطاعى والكمبرادورى المتحلل تجاه التنظيمات السياسية الوطنية واللبرالية

الحديثة ، الا أن العمل السياسى المنظم قد تعاظم كثيرا فى السنوات الأخيرة وتطور كما وكيفا بدرجة لا نجد لها قرين بسهولة فى كثير من المجتمعات النامية والمتخلفة ، حتى كاد أن يتجاوز مؤخرا وجوده كمجرد ظاهرة ونشاط سياسى الى أن يصبح ظاهرة اجتماعية وطبقية تتصف بالعمومية والشمول ، ابتداء من قاع المجتمع فى المدينة وحتى أطرافه المتنائية فى القرية والريف ، ضمن تشكيلات مختلفة من التصرفات والسلوك النمطى المعتاد فى الحياة العامة ، والمعزز بالقوة والعنف السياسى المباشر الذى لا تستطيع أن تطوله السلطة المركزية بأفقها الحالى بل مالت الى الاعتراف به ضمنيا والتعايش معه • ذلك أنه بالرغم من التهور الشديد لأجهزة القمع فى السلطة فى نطاق الحدود الجغرافية الضيقة التى يستطيع أن يصل اليها جنود الشرطة والأمن وتمارس فيها مهامها المباشرة داخل المدن والمطارات والموانى الرئيسية فقط ، الا أن ما عدا ذلك على طول الحدود والمداخل البرية المختلفة للبلاد والمناطق الريفية والقبلية فهى أرض مفتوحة ومشاعة سياسيا لأبنائها وغير أبنائها ، حيث ظلت منذ عام ١٩٦٢ ولم تزل تشكل بؤرا وجيوبا اجتماعية مركزية لمنظمات سياسية واجتماعية مختلفة ابتداء من أشد المنظمات اقطاعية ورجعية وتخلف وحتى أشدها يسارية وتقدمية ، والتى أخذت مؤخرا تزدهر بسرعة فى مناطق الريف ، ولا يوجد شكل الدولة وسلطتها فى مثل هذه الحالة الا بوصفها أحد الأطراف الذى يبحث عن مجرد الاعتراف به وسط الأطراف الأخرى ربما الأكثر قوة وفاعلية فى الواقع الاجتماعى سياسيا واجتماعيا • والذى يميز الشطر الجنوبى من الوطن فى هذا الشأن هو الاعتراف الرسمى بالعمل السياسى والتنظيمات السياسية نفسها والموجودة فى الشمال ، بل وقيام السلطة نفسها على هذا الأساس وفى نطاق سلطة وطنية ومركزية قوية •

لكل هذه الأسباب ومن خلالها تتضح أهمية البعد السياسى المنظم بالنسبة لأى محاولة جادة للبحث فى موضوع المثقفين فى اليمن خاصة أو غيرها من البلدان النامية والمتخلفة بصفة عامة •

الاطار الزمنى والتاريخى لتكون المثقفين اليمنيين المعاصرين

كلمة « المعاصرين » فى العنوان السابق سيكون لها أهمية ومدلولا موضوعيا مباشرا فى الحديث عن هذا الموضوع ، فهى من جهة تشير الى أننا سوف نتناول المثقفين اليمنيين خلال فترة زمنية حديثة ، والتى افترضنا بدايتها مع بداية الخمسينات من هذا القرن وما قبل ذلك بسنوات قليلة وحتى اليوم ، وهى من جهة أخرى تشير الى أننا بالضرورة سوف نتناول

الثقافة المعاصرة والجديدة فى المجتمع اليمنى ، والتى تعاطاها هؤلاء المثقفون اليمنيون المعاصرون وكونوا أنفسهم من خلالها كمثقفين معاصرين على أنقاض الكثير من الاتجاهات الثقافية التقليدية القديمة ومثقفيها ، والذين ما تزال لهم امتـــدادات واضحة ومؤثرة فى واقعهم اليمنى ويعيشـــون بثقـــافتهم ومفاهيمهم القديمة حالة صراع وتناقض مع مفاهيم وثقافة العصر ومتغيراته ٠

ما قبل عـام ١٩٤٨ :

ففى مرحلة ما قبل عام ١٩٤٨ لم نكن نستطيع أن نجزم بوجود ابعاد أو حتى اشارات لوجود ثقافة معاصرة وحديثة أو مثقفين معاصرين على مستوى الساحة اليمنية ككل ، خصوصا فيما يتعلق بمفاهيم الثقافة الحديثة للأممية والاشتراكية ومفاهيم التحولات الاقتصـــادية والاجتماعية الجـــذرية تلبية لطموحات أوسع الجماهير الشعبية ومن خلالها وازالة الظلم عنها ٠ فأصحاب « مجلة الحكمة اليمانية » أو ما يمكن أن نطلق عليهم بمـا مثلوه من توجه فكرى وثقافى معين وواضح أصحاب « مدرسة الحكمة » قد تحـــدد بعدهم الثقافى والفكرى بالتأكيد على نقد الواقع بصورة غير مبـاشرة وتحديد ملامح المستقبل بنفس اصلاحى ولبرالى فى أحسن الأحـــوال وفى اطـار المفاهيم التقليدية وشبه التقـــليدية ، والتى استمدوا جذورها من حـركة الأفغانى والكواكبى وغيرهم فى مصر والشام فى حينه ، ومع ذلك فقد كانوا بلا منازع هم أكثر الموجود تقدما وقربا من المعاصرة بصفة عامة(٢) ٠

وهناك أيضـــا أصحاب ٤٨ أنفسهم أو مدرسة ٤٨ اذا جاز التعبير ، أو حركة الأحرار اليمنيين ، وهى مدرسة تتميز عن المدرسة السابقة فى كونها قد جمعت بين الثقـــافة والعمل السياسى شبه المنظم معا ، وتمكنت هـذه المدرسة بفضل هذا الجمع بين الثقافة والسياسة من القيـــام بأدوار أكثر فاعلية وانتشارا على المستوى الثقافى والسياسى والاجتماعى الى حد منـازلة السلطة بالعنف المسلح واقلاقها بصفة دائمة ٠ والذى يهمنا هنا هو الاشارة الى الأفق الفكرى والثقافى لهذه المدرسة ، فقـد كان من حيث الفهم النظرى هو أكثر تقليدية وبعدا عن المعاصرة بالنسبة « لجمـــاعة الحكمة » كصفوة مثقفة فحسب ، بالرغم من وجود تداخل كبير بين المجموعتين حيث شـارك الكثير من جماعة الحكمة وساهموا بفاعلية فى نطـــاق حركة الأحرار الأكثر

---

(٢) راجع تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع فى كتاب أسرار ووثائق الثورة اليمنية لمجموعة من تنظيم الضباط الأحرار ، دار العودة بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٨ ، ص ٢٩ و ٣٠ ٠

اتساعا وتأثيرا · وباختصار فان مدرسة ٤٨ من حيث افقها النظرى والفكرى والثقافى وطموحاتها السياسية لم تكن تتعدى كثيرا مفهوم السلطة الاقطاعية الحاكمة للامامة الملكية المستبدة الا فى حدود نسبية جدا ، رغم حدة الصراع الذى ظل ساريا بين الطرفين ، وفى الامكان استخلاص هذه الحقيقة من مراجعة الميثاق المقدس لهذه الحركة السياسية(٣) · والذى يمكن الخروج من خلاله بحقيقة أخرى أكثر أهمية وهى أن صراع مدرسة ٤٨ أو حركة أحرار ٤٨ مع السلطة لم يكن صراعا بين قديم وجديد أو اقطاع وبرجوازية ، ولكنه تنازع مصالح ذاتية داخل الطبقة الاقطاعية نفسها على نحو ما سبق الاشارة فى فصل سابق ، حيث كان الاقطاعى الأكبر ممثلا فى الامام يستحوذ على كل شىء تقريبا وأفراد الطبقة الاقطاعية كانوا يرغبون فى الحلول محله أو مقاسمته والحصول على نصيب أفضل على الأقل ، مع التلويح ببعض الاصلاحات الشكلية والطفيفة على مستوى تنظيم الدولة اذا ما أتيح لهم تولى السلطة(٤) ، فحركة ١٩٤٨ ـ كما يقول مجموعة من تنظيم الضباط الأحرار الذين فجروا ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ ـ هى أشبه ما تكون بانقلاب القصر(٥) ·

هذا فيما يتعلق بشمال الوطن ، أما فيما يتعلق بالشطر الجنوبى من الوطن فان الاستعمار البريطانى كان قد نفذ مجموعة من الاجراءات الادارية منذ زمن طويل أعاقت أو امتصت على الأصح امكانية قيام حركة ثقافية أو معارضة سياسية للسلطة البريطانية فى أوساط الطبقة الاقطاعية والسلاطينية على غرار ما حدث فى الشمال ، وذلك حينما قامت الادارة الاستعمارية منذ زمن مبكر وبناء على دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية متعمقة بتقسيم المنطقة الى عدة امارات أو دويلات اقطاعية صغيرة منفصلة عن بعضها فيما عرف بالمحميات التسع ، وحضرموت ، ووضعت على رأس كل منها سلطانا أو أميرا يتصرف بأرضها وأهلها كيف يشاء تحت حماية الادارة الاستعمارية ودعمها ·

وهو بذلك قد قام بتوزيع مصالح الطبقة الاقطاعية وقسمتها بين أفراد هذه الطبقة قسمة شبه متوازنة ، حيث لم يشعر أفراد هذه الطبقة بالهضم

---

(٣) أقراء نص الميثاق الوطنى المقدس لحركة ١٩٤٨ الدستورية فى مجلة الحكمة اليمنية عدد فبراير سنة ١٩٧٣م ·

(٤) راجع حمود العودى : المنظور العامى للثقافة طبعة القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٢٠١ الى ٢٠٦ ·

(٥) راجع أسرار ووثائق الثورة اليمنية ، مرجع سابق ، ص ٣٢ الى ٣٦ ·

أو المعاناة من سوء توزيع المصالح فى ظل الادارة الاستعمارية فى الجنوب ، بل لقد وجدوا فى هـــذه الادارة أفضل حليف لهم فى المحافظة على هـــذه المصالح وتعميقها وحسن تنظيمها ، وذلك عكس ما كانت تعانيه غالبية أفراد هذه الطبقة نفسها فى الشمال من عضم وسوء توزيع المصـــالح السياسية والاقتصادية فى ظل دكتاتور اقطاعى كبير هو الامام المـــلك الذى دأب على الاستحواذ على كل شىء لنفسه ، مما قاد الى خلق معارضة قوية له داخل الطبقة الاقطاعية وداخل أسرته نفسها على نحو ما سبقت الاشارة فى الفصل السابق(٦) ٠

كما أن الاستعمار قد قام بفصل مدينة عـدن وجعلها منطقة تجـارية بحتة تابعة فى ادارتها للحاكم البريطانى فى الهند وحاول اشباع رغبـات كثير من العناصر البرجوازية والكمبرادورية المحلية والأجنبية فى الحصـول على بعض المداخيل التجـــارية الطفيلية من جراء قيـــامهم باستقبال السلع التجارية البريطانية وغيرها القادمة من الخارج والقيـام بتوزيعها وتوصيلها الى كل مناطق الداخل ، وتكريس هذا الوضع باعتباره أفضل بما لا يقاس اذا ما قورن بالأوضاع فى شمال الوطن بصفة عـــامة ، الأمر الذى أدى الى عرقلة نشوء حركة سياسية وطنية فى وقت مبكر فى الجنوب قبل انتشار المد القومى العربى بعد عام ١٩٤٨ واقتصار الحركة التعليمية والثقافية على خلق شريحة من الكتبة والمستخدمين نصف المؤهلين مهنيا ضمن الادارة الاستعمارية المدنية والعسكرية ، أو أعمال التجارة والبنوك الخاصة ، على نحو ما سنرى بعد قليل ٠

النشأة المعاصرة للمثقفين اليمنيين

أما النشأة الحديثة المعاصرة للمثقفين اليمنيين والتى تشكل الهـدف الأساسى فى موضوع بحثنا فانه يمكن تحديد بداية الاطار الزمنى والتاريخى لتكوينها فى أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات ، وهى البـــداية التى واكبت انتعاش الفـكر والتيارالقومى فى المنطقة العـــربية ككل ، كمدخل لمواجهة النكسة القومية التى حلت بالشعب الفلسطينى وتشريده من وطنه وقيام دولة اسرائيل من جهة وللحصول على الاستقلال السياسى من السيطرة الأجنبية الاستعمارية من جهة ثانية ، وتضييق نطـاق الوجود الاقطاعى على

---

(٦) راجع الفصل السابق ٠

المستوى السياسى والاقتصادى والاجتماعى من جهة ثالثة ، ومحاولة تحقيق الوحدة الوطنية والقومية من جهة رابعة ٠

حيث بدأ هذاالمد القومى المتصاعد بقيادة عبدالناصر فى مصر وبعض الجماعات والأحزاب السياسية البرجوازية فى سوريا والعراق ، بدأ يعكس ظله بوضوح كبير ليس على المنطقة العربية كلها فحسب بل وكثير من الشعوب الافريقية والآسيوية بصفة عامة ، وذلك فى شكل نشوء منظمات وتجمعات سياسية قومية ذات منحا وطنى برجوازى صغير ، وحركات جماهيرية وعسكرية نجح معظمها فى الاستيلاء على السلطة ، اما باجلاء المستعمر وتسلم الاستقلال ، أو عن طريق الانقلابات العسكرية ضد الطبقات القديمة الحاكمة ، كما حدث فى مصر وسوريا والجزائر وتونس والعراق وليبيا واليمن ، وأحيانا كان يحدث العكس حيث تتمكن الطبقات والجماعات الاقطاعية القديمة من استلام السلطة والاستقلال الشكلى من المحتل الأجنبى كما هى الحال بالنسبة للأردن والسعودية والمغرب وليبيا قبل ثورة الفاتح من سبتمبر ، ومناطق الخليج العربى ، أو طرد الجماعات اللبرالية منها بالقوة ، كما حدث فى الشطر الشمالى من الوطن بعد انقلاب الخامس من نوفمبر ، ومصر أخيرا ٠

ففى هذا المناخ القومى الساخن كانت النشأة المعاصرة للمثقفين العرب بصفة عامة ولليمنيين أيضابصفة خاصة ، ولقد ساعد على ذلك تزايد فرص التعليم من خلال الجامعات والمعاهد العليا وتبادل الايفاد للمبعوثين بتسهيلات كبيرة بين مختلف الأقطار العربية ومصر بالذات ، اضافة الى وسائل الاعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية التى تشهدها المنطقة والتى لعبت فيها مصر تحت قيادة عبدالناصر دورا قياديا وحيويا وفعالا الى أبعد الحدود ، الى الحد الذى لم يستطع أحد فى المنطقة العربية ممن كانوا يرغبون فى عزل أنفسهم عنها أن ينجحوا فى ذلك ولو بحدود دنيا ٠

ولقد كانت اليمن تحت حكم الامامة الملكية الاقطاعية هى أبرز مثل للتصلب ومحاولة فرض العزلة ومقاومة هذا المد القومى دون جدوى ، حيث يمكن لهذه الحقيقة أن تجد تعبيرها الصادق فيما عبر عنه السياسى البريطانى « هارولد أنجرمان » بقوله : لقد كان الامام يعرف قوة تاثير الراديو وبذل كل ما فى وسعه للسيطرة على استخدامه ، ولكن هزمه فى ذلك جهاز « الترانزستور » الصغير الذى لم يكن يزيد ثمنه على جنيهين وثلاثة

شلنات(٧) . ويمكن أن نقسم مرحلة النشأة هـــذه تقسيما موضوعيا الى مرحلتين أساسيتين ، الأولى منذ أواخر الأربعينات وحتى بداية الستينات ، قبيل قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٦٢ ، والمرحلة الثانية وهى تشمل العشر السنوات الأولى من قيام الثورة حتى أواسط السبعينات ، ويمكن الاشارة الى هاتين المرحلتين باختصار بمرحلة ما قبل الثورة ثم مرحلة ما بعدها على النحو التالى :

١ - مرحلة ما قبل الثـورة

بالرغم من التدنى المخيف لمستوى التعليم ووسائل الاعلام والثقافة الذى كان فى هـــذه المرحلة يصل الى ما يشبه العـــدم ، وحرص كل من الاستعمار فى الجنوب والامام فى الشمال على هذه الوضية ، فقد وجد هـذا المد القومى أصداءه المبـــاشرة وغير المباشرة داخل المجتمع اليمنى بوسـيلة أو بأخـرى ، فقد نجح عـــدد من المثقفين على قلتهم من أبنـــاء التجـــار والأرستقراطيات الاقطـــاعية فى استيعاب تيارات الفكر القومى السياسى والاجتماعى فى المنطقة العربية والعـــالمية ، ونقل بذورها الى داخل المجتمع اليمنى ، والذين كانوا يرسلونهم للتعليم المتوسط والجامعى أو العسـكرى فى مصر والعـــراق ولبنان ، بما فى ذلـــك مبعوثى الأسرة المالكة نفسها فى الشمال .

فقد خرجت من اليمن فى عهد الامام يحيى أول بعثة تعليمية تقريبـا حوالى عام ١٩٤٥ الى لبنان مكونة من أربعة وثلاثين طالبا وجميعهم دون المتوسط فى المستوى التعليمى ، وذلك بغـرض الحاقهم بمدرسة المقـاصد الاســـلامية بفرعيها فى صيدا وطرابلس ، من أجـل الدراسـة والتعمق فى المذاهب الشيعية وعلومها ، والتى ما تزال تعرف بها هذه المدرسة حتى اليوم ، حيث تم ارسال البعثة وتوزيعها على فرعى المدرسة ، وذلك بناء على اقتراح وطلب مسبق عرض على الامام من قبل بعض القائمين على هذه المدرسة عن طريق بعض المقربين للامام ، مثل الدكتور عدنان ترسيسى وهو لبنانى الأصل واكتسب الجنسية اليمنية ، والذى يبـدو أنه لعب الدور الأساسى فى هذا الموضوع واقنع الامام يحيى بارسال هذه البعثة الى بيروت(٨) .

---

(٧) هارولد انجرمان : اليمن الحكام والثورات ، طبع فى بريطانيا بالعربية عام ١٩٦٢ ، ص ١٢١ .

(٨) عبد الله جزيلان : التاريخ السرى للثورة اليمنية ، الطبعة الثانية فبراير سنة ١٩٧٩، مكتبة مدبولى شارع طلعت حرب - القاهرة ص ١٧ .

ولكن مجرى الأحداث لم يدع لهـــذه البعثة أن تسير فى نفس الخط الذى رسم لها ، فبعد حوالى ثلاث سنوات من وصولها الى بيروت قامت حركة ١٩٤٨ الوطنية التى انتهت بمقتل الامام يحيى نفسه وتولى ابنه الامام أحمد للحكم بعد القضاء على الحركة الوطنية بعد ٢٦ يوما ، حيث قرر الامام أحمد نقل البعثة من بيروت الى القـــاهرة نتيجة أزمة سياسية حدثت بينه وبين الحكومة اللبنانية وقتها ، والتى كانت قد قامت بمنح حق اللجوء السياسى للفضيل الورتلانى زعيم الاخوان المسلمين المنتدب من مصر الى اليمن ، والذى كان له ضلع أساسى فى حركة ١٩٤٨ ، ورفض حكومة رياض الصلح وقتها تسليمه للامام الجديد حسب طلبه ٠

وبعد وصول أفراد البعثة الى القاهرة تعددت اهتماماتهم وفق رغباتهم الخاصة الى حد ما ، ما بين مواصلة التعليم العام حتى الجامعة والالتحـاق بالكليات العسكرية بالنســبة للبعض الآخر(٩) ٠ وكانت البعثة الثـــانية فى عهد الامام يحيى المتجهة الى القاهرة عام ١٩٤٨ قد أعيدت من عدن بعـد مقتل الامام مباشرة وتولى ابنه أحمد ٠ كما أن بعثة عسكرية محدودة كانت قد أرسلت من قبل الى العراق للدراسة ، من بينهم المشير عبدالله الســلال الذى تولى رئاسة الجمهورية بعد الثورة مباشرة واستقدام عدد محدود جدا من الضباط العـراقيين للمساهمة فى تدريب الجيش اليمنى بعـــد رحيل الاتراك ، من بينهمجميل جمال الذى أعدم عام ١٩٤٨ ٠

وفى عام ١٩٥٤ أرسلت أول بعثة فى عهـــد الامام أحمد الى القاهرة للتعليم العام الاعدادى والثانوى مكونة من خمسين طالبا غالبيتهم من الأمراء وأبناء الأسرة المالـكة ، وحددت منطقة بنى سويف مقـــرا لدراستهم تحت اشراف مندوبين ومشرفين يمنيين مرافقين للبعثة ، حددهم الامـام بنفسه فى بنى سويف ، وظلوا هناك حتى عام ١٩٥٧ حيث نقلوا الى حلوان قرب الجسالة ، والتحق عشرة منهم بالـكلية العسكرية مع من سبقهم من بعثة بيروت ، ثم تقرر نقل الجميع ممن لم يلتحقوا بالكليات العســكرية والشرطة الى طنطا لمواصلة التعليم العام، حيث وصل عددهم هناك الى ما يقرب من مأتين مبعوث رسمى تحت أشراف يمنى خاص ، وظل أرســال المبعوثين يتوالى سنويا بشكل محدود ، حيث وصل مجموع المبعوثين الرسميين قبيل قيام الثورة عام ١٩٦٢ الى حوالى مائتين طالب ، معظمهم فى التعليم العام والبعض

---

(٩) المرجع السابق ، ص ١٨ ٠

الآخر قد التحق بالجامعات ، وعدد قليل منهم كان قد أكمل تعليمه الجامعى ، وكذلك العسكريين الذين تخرجوا فى وقت أسرع ٠

وبينما كانت هذه القناة الرسمية البطيئة لتسرب المبعوثين تعمل على هذا النحو كانت توجد هناك قناة أخرى موازية وغـــير رسمية أكثر بطئا ومحدودية لتسرب عناصر المبعوثين الى مصر وغيرها ، وذلك عن طريق نشاط حركة الاحرار اليمنيين (المعارضة السياسية) أو ما عرف بالاتحاد اليمنى ، الذى كان مقره فى عدن ، ثم أتخذ لهفرعا فى القاهرة بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م ٠ حيث كان يقوم بأرسال بعض الطلاب للدراسة فى مصر من ابناء التجار واللاجئين السياسيين وبعض النابهين على نفقته ، ومن خـلال جمع التبرعات من المهاجرين والتجار لهذا الغرض ، حيث وصل عدد الطلاب فى القاهرة من هذا النوع الى ما يزيد على خمسة وعشرين طالبا ، اضافة الى أبنـاء التجار الميسورين أنفسهم الذين كانوا يتمكنون من ارســال أبنائهم للدراسة فى الخارج على نفقاتهم الخاصة من خلال أقامتهم فى عدن ، أو يقومون بتعليمهم أثناء اقامتهم معهم فى أرض المهجر لمدة طويلة ٠

كما أن بعثات عسكرية ودراسية محدودة أخرى كانت قد أرسلت فى عهد الامام أحمد الى العراق ولبنان والصين والاتحاد السوفيتى ، مع ملاحظة أن ليس كل الذين خرجوا الى الخارج للدراسة ـ على قلتهم ـ قد تمكنوا من أتمام تعليمهم وتحولوا الى مثقفين ٠ هذا بالرغم من أن حركة ثقافية وتعليمية محدودة كانت قد بدأت بوادرها فى الداخل من خلال استقدام بعض البعثات التعليمية المحدودة جدا للتعليم العام والتعليم العسكرى ، وأتساع حركة الاعلام القومى من خلال الراديو والصحافة والاذاعـة الوطنية والخارجية ، ووجود أبعاد وأصول ثقافية لبرالية أصيلة لدى الكثير من العناصر الاجتماعية ذات الميول اللبرالية والوطنية الواضحة ، والمناوئة للسلطة بصورة مباشرة وغير مباشرة ٠ وبغض النظر عن مدى نجـــاح أولئك المبعوثين فى أكمال تعليمهم ، الا ان الأهم هو أنهم بفعل ما كان يحيط بهم من ظروف ذاتية وقومية مثيرة جدا منذ بداية الخمسينات قد تحولوا فى مجموعهم ورغم تباين أصولهم الطبقية والاجتماعية الى كتلة صخب مفعمة بالمشـــاعر والطموح الوطنى والاتجاه نحـو معارضـــة الســـلطة الملكية الامـامية فى الشمال والاستعمارية فى الجنوب داخل الوطن ، بما فى ذلك بـعض أفراد الاسرة المالكة أنفسهم من الأمراء الصغار ٠

حيث لم تكتفى هذه العناصر الموجودة فى القاهرة وسوريا وبيروت

وغيرها من الأقطار العربية باستيعاب الفكر القومى المتصاعد وقتها فى المنطقة فحسب ، وتغليبه تماما - ولو عاطفيا وشكليا - على كل الاحاسيس والمشاعر العائلية والانتمآت الطبقية التى قدموا منها ، بل لقد تجاوزوا ذلك الى الانخراط المباشر فى المنظمات والاحزات السياسية والقومية المعبرة عن ذلك فى المنطقة العربية ، كحزب البعث العربى الاشتراكى فى سوريا وحركة القومية العرب فى بيروت والتيار الناصرى غير المنظم فى القاهرة ، وحتى المنظمات والعناصر اليسارية والشيوعية التى كانت قد وجدت فى المنطقة بشكل محدود قد نجحت هى الأخرى فى كسب أنصار أقوياء من بين آفراد هؤلاء الطلاب اليمنيين ٠

ولم يتوقف الأمر بالنسبة لهؤلاء الطلاب اليمنيين عند هذا الحد بل لقد تجاوزه بسرعة الى حد القيام بتأسيس فروع سياسية لتلك الاحزاب والمنظمات القومية داخل اليمن نفسها ، بمجرد عودتهم من الدراسة وحتى أثناء الاجازات الصيفية التى كانوا يذهبون لقضائها هناك ، حيث شكلت تلك الفروع السياسية والحزبية ، كحزب البعث العربى الاشتراكى وحركة القوميين العرب ، والشبيبة الشيوعية ، البذور الحقيقية للعمل السياسى المعاصر فى اليمن وقنوات الفكر والثقافة الجديدة التى أدت مهمتها بنجاح ، ولم يحن حلول عام ١٩٦٢ وهـــو عام قيام الثورة ، الا وقد تركت تلك المنظمات والأحزاب بصماتها الواضحة على مجرى الحركة الوطنية فى اليمن بصفة عامة بما فى ذلك حدث الثورة نفسه ، على نحو ما سيتضح فيما بعد ، حينما نقوم بتحليل حدث الثورة عام ١٩٦٢ كانجاز قومى وبرجوازى وطنى صغير لهذا التيار الجديد ٠

وفى الشطر الجنوبى من الوطن بالذات كان تركيز الادارة الاستعمارية على توجيه الحركة التعليمية التى أوجدتها فى مدينة عدن وحـــدها ، فى حدود ما يضمن توفير متطلبات الادارة الاستعمارية المدنية والعسكرية من الكتبة أنصاف المؤهلين مهنيا ومستخدمى الجيش والشرطة الأقل تأهيلا ، اضافة الى ما تتطلبه أنشطة البنوك والأعمال التجارية الخاصة ٠

حيث ما لبثت رياح المد القومى العربى أن تصل الى المنطقة فى أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات حتى وجدت فى هذه العناصر التى كانت قد تشبعت بها مدينة عدن بالذات أداتهـــا الأولى فى أثارة الحس القومى فى المنطقة وتصعيد حركته بسرعة على المستوى السياسى والثقافى ، فالى جانب أن هذه العناصر قد نجحت فى أن شكلت الصدى المباشر لـكل الأحداث

القومية داخل المنطقة أبتداء من أثارة الوعى والشعور القومى مرورا بالعدوان الثلاثى على مصر وأنفصال الوحدة مع سوريا وانتهاء بالاندفاع والمشاركة غير المحدودة فى الدفاع عن ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ودعمها فى شمال الوطن بلا حدود ، فقـــد نجحت كذلك فى تأسيس منظمات وأحزاب سياسية كأنعكاس وتعبير عن كل هذه التطورات بصفة عامة ، كحزب الشعب الاشتراكى والمؤتمر العمالى ورابطة أبناء الجنوب ٠٠ الخ ٠

واذا كان النظام الاقطاعى الرجعى فى الشمال قد خاب ظنه وجنى ثمار عكسية مما اراده من خلال البعثات المحدودة الى الخارج كمجرد خدم أو أتباع ومبشرين ومنظرين لأفكار الطبقة الاقطاعية على نحو ما سبقت الاشارة، فان النظام الاستعمارى فى الجنوب قد أخفق هو الآخـر فى النهاية فى أن يجعل من العملية التعليمية المحدودة فى مدينة عدن مجرد مصدر للحصول على الكتبة والمستخدمين المطيعين الى ما لا نهاية ، لأنه من بين أوساط هذه الفئة من الموظفين والمستخدمين والعمال الدائمين فى الشركات الأجنبية فى عدن نشأت كل بذور الثقافة المعاصرة والمثقفين المعاصرين فى المنطقة على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم الحديثة ، على مستوى اليمن بصفة عامة وليس عدن وحدها ٠

ونحن لا نزال نتذكر جيدا الدور الذى لعبته كلية بلقيس فى عدن ، وهى كانت عبارة عن مدرسة عليا متكاملة ذات اهتمامات تعليمية مختلفة فوق المتوسط بقليل ، وكيف شكلت همزة وصل قوية لنشأة البذور الأولى للمثقفين اليمنيين بصفة عامة وملتقى اهتماماتهم ونشاطهم بصفة شبه دائمة قبل قيام الثورة فى الشمال ، سواء من خلال التعلم أو التعليم فيها ٠

أما بالنسبة للريف فقد كان يعانى عزلة وحرمانا تاما من العمليـــة التعليمية فى الجنوب والشمال على الســواء ، خصـــوصا اذا ما تذكرنا ما سبقت اليه الاشارة من قيام الادارة الاستعمارية بفصل عدن سياسيا واجتماعيا عن بقية أجزاء الجنوب وبدء تكريس فكرة « عدن للعدنيين » التى تبنتها بعض التجمعات السياسية المنحرفة فيما بعد ، وان كل النشـــاط السياسى والثقافى المشار اليه سابقا قد تمحور الى حد كبير داخل مدينة عدن ولم يكن يتجاوزها لا بصورة مباشرة ولا غير مباشرة ، أو حتى يعلم ماذا كان يجرى بجمـــوع الشعب فى الريف من الفـــلاحين تحت نير التسلط الاستعمارى والاقطاعى الســـلاطينى المزدوج ، خـــارج حدود هذه المدينة وضواحيها ، وهو الأمر الذى أدى الى تشوه تلك الحركة الثقافية وتقوقعها فى نطاق ضيق قبل عام ١٩٦٢ ، وفشلها فى مسايرة الأحداث والتطورات

بعد ثورة سبتمبر فى الشمال والرابع عشر من أكتوبر فى الجنوب التى اعلنت بدء حرب التحرير الشعبية فى الجنوب من الريف وليس من المدينة ، حيث عجزت تيارات تلك الحركة بكل تجمعاتها السياسية وبحكم أفاقهـا البرجوازية والاقطاعية الضيقة وتربيتها السياسية والفكرية المنحرفة فى ظل الادارة الاستعمارية ، عجزت عن تفهم المتغيرات الوطنية الجديدة ، فمالت الى الاتجاه المضاد فى الغالب الأعم أو ممارسة المواقف السلبية فى أحسن الأحوال ، وذلك على نحو ما سنوضحه فى مكان لاحق من هذا الفصل عند الحديث عن الأبعاد والانتماءات الطبقية والفكرية للمثقفين اليمنيين وأثرها فى تحديد مواقفهم السابقة واللاحقة ٠

٢ ـ مرحلة ما بعد الثورة :

ما يهمنا هنا فى هذه الفترة بالنسبة للنشأة المعاصرة للمثقفين اليمنيين هو أن الثورة بقدر ما أنها كانت أنجازا مباشرة للعناصر السياسية الوطنية المثقفة السابقة لعام ١٩٦٢ على مستوى الشمال والجنوب وعلى نحو ما سبق وما سيأتى تحليله بصورة أكثر تفصيلا ، فـانها قد شكلت قفزة كبيرة بالنسبة لهؤلاء المثقفين جميعا وأوجـدت لهم أرضية رحبة جديدة للنمو والتطور السريع من الناحية الكمية ، ومن داخل المجتمع نفسه وليس من خارجه فقط ، كما هو الحال بالنسبة للمرحلة السابقة ٠

وذلك من خلال أنخراط آلاف الشباب فى نظام التعليم العام الذى باشرت الثورة تنظيمه فى الشمال على أسس حـديثة ، منذ اليوم الأول لقيامها ، وفتح الكليات والمعاهد العسكرية للجيش والشرطة ، وأيفاد آلاف الطـلاب الى مختلف الدول العربية والأجنبية للتعليم المتوسط والجامعى والعسكرى أيضا ، فى أطار من التوحد الوطنى الذى لم يحدد فيه أى صفة مميزة لأبناء الشمال أو الجنوب ، ما عدا مزيدا من الدعم وتقديم العـون لأبناء الجنوب بحكم ظروف المرحلة التى تمر بها المنطقة من نضال ضـد الاستعمار ٠

حيث تطور عدد الطلاب فى المرحلـة الثانوية بعد الثورة مما يشبه « لا شىء » خلال عام ٦٢ ـ ١٩٦٣ والذى لم يكن يتجاوز ٨٤ طالبا ، ليصل فى عام ٧٤ ـ ١٩٧٥ الى ٤٣٥٠ طالبا منهم ١٩٧ طالبة(١٠) ، ووصل هذا

---

(١٠) الجهاز المركزى للتخطيط ـ صنعاء : كتاب الاحصاء لعام ١٩٧٦ ، ص ١٥١ ٠

المعدل فى عام ٧٨ ـ ٧٩ الى ٢٤٩٠٧ طالبا ، كما يتوقع أن يصل هذا الرقم فى العام الدارسى ٧٩ ـ ١٩٨٠ الى ٣٩٨٥١ طالبا(١١) · كما تطور عدد طلاب جامعة صنعاء منذ افتتاحها عام ٧٠ ـ ١٩٧١ من ٥٦ طالبا الى ١٠٧٥ طالبا عام ٧٤ ـ ١٩٧٥(١٢) · ويصل هذا الرقم الى أكثر من خمسة ألف طالب فى الوقت الحاضر (٧٩ ـ ١٩٨٠) فى مختلف التخصصات · كما أزدهرت حركة الايفاد الى الخارج للتعليم الجامعى بشكل لم تعرفه اليمن من قبل ، حيث يصل مجموع الموفدين للتعليم الجامعى والعالى فى الدول العربية والأجنبية فى الوقت الحاضر الى ما يقرب من أربعة آلاف طالب وطالبة منهم قرابة ألفى طالب فى مصر وحدها(١٣) فى مختلف التخصصات ·

وهذا لا يعنى أن هذه النسب تحقق المعدل المطلوب أو حتى ما يقرب منه بالنسبة لعدد السكان ومنهم فى سن التعليم الفعلى ، حيث أنه بالرغم من أن المرحلة الثانوية وهى أفضل مقياس يأخذ به فى معرفة معدل التعليم بالنسبة لعدد السكان فى أى مجتمع قد أستقبلت عام ٧٨ ـ ١٩٧٩ حوالى أربعة وعشرين ألف طالب فان العدد المطلوب استيعابه ممن هم فى سن التعليم الثانوى فعلا يصل الى أكثر من ٣٥٥٥٦٩ طالبا فى شمال الوطن وحده(١٤) ·

يضاف الى ذلك الكليات والمعاهد العسكرية ، حيث أدى هذا التحول الكمى الجديد فى مستوى التعليم الى خلق أرضية خصبة لازدهار حركة المثقفين وزيادة أعدادهم وأنشطتهم السياسية والثقافية ، هذا من الناحية الكمية · وعلى نطاق الشطر الجنوبى من الوطن حدثت تطورات حاسمة فى هذا الشأن حيث تذكر احدا وثائق الثورة الوطنية الديمقراطية فى اليمن ان بلادنا قد شهدت بعد الاستقلال عام١٩٦٧ نهضة فى بناء المدارس واستيعاب آلاف التلاميذ حيث بلغ عددهم فى عام ٧٠ ـ ١٩٧١، ١٤٠٠٦ طالب وطالبة، أى بزيادة تقدر ٥ر١١٠٪ وكان مجموع عدد المدارس فى عام ٦٦ ـ ١٩٦٧م ٢٦٨ مدرسة

---

(١١) عبد الله الكميم : مؤشرات المستقبل التعليمى واختلال توازنه فى الجمهورية العربية اليمنية . مقال فى مجلة الغد اليمنية عدد يناير ـ فبراير ١٩٧٨ ، ص ٣٩ ·

(١٢) الجهاز المركزى للتخطيط، كتاب الاحصاء لعام ١٩٧٦ ، ص ١٥٩ ·

(١٣) ادارة البعثات المنية بالقاهرة ·

(١٤) عبد الله الكميم : مؤشرات المستقبل التعليمى واختلال توازنه فى الجمهورية العربية اليمنية ، مقال فى مجلة الغد اليمنية عدد يناير فبراير سنة ١٩٧٨ ، ص ٣٧ ·

ابتدائية واعدادية وثانوية بينما بلغ عـــددها فى عام ٧٠ - ١٩٧١م ٩١٥ مدرسة ، أى بزيادة تقدر بـ ٤ر٢٤١٪(١٥) ومن المؤكد آن هذه الأرقام قد تم تجاوزها بكثير وتضاعفت عدة مرات منذ عام ١٩٧٢ وحتى الآن ٠

أما من الناحية الكيفية فقد أستمرت مفاهيمهم السياسية والثقافيـة والقومية على نفس النمط الذى بدأه سابقوهم قبيل الثورة ومن خلال نفس المنظمات السياسية والحزبية ونفس المفاهيم والاتجاهات القومية والمثاليـة وبمقاييس كمية وكيفية أكثر حدة وفاعلية على أرض الواقـع الجديد الذى أتاحته الثورة ببعدها الوطنى والقومى الواضح فى الشمال وحرب التحرير المضطرمة فى الجنوب ، وتلك هى القفزة الـــكمية الأولى فى تكوين المثقفين اليمنيين بصفة عامة ، أما القفزة الكمية والكيفية الثانية الأكثر أهمية فى تقديرنا ، فهى التى حدثت بعد الاستقـلال للشـــطر الجنوبى للوطن عام ١٩٦٧م ، والتى لم تقتصر على الكم هذه المرة ، ولكنها قد جاءت تطورا كميا وكيفيا بالدرجة الأولى ، وعلى امتداد الوطن بأسره وليس فى حدود طبقية أو أقليمية ضيقة كما كان يحدث فى الماضى ، سواء من خلال تعميم العملية التعليمية الثورية بأعتبارها حق من حقوق كل مواطن وضرورة من ضرورات الحياة لكل طفل ، أو من خلال العملية السياسية والثقافية والفكرية ٠

حيث أنه بالرغم من تعثر هذه العمليـــة ككل فى شمال الوطن بعد انقلاب الخامس من نوفمبر سنة ١٩٦٧ فان زمام المبادرة قد انتقل بعمق الى جنوب الوطن وبفاعلية وطنية وثورية أكثر ، وحقق كل أبعاده السياسية والثقافية والوطنية على مستوى الوطن ككل ، وقطع مراحل كبيرة وهامـة وما يزال كذلك حتى الآن يتقدم فى الاتجاه الصحيح وبخطا حثيثة أكثر فأكثر ٠

الثورة كانجاز قومى وطنى برجوازى صغير

بالرغم من طبيعة الظروف القاسية التى كانت تعمل فى ظلها الأحزاب والمنظمات القومية والبرجوازية الصغيرة الخاصة بالمثقفين المعاصرين الا أنها قد أكدت نفسها بمرور الوقت كبديـل حقيقى لجمـاعات مثقفـة وأحزاب سياسية قديمة ذات بعد أقطاعى مباشر وأصلاحى الى حد ما سبقت الاشارة

---

(١٥) الثورة الوطنية الديمقراطية فى اليمن (سلسلة وثائق) ، دار ابن خلدون بيروت ١٩٧٣ ، ص ٥٢ ٠

اليه ، كما استطاعت أن تشكل نواة حقيقية متنامية كما وكيفا للفكـــر البرجوازى الوطنى والقومى طوال عقد الخمسينات ، تدعمها حيوية الظروف القومية المحيطة الى الحد الذى يمكن اعتبار ثورة الســادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ فى الشمال والرابع عشر من أكتوبر ١٩٦٣ كامتداد مباشر فى الجنوب ، هى انجاز واقعى مؤكد لهذا الفكر القومى المتنامى وترجمة حقيقية لطموحاته البرجوازية الوطنية الصغيرة على النطاق المحلى والقومى ، ذلك أنه بالرغم من أن جماعة الضباط الاحرار الذين فجروا حدث ثورة السادس والعشرين من سبتمبر قد رتبوا لمهمتهم وخططوا لها من أول خطوة الى آخر خطوة بعيدا عن كل الأشكال الأولية للتنظيمات والأحزاب السياسية الموجودة فعلا سواء التقليدية منها أو الحديثة ، وكان دور هذه التنظيمات بالنسبة للحدث هو من الدرجة الثانية والثالثة ٠

الا أن هؤلاء الضباط الشبان أنفسهم لم يكونوا مجرد عناصر عسكرية فحسب ، بل كانوا أيضا عناصر سياسية مثقفة ولها انتمآتها الحزبية خارج نطاق مهمتها العسكرية ، ضمن المنظمات والأحزاب السياسية القـــومية الجديدة بالفعل ، وبالذات فيما يتعلق بحـزب البعث العربى الاشتراكى وحركة القوميين العرب ، حيث كان لهذا البعد السياسى المنظم أثره العميق فى أنضاج موقفهم والوصول بالحدث الى نهايته ٠

هذا من جهة ومن جهة ثانية فان المتتبع للفترة الزمنية منذ بدأ الضباط الأحرار بتكوين تنظيمهم السياسى الخاص والاعداد للقيام بالثورة حتى التنفيذ الفعلى والتى لا تتجـــاوز ثمانية أشهر فقط(١٦) يستطيع أن يستنتج من خلال ذلك حقيقة موضوعية هامة تؤكد ما سبقت الاشارة اليه ، وهى أن فترة زمنية كهذه لم تكن لتكفى قط لتكوين تنظيم سياسى ابتداء من الصفر ويتمكن فى نفس الفترة من أسقاط سلطة اقطاعية ملكية وأقامة سلطـــة برجوازية وطنية جمهورية فى بلد يعانى من الأمية الأبجدية ، وان مثل هذه الفترة لم تكن لتكفى الا لاعداد خطة عسكرية قابلة للتنفيذ فى نطاق تنظيم أو بعد سياسى واجتماعى وقومى معين ، الأمر الذى كان كذلك بالفعل ، فانتمآت هؤلاء الضباط السياسية المنظمة الى حد ما من جهة ، والظروف المحلية والقومية المحيطة وقتها من جهة أخرى كانت هى الأبعاد السياسية

---

(١٦) راجع لجنة تنظيم الضباط الأحرار : أسرار ووثائق الثورة اليمنية ، دار العودة بيروت ١٩٧٨ ، ص ١٧٨ ٠

والاجتماعية الحقيقية التى كانت تكمن وراء أقدامهم على انجاز هذا الحدث التاريخى الهام ، كما أن ضباط الثورة أنفسهم لا ينكرون هذه الحقيقة والتى سجلوها فى وثيقتهم التاريخية الجديدة « كتاب اسرار ووثائق الثورة اليمنية » المنشور عام ١٩٧٨ ، اذ يذكرون ما نصه : وكان عدد من طلاب المدرسة الثانوية قبل ان يلتحقوا بالكلية الحربية قد اعتنقوا مبادىء حزب البعث العربى الاشتراكى ، وفى الكلية الحربية نقلت البيئة المدرسية والفكرية نفسها دون نقصان الى الساحة العسكرية(١٧) · وبالرغم من أن الكتاب ينفى كليا فى نفس الصفحة وجود عناصر عسكرية تنتمى لحركة القوميين العرب واقتصارها على صفوف الطلاب والمدنيين ، الا ان هذا الأمر يفتقر الى الصحة ولو بحد نسبى ·

وهنا قد يتساءل البعض ، اذا كان الأمر كذلك فلماذا أذن نفذ هؤلاء الضباط مهمتهم دون العودة الى انتماآتهم السياسية أو بمعزل عنها على الأقل ؟ والرد على مثل هذا التساءل الموضوعى يكمن فى الآتى :

(أ) ان التنظيمات السياسية وقتها كانت ما تزال فى دور التكوين تقريبا وتعمل فى ظل ظروف سياسية قاسية ، ولم تصل بعد فى انضباطها السياسى والتنظيمى بحيث تشكل اطارا مأمونا وموثوقا به للاعداد لمثل هذه المهمة الصعبة والخطيرة فى ظل سلطة قمع اقطاعية رهيبة(١٨) ·

(ب) أن الاطار القومى العربى المزدحم وقتها بأحداث ثورات الجيش وحده على الأنظمة الملكية واقامة الأنظمة الجمهورية ، كما حدث فى مصر والعراق وسوريا ، والذى كان قد عكس ظله بوضوح ليس على هؤلاء الضباط الشبان وحدهم واستشعارهم بأنهم هم المسئولون وحدهم عن القيام بهذه المهمة فحسب ، بل وعلى الرأى العام نفسه ، الذى بدأ يهمس بتوقع قيام الجيش اليمنى بمهمة مماثلة بما حدث هنا أو هناك ·

(ج) أن المد القومى بصفة عامة ، والناصرى منه على وجه التحديد ، وهو الأقوى والمتغلب وقتها فى المنطقة العربية كلها لم يكن يحبذ العمل السياسى المنظم أو الحزبى أو يعلق عليه اى أهمية تذكر فى انجاز الأحداث السياسية الهامة ، وعلى العكس من ذلك فقد مال الى مقاومته وقمعه فى

---

(١٧) اسرار ووثائق الثورة اليمنية ، ص ١٠٠ و ١٠١ ·
(١٨) المرجع السابق ، ص ١٠١ و ١٠٢ ·

كثير من الأحيان ، الأمر الذى عكس نفسه على نفسية هؤلاء الضباط وتصرفهم وطموحهم ، حيث أنه بالرغم من علاقتهم التنظيمية بالأحزاب والمنظمات السياسية التى أسهمت فى تكوين وعيهم السياسى أصلا ، الا أنهم كانوا لكل الأسباب السابقة لا يطمئنون ولا يثقون بها ، وينظرون اليها باعتبار انها أقل مستوى وأهمية ، وأقل جدارة منهم فى القيـــام بالثورة وممارسة السلطة ، الأمر الذى يمكن استخلاصه بوضوح وبصورة مباشرة وغير مباشرة من خلال ما أورده ضباط الثورة فى وثيقتهم التاريخية المشار اليها سابقا بالقول : ولم يكن ضباط الجيش أيضا بمنائى عن هذه التيارات وان كان تأثرهم بالتجربة الناصرية فى مصر ، أقرب الى أفـــكارهم ، من تفصيلات الايدولوجيات المتصارعة فى العالم العربى · وذلك فى فترة كانوا يشعرون فيها بعدم قدرة التيـارات والأحزاب عن عمـــل مؤثر يغير مجرى الحياة السياسية(١٩) · وتلك هى الظاهرة المرضية الخطيرة التى سيطرت على كل المنطقة العربية ومعظم الأقطار النامية والمتخلفة وما تزال حتى الآن ، وتتجرع بسببها هذه المجتمعات ألوانا من المشاكل والمحن الداخلية والخارجية ، من جراء طموحات المؤسسات العسكرية واصرارها المعزز بالعنف على الاستيلاء على السلطة منفردة ، بغض النظر عن تقديم صدق النوايا الحسنة والاختلاف النسبى من مجتمع لآخر ·

وهكذا نستطيع أن نؤكد فى الأخير حقيقة أن ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ هى أنجاز مد أتلاف برجوازى وطنى وقومى واسع النطاق لفئة من المثقفين وأشباه المثقفين السياسيين ذوى الأصول الاجتماعية والطبقية المتباينة تمام التباين ، وأشبه ما تكون بعملية الاتلاف القومى الذى كان يتم فى مجتمعات كثيرة فى سبيل مواجهة المحتل الأجنبى ، فقد كان طول معاناتهم ومعانات الواقع الاجتماعى من حولهم الذى تمخض عن هذا الحدث التاريخى الحاسم بواسطة تلك المجموعة الطليعية من الضباط الشباب المسيسين هو بكـل مضامينه وأبعاده السياسية والاجتماعية أشبه بعملية التحرر الســياسى والحصول على الاستقلال من المحتل الأجنبى تماما اذا ما نظر اليه من الناحية الموضوعية وتجاوزنا النواحى الشكلية تماما ·

أما من حيث النتائج الموضوعية فان الأمر لم يكن يختلف فى شىء · فقد كانت كل الفئات والطبقات الاجتماعية تعانى من ظلم وقهر دكتاتور

---

(١٩) اسرار ووثائق الثورة اليمنية ، ص ٤٠ ·

اقطاعي واحد هو « الامام الملك » الذى يملك كل شيء ويتصرف فى كل شيء بلا منازع ، سواء أن كانت هذه الفئات والطبقات اقطاعية أو برجوازية أو غيرها ، حتى أخوة هذاالدكتاتور المتخلف وأفراد أسرته أنفسهم كان يحل خلافاته معهم بحد السيف أكثر من مرة(٢٠) .

وكان الكل متفق على العمل بلا كلل فى سبيل التخلص من هـذا الكابوس الفردى والعائلى المتهور ، والكل مختلفين تماما ـ خلاف غير معلن ـ فى تحديد صورة مستقبل ما بعد اسقاط هذا الدكتاتور الاقطاعى الكبير المتفرد ، كل وفق مصلحته وطبيعة تفكيره وانتمائه الطبقى ، فالاقطاع الاقتصادى والعشائرى والسياسى كان يحدد هذه الصورة فى شكل أعادة توزيع امتيازات السلطة والثروة بصورة أكثر عدلا فيما بين أفراد هذه الطبقة ، بدلا من أحتكارها لصالح شخص واحد هو « الامام الملك » واقتصار نصيبهم على ما يحدده هو بطريقة لا تشبع كل متطلباتهم وطموحاتهم كأفراد طبقة اقطاعية ، ولا شيء أكثر من هذا ، فلقد كان أفراد هذه الطبقة ينظرون الى التغيير والثورة بنوع من الشك والريبة ويخافونه ويكرهونه أكثر مما يخافون ويكرهون البقاء على ما هم عليه ، باعتبار أن الثورة بالمفهوم الذى صار يطرح وقتها على المستوى القومى هى عملية خطرة وتتجاوز حدود طاقتهم وحدود ما يرغبون ويحرصون علىالوقوفعنده ، خصوصا وأنالأحداث القومية المحيطة فى مصر وغيرها قد أقنعتهم بذلك ، ولهذا أحجمت هذه الطبقة تماما عن المشاركة فى اعداد للثورة بمفهومها القومى والوطنى ، أو على الأصح عجزت عن اللحاق بهذا المفهوم والمشاركة فيه ، ومالت الى مقاومته والوقوف منه موقفا سلبيا فى أحسن الأحوال ، وذلك على خلاف ما حدث من حركات سياسية فى عام ١٩٤٨ ، ١٩٥٥ حيث كانت عناصر هذه الطبقة تقوم بالدور الأساسى المباشر فيها ضد الدكتاتورية الفردية للامام الملك ، وبآفق سياسى أو اجتماعى معين يتناسب وطبيعة مصالح هذه الطبقة وفكرها.

بل لقد وصل الأمر بهذه الفئة الاقطاعية الأصل والمذهب أنه عند ما جاء النعمان كواحد من أبرز قادة هذه الحركة الى القاهرة فى مطلع الخمسينات اتضح ان الاتحاد اليمنى وهو الاطار التنظيمى لهذه الحركة قد أحيا فكرته القديمة فى ضرورة وجود « مستبد عادل » لاصلاح الأحوال فى اليمن ، ومن

---

(٢٠) هذه الحقيقة لا تحتاج الى برهان ، ويكفى ما حدث للأمير عبد الله والعباسى أخوة الأمام أحمد بعد حركة ١٩٥٥ فى تعز وغيرهم .

جهة أخرى كانوا - كما يذكر مجموعة من ضبـــاط سبتمبر - يصورون البيعة للبدر بأنها أول مسمار يدق فى نعش أسرة حميد الدين(٢١) ٠

واذا كان الكثير من أبناء هذه الطبقة « المثقفين الشبان » قد شاركوا فى الحركة الوطنية وساهموا فى تفجير الثورة بأدوار فعالة ، فانهم لم يفعلوا ذلك كممثلين لفكر طبقاتهم وموقفها أبدا ، بل باعتبارهم مثقفين سياسيين وطنيين وقوميين ، ومن مواقع خلافية بارزة مع أصولهم الطبقية ٠

هذا فى الوقت الذى كانت فيه البرجوازية التجارية المتوسطة والكبيرة ترسم صورة أخرى لهذا المستقبل،تمثل فى رفع القيود والحواجز امام حركة الاستيراد والتوزيع التجارى الدولى واقامة المؤسسات والمرافق العامة اللازمة لذلك من بنوك وطرق وموانىء ومطارات وشوارع ٠٠٠ الخ ٠

واستصدار كل التشريعات والقوانين التى تضمن تأمين وحماية كل ذلك ، وبالتالى ضرورة اجراء بعض التعديلات الجوهرية فى طبيعة السلطة السياسية والواقع الاجتماعى نفسه بما ينسجم وهذا التوجه ٠

لذلك فقد كان أفراد هذه الطبقة البرجوازية الناشئة هم أكثر معاناة وحرصا على تغيير الأوضاع بالنسبة لأفراد الطبقة السابقة ، وبالتالى فقد كانوا - على خلاف أفراد الطبقة السابقة - هم أكثر وطنية وطموحا وحرصا على التغيير والثورة بكل تأكيد(٢٢) وكان طراز المد القومى الوطنى السائد فى الداخل والخارج ينسجم الى حـــد ما وطموحات أفراد هذه الطبقة فى المجتمع اليمنى بالذات ، نظرا لبعد هذه الطبقة عن السلطة من جهة وحالة النشوء الأولى التى ما تزال تعيشها من جهة ثانية ، وشدة ما تعانيه من قهر وحرمان وتحطيم لطموحاتها من قبل السلطة الامامية من جهة ثالثة ٠ ولذلك فانها وقفت موقفا ايجابيا مع الثورة قبل قيامها والى ما بعد قيامها بسنوات قليلة فقط ، وحققت من خلالها الكثير من طموحاتها حتى الآن أكثر من أى طبقة أو فئة أخرى فى المجتمع ٠

أما المثقفون السياسيون الذين أفرزتهم هذه الطبقات وغيرها على نحو ما سبق ذكره ، وجسدت من خلالهم اتلافها المؤقت والفعال لمرحلة ما قبل

---

(٢١) أسرار ووثائق الثورة اليمنية ، ص ٣٥ ٠

(٢٢) راجع أسرار ووثائق الثورة اليمنية ، ص ٣٦ ٠

اسقاط السلطة وجعلوا من أنفسهم ما يشبه رأس الحربة المتقدمة فى عملية النضال ومواجهة السلطة المستبدة حتى النهاية ، فانهم بدورهم قد قاموا برسم صورة ثالثة مغايرة للصورتين السابقتين ، صورة تخصهم أساسها الطموح القومى فى اقامة دولة وطنية حديثة ، واجراء بعض الاصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية على أساس المصلحة القومية العامة والمشتركة بين كل أفراد المجتمع ، والحد من مظاهر القهر والاستغلال الطبقى والفردى ، الى حد المناداة بتطبيق بعض الاجراءات الاشتراكية ويتعاطف معهم فى هذا التوجه غالبية الرأى العام وبعض أفراد طبقة الفلاحين المتنورين فى الريف والتجمعات العمالية المحدودة فى المدن ٠

الأساس الطبقى لنشأة المثقفين اليمنيين العاصرين

وقبل ان نتحدث عن سير الأحداث التى تمت بالفعل بعد قيام الثورة فى ضوء كل المفاهيم والتصورات السابقة ، وما انتهت اليه بالفعل ، دعونا نتحدث أولا عن الاطار الاجتماعى لنشأة المثقفين اليمنيين ، نظرا لما تأكد من الأهمية البالغة لهذه المسألة وتأثيرها فى سير أحداث ما بعد قيام الثورة عام ١٩٦٢ وحتى الآن ٠

فبمراجعة بسيطة للبعثات اليمنية المبكرة فى الأربعينات للدراسة فى الخارج ولتى سبق لنا أن أعتبرناها البداية المعاصرة لتكوين المثقفين اليمنيين المعاصرين والثقافة والفكر المعاصر فى اليمن وكان لهم دورا حاسما فى الأحداث على نحو ما سبقت الاشارة ، نلاحظ أن اختيار أفرادها قد تم على أساس انتقائى واضح فيه الغلبة للاسرة المالكة والوسط الاقطاعى والارستقراطى القريب منها ، وان الحالات الاستثنائية التى اتيح من خلالها تسرب عناصر قليلة من الطبقة الوسطى أو الفقيرة قد تم أما فى ضوء افتراضات وفهم خاطىء من قبل السلطة الموفدة رسميا ، أو عن طريق توفير فرص التعليم لبعض أفراد الطبقة الوسطى وأبناء المهاجرين بالذات على نفقات أهلهم وبتشجيع ومساعدة الحركة السياسية المعارضة للسلطة فى عدن ٠

فلقد تكونت أول بعثة تعليمية عسكرية الى العراق بعد خروج الاتراك من اليمن من حوالى عشرة طلاب بغرض ايجاد نواة قيادية لتنظيم الجيش اليمنى بعد رحيل الاتراك ، وبالرغم من أن معظم أفراد هذه البعثة كان من أوساط فئات اجتماعية متوسطة فى الغالب ولم تكن لهم السبغة الارستقراطية

أو الاقطـــاعية الكبيرة أو العـــلاقة المبـاشرة بالاسرة المـــالكة والسلطة السياسية(٢٣) . الا أن هذا الاختيار لم يكن مقصودا لذاته ، بقدر ما أنه كان عبارة عن سوء فهم ونتيجة تقديرات خاطئة من قبل العقلية الاقطاعية المتسلطة والمتخلفة للامام يحيى الذى تسلم السلطة من الاتراك ، حيث كانت التقديرات والنوايا التى تكمن وراء اقتناع الامام بارسال هذه البعثة هى أسواء بكثير مما لو كان قد اختار أفرادها من بين أفراد الاسرة المالكة أو الارستقراطيات الأخرى ، ذلك أنه بتفكيره الردىء وعقليته المتخلفة قد وافق على أفراد هذه البعثة بهذا الشكل فى ضوء ثلاثة اعتبارات أساسية ، وذلك أما لأن بعضهم هو بحكم ما يفترض عادة من خرافة الصـــلة الدمـــوية لانتسابهم معه الى البيت الهاشمى من جهة وكونهم ليسو قط من الطامعين فى منافسته على السلطة فى نفس الوقت من جهة أخرى ، وان البعض الآخر حتى وان لم يعترف لهم بشرف الانتماء لهذا النسب الوهمى أو لغيره من الأنساب والألقاب الاقطاعية والارستقراطية الشهيرة الا أن لديهم من وازع التشيع والتعصب المذهبى وحب الامام وخدمته وطاعته ما يجعلهم محل ثقته الى هذا الحد ، وأما أن الجيش والخدمة العسكرية وفقا للعقلية الاقطاعية ليست من اختصاص أبناء « الذوات » ولكنها من اختصاص « رعاع الناس » ومتوسطيهم على الأكثر ، باعتبار أن الجندية هى خـــدمة للقصر والحاشية وحراسة على الأبواب وتوفير متطلبات المنازل من الأسواق والبطش بالشعب والتنكيل به اذا خرج عن طاعة الامام أو شكا ظلمه اليه ، وليست خدمـــة للوطن ودفاعا عن حريته وسيادته .

فقد كانت كل هذه الاعتبارات متفرقة أو مجتمعة هى أساس تفكير الامام فى هذه المسألة وغيرها من المسائل المتصلة بهذا الشأن وبالسياسة العامة بصفة عامة ، ولكن الرياح كما يقول المثل قد سارت بما لا تشتهى السفن ، أو بما لا تشتهى سفن الامام بالنسبة لهذه البعثة وغيرها على نحو ما سنرى بعد قليل .

ولقد كانت هذه العقلية الاقطاعية المتخلفة هى نفسها التى أقرت فى منتصف الأربعينات أرسال حوالى أربعة وثلاثون طالبا للدراسة النظريـــة

---

(٢٣) تكونت هذه البعثة من كل من : عبد الله السلال ، حسن العمرى ، محمد حجر ، أحمد اسحاق ، أحمد الآنسى ، أحمد المروني ، أحمد طاهر ، محمد الربدى ، محمد صالح العلفى، وبرأسة محى الدين العنسى ، وسافرت الى لعراق عام ١٩٣٦ .

بمدرسة المقاصد الاسلامية الشيعية في صيداء وفروعها بطرابلس ببيروت بنفس الطريقة ووفقا لنفس المفهوم ، مع فارق في مجال التخصص فقط ونوع الغرض على نحو ما سبقت الاشارة في مكان سابق من هذا البحث على اعتبار أن أفراد هذه البعثة سيعودون أشبه ما يكونون بالمبشرين والدعاة المخلصين الطائعين لشيعة آل البيت ومن والاهم ، أو في خدمة الامام وتنفيذ أغراضه وأهدافه السياسية على الأصح ٠

ذلك أنه بالرغم من أن معظم أفراد البعثة قد جاءوا من وسط طبقي أرستقراطي واقطاعي متوسط وفقير ، الا أن الحس الطائفي والمذهبي العفن كان هو المقياس الجوهري الحاسم الذي حدد بدقة الهوية الاقطاعية والطائفية المتخلفة لعقلية الامام يحيى من خلال هذه القضية ، خصوصا اذا ما لاحظنا أن خمسة وعشرون فردا من بين الأربعة والثلاثين المكونين لمجموع البعثة هم من صنعاء وما جاورهـــا ، وستة من تعز وثلاثة فقط من الحديدة(٢٤) ٠ وسافرت البعثة بالفعل من الشباب الغض الذين لم تكن أعمار غلبيتهم قد تجاوزت الخامسة عشرة ، وفي أذهانهم وتطلعاتهم والدنيا كلها من حولهم تسير في اتجاه عكسي لما أريد لهم أن يكونوا تماما ٠

حيث كانوا كما يقول اللواء عبد الله جزيلان أحد أفراد هذه البعثة معبرا عن شعورهم في تلك المرحلة ومنذ ما يزيد على خمسة وعشرين عاما : لقد كنا طاقة هائلة الكل يحرص على تحصيل العلم ، وكان كل فرد يعتقد أنه مسئول عن أخراج اليمن من ظلمات القرون الوسطى الى عصرنا هذا(٢٥)٠ حيث تحولوا جميعا الى عناصر سياسية مناؤة للسلطة خارج الوطن ، وتركوا المدرسة التي بعثوا اليها نفسها واتجهوا الى القاهرة بعد ثورة عام ١٩٥٢ ، والتحقوا بالمجالات العسكرية والتعليم العام والجـــامعي ، كما أن البعثة

---

(٢٤) تكون أفراد هذه البعثة من كـــل من : على محمد عبده ، عبد الرؤوف رافع ، عبد العزيز سلام ، محمد الجنيد ، هزاع بجاشي ، حسن السقاف ، عبد الله جزيلان « من تعز » ومحسن العيني ، عبد الله الكرشمي ، على العيني ، أحمد الطل ، صالح الجمالي ، عبد اللطيف ضيف الله ، على الكهالي ، محسن السري ، أحمد المحنى ، على الحبوري ، على عبد المغنى ، يحي فايع ، محمد زبارة ، حسين صلاح الدين ، على المطري ، أحمد مفرح ، هاشم الحوثي ، يحي السقاف ، محمد الرعدي ، على سيف الخولاني ، عبد الكريم المقحفي ، يحيى جغمان ، محمد مانع، يحيى الديلمي ، على الخضر « من صنعاء » ومن « الحديدة »: حسن مكي ، ابراهيم صادق ، محمد الاهنومي ٠ راجع التاريخ السري للثورة لعبد الله جزيلان ص ١٧ ٠

(٢٥) عبد الله جزيلان : التاريخ السري للثورة اليمنية ، ص ١٨ ٠

العسكرية الى بغداد كانت قد تحول معظمها قبل ذلك الى عناصر سياسية ذات أفق وطني وقومي واضح بعد عودتهم وأسهموا أسهاما فعالا واستراتيجيا في حركة ١٩٤٨ ، التي أطاحت بالامام يحيى وذهب الكثير منهم ضحيتها ٠

أما الامام الجديد أحمد فقد غير سياسته اختيار المبعوثين الى الخارج على قلتهم بعد أن أدرك سوء النتائج الناجمة عن تقديرات والده في هذا الشأن ، واتجه الى التركيز على أبناء الاسرة المالكة ، من الامراء وأقاربهم من أبنـــاء الطبقة الاقطاعية والارستقراطية الحاكمة ، حيث تكونت أول بعثة في عهده الى القاهرة عام ١٩٥٤ من خمسين طالبا للتعليم العام منهم ٧٠٪ من أبناء الاسرة المالكة وحاشيتها ، والبقية من أقرب مقربي القصر وأكثرهم اخلاصا لخدمته ٠ كما أستمر بعد ذلك ارسال البعثات ببطيء الى القاهرة وغيرها على نفس المنوال وفي حدود نفس المفهوم ٠

أما التيار الموازي أو شبه العكسي للمبعوثين الذي كان يأتي عن طريق الاتحاد اليمني (حركة المعارضة السياسية في عدن) وجميعيات المهاجرين وابنائهم الذين وصل مجموعهم عام ١٩٥٥ في القاهرة وحدها الى ما يزيـد على خمسة وعشرين طالبا ، فقد كان معظمهم من أبناء التجار والمهاجرين والطبقة البرجوازية الصغيرة بصفة عامة ، التي كانت تعاني ألوان الاضطهاد والكبت السياسي والحرمان الاقتصادي من قبل السلطة الاقطاعية في الشمال والاستعمارية في الجنوب ٠

ومع ذلك وبالرغم من أهمية الأثر السياسي والاجتماعي الذي ترتب على هذه البعثات الا أن حجمها ظل محدود للغاية ولا يشـــكل ظاهرة ثقافية وتعليمية وفكرية قائمة بذاتها في المجتمع اليمني ككل ، الا في مرحلة ما بعد الثورة ، حيث لم يتجاوز عدد المبعـــوثين في مصر على اختلاف مصادرهم السياسية والاجتماعية قبيل قيام الثورة أكثر من مئاتين طالبا معظمهم لم يتجاوز التعليم العام ، وهو أكبر تجمع للمبعوثين خـارج الوطن بالنسبة لشعب يتجاوز تعداد السكان وقتها السبعـــة مليون نسمة في الشمال والجنوب تعشعش فيه الأمية الابجدية ولا يوجد فيه أي نظام محدد للتعليم ولا أي شكل من أشكال التعليم العام والثقافة العامة ٠

نخلص من كل ما سبق الى أن المبعوثين قبل الثورة سواء قبل عودتهم أو بعد عودتهم الى الوطن قد شكلوا النواة شبه الوحيدة للمثقفين اليمنيين المعاصرين داخل الوطن وخارجه ، وان مصادرهم الطبقية التي وفدوا منها قد كانت تقريبا على النحو الآتي ٦٠٪ منهم وفدوا من أوساط الاسرة المالكة

والطبقة الاقطاعية والارستقراطية القريبة منها والمشتركة معها فى السلطة ، وان ٢٥٪ منهم قد أتو من أوساط فئات اجتماعية وارستقراطية وسطية ذات أفق اقطاعى أيضا ، أما الـ ١٥٪ الباقين فقـــد وفدو من أوساط طبقية برجوازية تجارية كبيرة وصغيرة مختلفة ، وان مجموع هذه العناصر عـلى اختلاف مصادرهم الاجتماعية والطبقية لم يخيبوا كل الظنون والآمال التى علقتها عليهم مصادرهم العائلية والطبقية وأوفدتهم من أجلها فحسب بل لقد أنفصلوا عنها اجتماعيا وكونوا فيما بينهم رابطة ثقافية وسياسية وطنيـة وقومية مشتركة لا تختلف وأصولهم الطبقية فحسب بل ومناؤة للنظام الاقطاعى القائم ، تساعدهم كل الظروف والتطورات الجارية فى المنطقـــة العربية بصفة عامة على نحو ما سبقت الاشارة ، ويستثنا من ذلك غالبية أفراد الاسرة المالكة من الأمراء الذين لم يخرجو عن هذه الرابطة الثقافيـة القومية الجديدة دفاعا عن مصالح أباثهم الحاكمين فحسب بقدر ما أنهم تخلفوا عنها أيضا نتيجة فشلهم فى الدراسة والانحلال الأخلاقى الذى وقعوا فيه ، حيث لم يكمل أحد منهم تعليمه على وجه التقريب ٠

ما بعد عام ١٩٦٢

أما بالنسبة لمرحلة ما بعد الثورة ، وهى مرحلة الانطلاقة الكبرى فى نشوء وتطور فئة المثقفين اليمنيين المعاصرين على نحو ما سبقت الاشارة فى مكان سابق فان المصادر الطبقية لتكوين هؤلاء المثقفين فى هذه المرحلة قد اختلت موازينها تماما بالنسبة للمرحلة السابقة ، مع الاحتفـــاظ بنفس المضامين السياسية والفكرية القومية وزيادة حدتها أكثر من ذى قبل ، فقد كشف استطلاع مبدائى قام به الباحث فى وقت لاحق خلال عام ١٩٧٩ عن نتائج هامة وعلى درجة عالية من الثقة والموضوعية من خـــلال تتبع ظروف مئتين حالة من أبرز العناصر السياسية المثقفة التى برزت بعد عام ١٩٦٢ على مستوى قيادى رسمى وغير رسمى وعلى نطاق الشمال والجنوب ٠

مفاد هذه النتائج أن ٤٥٪ من بين آلاف الشباب الذين فتحت أمامهم فرص التعليم النظامى الحديث والعسكرى والتثقف فى الداخـــل والخارج بلا قيود أو تحفظات سياسية أو اجتماعية أو مذهبية على أحد فى عهد الثورة، ما عدا أسرة بيت حميد الدين ، قد وفدو من أوساط طبقية اقطاعية مختلفة، وان ٣٥٪ قد قدموا من أوساط طبقية عمالية وفلاحية واجتماعية فقيرة ، اضافة الى ٢٥٪ من أوساط برجوازية متوسطة وصغيرة ، وان هؤلاء المثقفين لم يلتحقوا فى سلك التعليم المدنى والعسكرى ويمارسوا النشاط السياسى ويشاركوا فى السلطة أيضـــا بعد قيام الثورة مباشرة كممثلين لطبقاتهم

وأصولهم الاجتماعية قط ، بقدر ما أنهم شأنهم شأن سابقيهم قد أنفصلوا عنها ، ولو مؤقتا مكونين فيما بينهم روابط ثقافية وسياسية وطنية وقومية مشتركة متغايرة ومختلفة فى مضامينها وأهدافها عن مضـــامين وأهداف أصولهم الاجتماعية والطبقية الى هذا الحد أو ذاك ، والتى تشكل أســـاس التركيب الحقيقى للمجتمع سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، متأثرين فى ذلك بالمد الوطنى والقومى المتصاعد وقتها على نطاق الوطن العربى كله ، والذى طغى على مشاعرهم وتصرفاتهم وأفقدهم الرؤية العلمية الحقة للواقع الاجتماعى والاقتصادى والطبقى السائد من جهة وطبيعة دورهم وحدود حجمه الصحيح كطلائع وادوات تعبيرية عن مختلف المصالح الطبقية المتفقة والمتناقضـــة فى المجتمع ككل فى هذا الواقع من جهة ثانية ، بالرغم من كل ما كانوا قـــد افترضوه فى أنفسهم وظنوا أنهم قادرون على تحقيقه بمفردهم على المستوى السياسى والاجتماعى ومن خلال مفاهيم ومنطلقات مثالية خاطئة ومضللة عن الواقع وعن أنفسهم أيضا ٠

ولقد كان من المفروض أن تكون أحداث الثورة فى السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢ هى آخر يوم حقيقى فى الائتلاف المؤقت لمجمل الفئات والطبقات الاجتماعية ضد السلطة وفئة المثقفين منهم بالذات من جهة وأول يوم فى اندفاع كل طبقة فى البحث عن مصالحها وتنفيذ مخطط الصورة التى رسمتها لنفسها فى المرحلة السابقة من جهة أخرى ٠

الا أن نمط تفجير الحدث وشدة صدمته الاجتماعية والقومية قد أربك الطبقة الاقطاعية وهى أقوى الطبقات الاجتماعية الجديرة بوراثة السلطة ، وشل حركتها لبعض الوقت خلال العامين أو الثلاثة الأولى من عمر الثورة ، وساعد فى نفس الوقت على اعطاء دفعة سريعة للطبقة البرجوازية الصغيرة والمتوسطة للظهور والانتعاش السريع بصورة أكثر من ذى قبل ، أما فئه أو شريحة المثقفين فقد حصلت هى الأخرى على فرص أكثر للتوسع والانتشار والممارسة العامة من خلال اتساع فرص التعليم المدنى والعسكرى والايفاد الى الخارج ، حيث تضاعف عدد طـــلاب المدارس وكليات الشرطة والجيش والموفدين الى الخارج عشرات المرات خلال السنوات الأولى من عمر الثورة ، كما شكل كل ذلك بالنسبة للمنظمات والأحزاب السياسية التى ســـبق الحديث عنها عملية قفزة نوعية كبيرة من الناحية الكمية وفى اطـــار نفس المفاهيم القومية والبرجوازية الوطنية الصغيرة المعادية للفكر العلمى على نحو ما سبقت الاشارة ، رغم أنها كانت ما تزال محظورة من الناحية الرسمية وبفعل المد القومى الناصرى المعادى للعمل السياسى المنظم ، والذى عكس

ظلة المباشر فى اليمن من خلال تاثير وجود الجيش المصرى المحارب من أجل الثورة والجمهورية ٠

موجز القول ان السنـوات الأولى من عمر الثورة ببعدهـا القومى والبرجوازى الصغير كانت بالنسبة للطبقة الاقطاعية وهى أقوى الطبقـات الاجتماعية فى المجتمع أشبه ما تكون بصدمة كهربائية قوية أصابتها بالذهول وشلت حركتها لبعض الوقت من جهة ، ومصدر أنتعاش اقتصادى واجتماعى حقيقى للطبقة البرجوازية والكمبرادورية الناشئة من جهة ثانية ، أما بالنسبة لفئة المثقفين وهو الأهم بالنسبة لموضوعنا هذا فقد شكل حدث الثورة منطلقا أكثر حيوية ونشاطا لاتساع هذه الفئة وزيادة تشبعها بالمفاهيم والأفـكار القومية والبرجوازية الوطنية الصغيرة وارتفاع حددتها وفاعليتها فى الأحداث اعتقادرا منها بأنها قد أصبحت تملك السـلطة وقادرة على صنع كل شىء بلا منازع وفقا لمفاهيمها السطحية ، وذلك قبل ان يستعيد الواقع توازنة من جديد وفقا لطبيعة تركيبه الطبقى والاقتصادى الفعلى الذى يقضى جدليا قلب موازين الظروف السياسية والاجتماعية التى أسفرت عن حادث قيام الثورة واعادة تركيبها رأسا على عقب ، بحيث تكون الطبقة الاقطاعية فى قمة هرم السلطة والبرجوازية الكمبرادورية التى فرضت نفسها منذ اليوم الأول للثورة كحقيقة اجتماعية واقتصادية وسياسية تحتل منتصف هـذا الهرم وتشارك فى قمته بالاتفاق أو التحالف مع الطبقة السابقة ، واستمرار عموم طبقة العمال والفلاحين وفئات الشعب المختلفة التى لم يطرأ عليها أى تغيير حقيقى كما هى تشغل قاعدة الهرم الواقع عليه كل أعباء ومساوء كل من يحملهم على كاهلـة ، أما فئة المثقفين الذين أتسـع نشاطهم وزادت مشاغباتهم فما عليهم الا أن يعودا الى رشدهم «كأولاد» صالحين ومطيعين لابائهم ويتركوا شقاوتهم القديمة الجديدة التى تعلموها من الكتب والأفكار المستوردة والا حل بهم غضب الله وغضب الوالدين كأطفال عصاة ومنحرفين أشقياء ! ولقد صار كل هذا ممكنا وواردا فعلا بعد سنوات قليلة من قيام الثورة ٠

طالما وأن الثورة أو القائمين عليها على الأصح وغالبيتهم من هؤلاء المثقفين الأشقياء لم يحدثوا من التحولات السياسية والاجتماعية الجذرية فى صميم الواقع الاجتماعى والاقتصادى ما يحول دون ذلك ، أو حتى يضمن المحافظة على ما كان قد وجد من مكاسب قومية وطنية ، واستسلامهم لمجرد العواطف القومية وتقديم آلاف التضحيات فى الحرب والسلام فى سبيل أهداف وطنية غامضة ومثالية ، كمجرد الحفاظ على أسم الجمهورية العربية اليمنية بدلا من الملكية أو الدولة الاسلامية ، ولم تتقدم نحو حسم قضايا اجتماعية واقتصادية وسياسية جوهرية وجذرية فى الواقع الاجتماعى على غرار ما حدث فى الشطر

الجنوبى من الوطن ، لا لمجرد الدفاع والمحافظة على المصالح القومية والوطنية التى تم تحقيقها فحسب بل وللحيلولة دون أية امكانية للرجوع الى الخلف وانقلاب الأوضاع رأسا على عقب ، وذلـــك رغم كل الفرص الحقيقية التى أتاحتها ظروف الثورة لهؤلاء المثقفين السياسيين الذين قاموا بالثورة ودافعوا عنها وعن النظام الجمهورى لكى يفعلوا الكثير من خلال سلطة الثورة الجمهورية وما لقيته من الدعم الشعبى غير المحدود ٠

الا أنه اذا صح التعبير بأن فاقد الشيء لا يعطيه ، فان المثقفين اليمنيين فى سنوات الثورة الأولى بالذات لم يكونوا مجرد أناس يفتقرون الى القدرة على العطاء الوطنى والتقدمى الصحيح كطليعة ثورة لنضال طبقات العمال والفلاحين فحسب بل لقد كانوا بحكم طبيعة تكوينهم الانتقائى وروابطهم المصطنعة وثقافتهم وفكرهم القومى والبرجوازى الصغير والمشتت يقاومون بشراسة وبوعى منهم أو بدونه اجراء التحولات الثورية الجذرية فى المجتمع ونشر الأفكار العلمية الصحية حتى منتصف الستينات ٠

ولأن ذلك هو الذى كان يحدث تماما فان الأحداث قد صارت فى نفس هذا الاتجاه بالفعل ، اتجاه استعادة الطبقة الاقطاعية لمصالحها السياسية والاقتصادية وتحالفها مع الطبقةالبرجوازية الكمبرادورية الجديدة تحت حماية ورعاية القوى الامبريالية والاحتكارات العالمية من جهة ووضع حد شبه نهائى لتصرفات فئة المثقفين الاشـــقياء وحماقاتهم الطفيلية ٠ ولقد كان انقلاب الخامس من نوفمبر سنة ١٩٦٧ هو نقطة الارتـكاز الحرجة التى لم تحسم الطبقات الاقطاعية القديمة والكمبرادورية الجديدة من خلالها الموقف لصالحها فحسب بل وكشفت أيضا عن مدى الحجم الحقيقى المتواضع للأفكار القومية بصفة عامة وفئة المثقفين المتحمسين لها بصفة خاصة وقدرة هذه الأفكار على حل القضايا الاجتماعية ومسألة الصراع الطبقى داخـــل المجتمع الواحد ، وكيف تحولت هالتها وجبروتهـا العظيم فى أقل من عشر سنوات ما بين أواخر الخمسينات وبداية الستينات من هدير وأفعال تهد الجبال الراسية الى مجرد شقاوة رعناء صار يسخر منها اليوم أكثر الناس تعصبا لها بالأمس ، ليس بالنسبة للمجتمع اليمنى فحسب بـــل وبالنسبة للمنطقة العربية بصفة عامة ٠

وهنا بدأ المثقفون اليمنيون كغيرهم من مثقفى البلدان النامية والمتخلفة يكتشفون قصة اغترابهم الحقيقية ويصتدمون بهول الحقيقة الواقعية وتسحقهم مرارتها بعد أن بدأت تكشف لهم عن القيمة الحقيقية لأفـكارهم وتطلعاتهم

وطبيعة أمكانياتهم وحدود دورهم الاجتماعى والطبقى كشريحة معبرة عن المصالح المتناقضة لكل الطبقات الاجتماعية وخدمتها ، وهو الأمر المنطقى الذى صار واقعة اليوم هكذا بالفعل فى المجتمع اليمنى بالنسبة للمثقفين كمجرد أدوات لخدمة المصالح المتناقضة فى المجتمع والتعبير عنها ، وليس كفئة أو طبقة مستقلة بذاتها فوق كل الطبقات ٠

نتائج واستخلاصات عامة

وفى ضوء كل ما سبق يمكن استخلاص مجموعة من الحقائق والدلالات الهامة الآتية :

١ ـ أنه بالرغم من أن الطبقات الاقطاعية والارستقراطية قد مالت لأن تكون هى المصدر شبه الوحيد لافراز العناصر المثقفة خلال مرحلة ما قبل عام ١٩٦٢ الا أن هذا التوازن المشوهة قد اختل تماما بعد قيام الثورة ، فزاد اسهام الطبقة البرجوازية الناشئة فى تكوين هذه العناصر وبشكل ملحوظ ، حيث أرتفع من أقل من ١٠٪ الى ٢٥٪ ، وزادت نسبة المثقفين والمتعلمين القادمين من مصادر عمالية وفلاحية واجتماعية فقيرة من أقل من ٥٪ قبل الثورة الى ما يقرب من ٣٥٪ بعدها ، رغم أن الطبقات الاقطاعية والارستقراطية قد ظلت تحتفظ بمعدل التفوق قبل وبعد الثورة ، رغم انخفاض نسبتها كمصدر رئيسى للعناصر المثقفة من مالا يقل عن ٨٥٪ الى معدل ٤٠٪ فقط ٠

٢ ـ أن النشأة المعاصرة للمثقفين اليمنيين ـ شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من مثقفى البلدان النامية والمتخلفة والآسيوية منها بالذات ـ لم تتبلور كتعبير اجتماعى وطبقى داخل المجتمع وفقا لاسهام كل طبقة فى تكوين مثقفيها المعبرين عن مصالحها على نحو ما جاء فى النقطة السابقة وكما هو المفروض علميا وجدليا ، ولكنهم بدلا من ذلك قد تبلوروا كتعبير قومى لبرالى بالدرجة الأولى ، مبتعدين عن أصولهم الطبقية ولو بصورة مؤقتة ، فى ظل ظروف وأوضاع سياسية وقومية ودولية استثنائية مؤقته أيضا (ظروف مرحلة التحرر السياسى من الاستعمار الأجنبى على النطاق القومى والتحرر من بقايا الدكتاتور الرجعى ممثلا فى الامام والنظام الملكى وحماية الجمهورية على النطاق المحلى) ولم يكن للتناسب الاجتماعى السابق للمصادر الطبقية للمثقفين اليمنيين فى ظل هذه الظروف أى دلالة موضوعية وعملية حتى منتصف الستينات وبداية السبعينات ٠

٣ ـ أن المثقفين اليمنيين قد حصلوا فى ظل هذه الظروف الاستثنائية

المؤقتة وبفضلها والتى تسببت فى تشكيل نشأتهم الانتقـــائية المشوهة ، حصلوا على الكثير من الامتيازات والفرص السياسية والاجتماعية حملتهم على الظن بأن فى مقدرهم - بتركيبهم المشوهه - أن يكونوا طبقـــة وسلطة بمفردهم ، أو أنهم قد صاروا كذلك بالفعل ، الأمر الذى قادهم الى كثير من الاخطاء والمزالق المميته ، بمجرد أن بدأت هذه الظروف الاستثنائية بالزوال بعد سنوات قليلة من عمر الثورة فى أواخر الستينات وبداية السبعينات على مستوى اليمن والوطن العربى ككل ٠

٤ - أن هذه الظروف الاستثنائية المؤقتة قد أخذت بالزوال نهائيا فى أواخر الستينات وبداية السبعينات بالنسبة لليمن ، وبالتحديد بعد انقلاب الخامس من نوفمبر ١٩٦٧ حينما استعاد المجتمع توازنه الطبيعى وفقـــا للتركيب الاجتماعى والطبقى الجديد الذى افسح فيه مكانا بارزا للطبقـة البرجوازية والكمبرادور المحلى والدولى بعـد الثورة ، مـــع بقاء الطبقة الاقطاعية فى مركز القيادة وتوسيع قاعدتها فى قمة السلطة ، ولأنها لم تكن قد أصيبت بأى أذى حقيقى من الثورة سواء بعض الخدوش والصدمـــات العصبية التى أيقظت وعيها وزادت عن قدرتها على الدفاع عن نفسها وعن مصالحها وتنمية هذه المصالح بصورة أفضل مستفيدة من كل خبراتهـــا ومهارتها القديمة والجديدة ٠

٥ - أنه ما أن أخذت هذه الظروف الاستثنائية بالزوال النهائى وتبلور الأوضاع الاجتماعية بهذا الشكل حتى كان أولئك المثقفون قد أصبحوا أشبه ما يـــكونوا بالمتشردين تماما على هـــامش الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بعد أن تداعت كل أفكارهم المثالية الهشة وتمزقت روابطهم المصطنعة (فى شمال الوطن بالذات) وصاروا امام خيارين لا ثالث لهما ، اما الانتحار حزنا على رحلة الضياع التى قضوا فيها ربع أعمارهم تقريبا واما التنازل عن كل أفكارهم وكبريائهم المزيف والقبول بالأمر الواقـــع والطبيعى ، وذلك بأعادة توزيع أنفسهم بين مختلف الطبقات السائدة فى المجتمع والتعبير عن مصالحها المتفقة والمتعارضة وربط أنفسهم بها ، أما وفقا لانتمآتهم الأصـلية وهو الأصح والأقرب الى الموضوعية ، أو وفقـا لانتمآت وقناعات شخصية وسياسية واجتماعية جديدة وهو أمر مقبول وممكن أيضا بحدود نسبية ، ولأن الخيار الأول هو أبعد ما يكون عن طبيعة الأمور والثانى هو الأقرب الى منطقها وطبيعتها فقد تم الأخذ به على نطاق واسع وما يزال جارى على قدم وساق ، (وفى شمـــال الوطن بالذات) ، رغم أن بعض الطيبين من هؤلاء المثقفين الذين أفقدتهم هول الصدمة القدرة على استعادة

توازنهم من جديد وهم كثيرون فى مجتمعنا قد فضلوا الطريقة الأولى طريقة الانتحار المباشر وغير المباشر عن طريق الاستسلام للتشرد الاجتماعى والنفسى حتى النهاية ٠

أما اذا تسألنا عن كيفية وأسباب حدوث كل هذا ولماذا ؟ فان كل ذلك سوف يتضح من خلال تحليلنا الأكثر عمقا لمسائلة الاغتراب فى حياة المثقفين اليمنيين فى الفصل القادم ٠

الفصل السادس

اغتراب المثقفين اليمنيين

معنى الاغتراب :

نود أن نعيد الى الذاكرة الآن ما يقوله أزفلد Azveld عن الاغتراب بأنه هو الانفصال بين الأنا والآخر ، أنفصال يؤدى الى العداء ، أو هو ذلك الاستلاب الذى يؤدى الى العبودية ، أو بعبارة أخرى هو فقدان الحرية وزوالها . أو هو - كما ترى الماركسية - حالة توجد فى ظروف تاريخية معينة وترتبط بتوفر هذه الظروف ، وان أساسها فى المجتمع المتحضر هو « أغتراب العمل » الذى ارتبط بكل نظم الملكية الخاصة ابتداء من نظام الرق حتى النظام الرأسمالى(١) .

فالاغتراب بهذا المعنى هو انفصال الانسان عن عمله وما ينتجه من خلال هذا العمل ، سواء أن كان هذا العمل ماديا أو معنويا ، ويعنى بالتالى انفصال الانسان عن واقعه وتحوله الى ظاهرة مغتربة .

مظاهر الاغتراب فى حياة المثقفين اليمنيين :

ونظرا لأننا لم نكن هنا بصدد البحث فى قضية اغتراب العمل والانتاج المادى فى ظل المجتمع الرأسمالى بقدر ما نحن بصدد البحث عن الاغتراب فى ظاهرة جزئية معنوية لا مادية ، وهى أغتراب المثقفين فى المجتمع اليمنى وفى البلدان النامية بصفة عامة ، فاننا سنقوم بمناقشة وتتبع أبعاد هذه القضية بالنسبة للمثقفين اليمنيين من خلال هذه الرؤية العلمية والتاريخية نفسها ، وفى ضوء بعض الوقائع والأحداث المعاصرة التى جسد من خلالها وبسببها المثقفون اليمنيون وغير اليمنيين فى المنطقة العربية حقيقة أغترابهم الواقعى والذهنى .

---

(١) راجع مجلة عالم الفكر الكويتية عدد ابريل مايو يونية ١٩٧٩ ص ٦ ، عدد خاص عن الاغتراب .

فلو أننا قمنا بمراجعة بسيطة لما سبق وأن حللناه عن ظروف نشأة وتطور المثقفين اليمنيين المعاصرين وغيرهم فى البلدان النامية وطبيعة أصولهم وتركيبهم الطبقى لادركنا بسهولة أن مجمل الظروف التى وجد فيها المثقفون اليمنيون المعاصرون قد جعلت منهم ظاهرة مغتربة تتلخص فى جوهر النشأة الانتقائية القومية واغترابهم المحقق عن أصولهم الاجتماعية والطبقية حينما ظنوا أن فى مقدورهم أن ينفصلوا عنها أو أنهم قد أنفصلوا بالفعل ، ومحاولة أبراز أنفسهم كجماعات ليبرالية متماسكة وقائمة بذاتها قادرة على صنع كل شىء من أعلى ووفق أسس ومفاهيم مثالية ومغتربة عن الواقع الاقتصادى والاجتماعى والطبقى على نحو ما سبق تحليله فى الصفحات السابقة ٠

أما مجمل الأحداث والوقائع الناجمة عن تلك البداية والتى جسدت حالة اغتراب المثقفين اليمنيين منذ بداية الستينات وحتى منتصف السبعينات وما يزال أمتداداتها حتى اليوم فانها تتمثل فى عدد من القضايا الأساسيه والجوهرية والتى يأتى فى مقدمتها ، اساءة فهم المسألة القومية وسوء استخدامها ، وفقدان الرؤية التاريخية والعلمية الصحيحة للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع ، بل ورفض هذه الرؤية من حيث المبدأ فى البداية ، والخلط المميت بين الخلافات الثانوية والتناقضات الأساسية ، سواء فيما يتعلق بعلاقاتهم مع بعضهم أو برؤيتهم للواقع والتعامل معه ، اضافة الى سوء فهمهم لطبيعة دورهم وحدود امكانياتهم وانفصالهم عن الواقع والجهل به ، وبامكانياته الى حد كبير ٠

ونظرا لما لهذه القضايا من الأهمية الخاصة فاننا سنتناول كل منها بشىء من التفصيل كتجسيد عملى لمظاهر الاغتراب الذى وقع فيه المثقفون اليمنيون كنموذج نجد له الكثير من القرائن على النطاق القومى وعلى نطاق البلدان النامية والمتخلفة ككل وذلك على النحو التالى :

أولا ـ اساءة فهم المسألة القومية وسوء استخدامها :

قد يكون من الحماقة أن لم يكن من السخف الحديث عن هذه النقطة بالنسبة للمثقفين اليمنيين بعيدا عن المثقفين العرب فى المنطقة العربية ككل ، باعتبار أن المسألة القومية بالنسبة للشعوب العربية والأمة العربية هى كل مترابط لا يتجزأ ، والحديث عن أى قطر فى هذه المسألة بالذات هو حديث عن الأمة العربية ، وهذا هو ما لا نجد أحد ولن نجد أحد يختلف معنا فيه فيد أنملة ، كما لن نجد من يختلف معنا فى أن نكبة الشعب الفلسطينى عام ١٩٤٨ وأخفاق النظم الاقطاعية السائدة وقتها فى المنطقة العربية فى

مواجهة النكبة كانت هى الجرثومة الأولى لانتعاش الفكر القومى العربى لكشف الأنظمة الاقطاعية وأدانتها من جهة والتصدى للاحتلال الأجنبى والحصول على الاستقلال من جهة ثانية ، وتبنى استراتيجية قومية فى مواجهة الاطماع الصهيونية واستعادة حقوق الشعب الفلسطينى من جهة ثالثة ٠

ولقد نجحت هذه الحركة القومية بقيادة عبد الناصر فى تمتين كل أواصر القربا، والروابط القومية للأمة العربية وتوطيد كيانها القومى المعاصر وبلورة أهدافها وطموحاتها فى مواجهة الخواء والضعف الذى كان قد أصاب تلك الأواصر والروابط القومية فى ظل النفوذ الاستعمارى والأنظمة الاقطاعية القديمة ، وما أعترى بعض أجزاء هذه الأمة من تهديد مباشر لهذا الكيان نفسه ، كطموحات فرنسا فى فرنسة دول المغرب العربى ، وطموحات أيران وبعض الجاليات الأجنبية فى مسخ عروبة الخليج العربى ، والتى لم تنتهى حتى اليوم ، وكذلك مأساة الشعب الفلسطينى التى تم تنفيذها بالفعل ، اضافة الى مشكلات جنوب السودان وشمال العراق ومشكلة لبنان الاحقة ٠

فكل هذه الأمور وما شابهها هى بقدر ما أنها تشكل صلب اهتمام المسألة القومية ومجالها الحيوى فى حياة أى أمة من الأمم ، فأنها تشكل من باب أولى الحدود التى لا يجب أن تتجاوزها والامكانية التى لا تقوى على القيام بما عداها من الأمور والقضايا الاستراتيجية فى حياة أى أمة من الأمم أو أى شعب من الشعوب ، خصوصا ما يتصل من ذلك بمسألة العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والطبقية داخل المجتمع الواحد ، حيث تبتعد مثل هذه الأمور كلية عن طبيعة الدور القومى ومفهومه العلمى الصحيح ، لتأخذ مكانها التاريخى البارز كقضايا اجتماعية واقتصادية وتاريخية محكومة بقوانين التطور الاجتماعى والاقتصادى وعلاقاته الانتاجية والطبقية المتناقضة فى كل مجتمع ٠

ومشكلة الحركة القومية العربية وكل حركة قومية معاصرة فى البلاد النامية بالذات هو الخلط بين المسألة القومية والمسألة الاجتماعية ، وحشر الثانية فى نطاق الأولى بصورة تعسفية لم يسبق لها مثيل فى التاريخ الحديث ٠ ذلك أن قادة ومثقفوا الحركة القومية المعاصرة قد طمحوا عبثا فى أسقاط الطبقة الاقطاعية وحل مسألة الصراع الطبقى وبناء الاشتراكية والوحدة ٠٠٠ الخ ٠ من خلال هذا المفهوم القومى الذى يبدو عقيما على الدوام ازاء مثل هذه المسائل الاجتماعية ، حيث اعتقدوا بأن نجاح فرقة من

الجيش هنا أو سرب من الطائرات هناك فى اسقاط هذا الملك هنا أو قتله هناك واعلان اسم الجمهورية بدلا من الملكية يعنى القضاء على الطبقة الاقطاعية وازاحتها عن السلطة الى الأبد ، أو أن تأميم هذا المصنع هنا ، وهذه الارض هناك فى نطاق نفس المفهوم يعنى أقـــامة الاشتراكية ، أو أن النص فى الدساتير الرسمية على أن كل قطر عربى هو جزء من الأمة العربية وعمـــل قيادات سياسية قطرية وقومية وقنوات اذاعية موجهة يعنى تحقيق الوحدة العربية ٠

بل غالبا ما كانت تستخدم مثل هذه الشـــعارات لمجرد المناورات السياسية الشكلية ، واستغلال عواطف الناس والتلاعب بمشاعرهم القومية والوطنية فى نطاق من التصرفات الانتهازية البحته من قبل جماعات السلطة المثقفة ونصف المثقفة وبوعى منها أو بدونه ٠

الأمر الذى لم يؤدى فى النهاية الى الفشل الذريع فى المحاولات العقيمة لحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فحسب ، بل والى عدم القدرة على حل المسائل القومية نفسها والتى يأتى فى مقدمتها مشكلة الشعب العربى الفلسطينى ومواجهة الاطماع الصهيونية فى المنطقة مواجهة قومية صحيحة حتى الآن ، بل انه غالبا ما أسىء استغلال هذه القضية وغيرها من القضايا ذات الطابع القومى استغلالا سيئا من أجل تحقيق أغراض نفعية جزئية واقليمية وفئوية ضيقة الأفق والدلالة الاجتماعية ، ولقد لعب المثقفون السياسيون ومنظماتهم المختلفه دور البطولة دائما فى مثل هذه الأحـــداث وحتى اليوم ، مع بعض الفوارق النسبية من قـــطر عربى لآخر فى الوقت الحاضر ٠

والمثقفون اليمنيون لم يكونوا ليتميزوا فى شىء عن هذا الطابع القومى الشامل الذى طغى على غالبية المنطقة العربية منذ بداية الخمسينات وحتى نهاية الستينات وبداية السبعينات ، الا فى كونهم أكثر الجميع حماســـة وصدقا وتضحية ، وأقلهم خبرة وأمعانا فى التصرف الانتهازى طوال هذه المرحلة ، ربما لأنهم لم يستطيعوا الفوز بثقة الطبقة البرجوازية والاعتماد على فكرها وامكانياتها فى المناورة والامساك بالسلطة كما فعل الكثيرون فى اقطار عربية أخرى حتى اليوم ، كسوريا والعراق ، وليبيا ، ومصر ، أو لأن هذه الطبقة البرجوازية والكمبرادورية الجديدة فى اليمن هى التى رفضت ــ على الأصح ــ منحهم ثقة التعامل والتحالف معها بعد أن نجحت الطبقـــة الاقطاعية فى أقصائهم نهائيا عن التأثير المباشر فى الســـلطة بعد انقلاب

الخامس من نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، وتأكدت من سوء نواياهم والعواقب الغير مأمونة للتعامل معهم من خلال ما حدث فى الشطر الجنوبى من الوطن من تحولات وطنية وثورية بعد الاستقـــلال عام ٦٧ وحتى الآن ، ووجدت أن مصلحتها الحقيقية تكمن فى التحالف مع الطبقة الاقطاعية التى وضعت يدها على السلطة فى شمال الوطن ، وليس فى المراهنة على ما تبقى لهؤلاء المثقفين من طموحات وأفكار غامضة وغير مأمونة العواقب بالنسبة لهذه الطبقـــة نفسها ، والتى كانت قد فرضت وجودهـــا وحصـــلت على حق الاعتراف بمصالحها من قبل الطبقة الاقطاعية ومشاركتها فى السلطة أيضا ، ولم تعد بحاجة الى « الشقاوة » القديمة لهؤلاء المثقفين أيام كان الجميع يعمل على اسقاط الديكتاتور الاقطاعى الأوحد ممثلا فى الامام الملك ، ولم تعد حاجتها اليهم الا كموظفين وخبراء مطيعين ومخلصين لادارة الأعمال والمصالح التجارية لهذه الطبقة برواتب وامتيازات مادية مغرية اذا حجبت عنهم الطبقة الاقطاعية الحاكمة شهادات حسن السير والسلوك من أجـــل الحصـــول على الوظائف الحكومية الأقل اغراء من الناحية المادية ، بالنسبة لمن قد يتردد فى استغلال هذه الوظائف فى الحصول على الكسب غير المشروع ٠

ثانيا : فقدان الرؤية التاريخية والعلمية للعلاقات الاجتماعية والطبقية

لقد كان جدير بكل تلك المقدمات الخاطئة بكيفية النشأة الانتقائيـــة للمثقفين اليمنيين وارتباطاتهم المشوهة بأصولهم الاجتماعية والطبقية أيضا ونظرتهم وتعاملهم الخاطىء مع المسألة القومية ، كان جدير بكل هذه المقدمات أن تفقدهم القدرة على تكوين الرؤية التاريخية والجـــدلية العلمية الحسنة للواقع الاجتماعى وطراز تكوينه وعلاقاته السياسية والاقتصادية والطبقية ، وانتهاج خط سياسى وفكرى يتناسب وطبيعة هذا الواقع وظروفه المتميزة منذ أول خطوة ٠

اذ أن الأمر لم يتوقف بالنسبة لهم طوال مرحلة الستينات عند مجرد الخلط المميت بين الخلافات الثانوية والتناقضات الرئيسية سواء فيما يتعلق بتعاملهم مع بعضهم أو مع الواقع من حولهم ، بل لقد تجاوز هذا الأمر الى حد أن معظم منظماتهم السياسية ظلت ترفض المنطق التاريخى والعـــلمى نفسه فى تفسير المجتمع وتقاومه بعنف طوال عقد الستينات تقريبا . ولم يختلفوا فى ذلك قط عن أعتى القلاع والبؤر الاقطاعية والكمبرادوية داخل المجتمع اليمنى أو خارجه ، وما يزال البعض منهم كذلك حتى الآن ٠

فلقد أمعنت بعض منظماتهم السياسية فى الاستقطاب الكمى لقطاعات

واسعة من أفراد الطبقة الاقـــطاعية والقبلية ذات الأفق الرجعي المتخلف بطبيعتها وضمها الى صفوفها ، لا لشيء الا لرغبة وهمية خـــاطئة منها فى ترجيح كفة التوازن ازاء منظمة أو تيار سياسى آخر من خلال هذه العناصر لا من خلال تحويلها الى عناصر سياسية قوية مؤمنة بالتوجه الوطنى والقومى على الأقل الذى يتحرك الجميع فى نطاقه بلا هدف واضح ، وانما من خلال الاستفادة من ثقلهم السياسى والاجتماعى وسطوتهم الارهابية والهمجية ، وكما لو كانت مثل هذه المنظمات التى أسسها ويتزعمها المثقفون تبحث عن مأمن لافكارها وتطلعاتها الوطنية والقومية الليبرالية فى حمايـــة الطبقة الاقطاعية والاستفادة من ثقلها السياسى وبأسها الاجتماعى فى مواجهـــة قرائنهم من المنظمات المنافسة التى تقوم هى الاخرى بفعل نفس الشيء · وبذلك تحولت الخلافات الثانوية الى تناقضات رئيسية ، والتناقضات الى تحالفات ، وتلك سذاجة لم يسبق لها مثيل ، عرف الكل حقيقتها فيما بعد، بعد أن دفعوا ثمنها غاليا ·

ولقد تجسدت هذه الحالة فى اليمن من خلال أشكال ونماذج عدة كان أبرزها على الاطلاق هو ما حدث للتيار القومى الناصرى مع التيار القومى لحزب البعث العربى الاشتراكى الذى تورطت منظماته الفرعية القديمة فى اليمن فى استقطاب مجاميع واسعـــة من الطبقة الاقـطاعية والعشائرية والارستقراطية ، نتيجة لما عانته من ضغط واضطهـــاد التيار الآخر المعزز بوجود الجيش المصرى فى اليمن ، والذى لم تألوا سياسته الرسمية هو الآخر ممثلة فى سلطة القيادة السياسية فى الجيش المصرى عن التركيز على ذلك الوسط نفسه فى محاولة كسبه الى جانبه أو لكى يكف عن المعارضة على الأقل، عن طريق التهديد المهذب أحيانا أو الاغراء والعطايا السخية أحيانا كثيرة ، والأمر لم يكن يختلف كثيرا بالنسبة لحركة القوميين العرب فى استفحال خلافهـــا مع البعث وتعايشها مع القيـــادة السياسية النـاصرية فى اليمن بحذر(١) · وكذلك عناصر اليسار الماركسى التى كانت تتبادل الرفض والقيطة والكره مع كل الأطراف السابقة ·

وبينما كان هؤلائك المثقفون السياسيون الأشقياء جميعا يلعبون فيما بينهم وضد بعضهم هذه اللعبة الساذجة والمميته والتى برز فيها منطـــق التطور التاريخى مقلوبا على رأسه ، كانت تلك العناصر الاقطاعية والعشائرية قد أصبحت من خلال الممارسة السياسية نفسها أكثر وعيا وادراكا لمصالحها السياسية والطبقية ، وأكثر قدرة على تنمية وتطوير هذه المصالح والتعبير

(١ مكرر) راجع عبد الفتـــاح اسماعيل : كتابات مختارة حـــول الثورة الوطنيـــة الديمقراطية ، وآفاقها الاشتراكية ، ١٩٧٩ ، ص ١٧ ·

عنها ، وميلا الى السخرية بأفـــكار أولئك المثقفين (الطيبين) وطموحاتهم الساذجة أكثر من كونهم قد انصاعوا لها كما كانوا يظنون خطأ ٠

بل لقد استطاعت العناصر والبؤر الأكثر اقطاعية ورجعية خصوصا ما يتعلق منها بتلك العناصر ذات البعد الامامى والملكى الأكثر رجعية وعداء للتغيير والتقدم أن تمارس لعبة انتهازية هى أكثر ذكاء وحنكة ، حينما لم تكتفى بالبحث عن مقاعد لها فى أوساط تنك المنظمات السياسية القومية للمثقفين فحسب بل لقد عمدت فى بعض المراحـــل الى تأسيس منظمات سياسية خاصة بها ذات اطر خارجية ومظهرية أكثر وطنية وأكثر ثورية من سواها وذات طابع يساوى متطرف أمعاننا منها فى الانتهازية وبحثا عن ظل تخفى وراءه دوافعها السياسية والطبقية الحقيقية ٠

ومنظمة « اتحاد القوى الشعبية » بكل أبعادها ودلالاتها وما انتهت اليه تقدم أبرز دليل على ذلك ، حينما بدأت كذبا بشعارات شوفينية صينية وانتهت حقيقة ملكية ورجعية اقطاعية عفنة ٠

ولقد كان انقلاب الخامس من نوفمبر سنة ١٩٦٧ هو أبرز مشاهد هذه اللعبة المميتة ، حينما حلم بعض المثقفين الطيبين بالاستيلاء على السلطـــة بالتحالف مع هذه البؤر الاقطاعية والعشائرية وبمشاركتها ، فكانت أكثر منهم ذكاء ، حيث ثبت أنها هى التى أستفادت من هؤلاء المثقفين الأشقياء فى العبور على أكتافهم الى قمة السلطة والانفراد بها ، أو أن هؤلاء المثقفـــون أنفسهم على الأصح قد حملوا على رؤسهم هذه الطبقة الاقطاعية الى السلطة وساهموا فى أضعاف خصومها من منافسيهم الوطنيين بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، وذلك حينما تحالفوا معها ورمو بعرض الحائط بكل قوانين العلم والتطور الاجتماعى وطبيعة العلاقات الاجتماعية الطبقية فى المجتمع ، بل كثيرا ما كانوا يشيرون اليها بأصابع الاتهام بسذاجة متناهية ، ناهيك عن الجهل المفرط فى فهمهم لأنفسهم وطبيعة دورهم كمجرد فئة اجتماعية موزعة رأسيا بين مختلف الطبقات والمصالح المتناقضة فى المجتمع وكأدوات تعبيرية ومنظرة لا أكثر عن هذه المصالح والتناقضات الاجتماعية فى المجتمع ككل ٠

ثالثا : البعد عن الواقع الاجتماعى والجهل بخصوصياته وامكانياته الذاتية :

أما الظاهرة الثالثة التى جسد من خلالها المثقفون اليمنيون قصـــة اغترابهم المعاصرة فهى لم تكن مجرد اساءة فهمهم للمسألة القومية وابتعادهم المشبوهة عن أصولهم وانتمائتهم الطبقية على نحو ما سبق تحليله ، بل وفى انفصالهم الفكرى والثقافى التام عن الواقع الاجتماعى برمته ، والامعان فى

الجهالة المطبقة لفهم ظروفه وخصوصياته الاجتماعية والتاريخية المتميزة ، عوضا عن الانفصال التام عن معايشتها والعمل من خلالها على نحو ما يفعل عامة الشعب على الأقل ، الذين وان كان قد فرض عليهم التخلف الفكرى والثقافى فى فهمها وادراكها ، الا انهم يعيشونها كاطار عملى منظم لحياتهم ، ويجسدون من خلالها وجودهم الاجتماعى نفسه ، بينما افتقر المثقفون الى كلا الأمرين معا وصار يصدق عليهم قول « جرمين تايلور » وهو يصف أوضاع مثل هذه العناصر بانهم أناسا مشردين حقا ، أناسا اقتلعت جذورهم من أرضها ، أناسا بؤساء مطرودين من جماعة قديمة لا يقبلونها ، ومن جماعة جديدة لا يرقى اليها مستوى حياتهم وثقافتهم(٢) .

ولقد كان من أبرز الأسباب والعوامل الحاسمة التى قادت هؤلاء المثقفين اليمنيين الى هذا الوضع المغترب عن واقعهم والجهل به الى جانب طبيعة النشأة وأثر العامل القومى ، هو نمط التعليم الرسمى الذى بدأو يتلقونه فى المدارس والمعاهد فى الداخل والخارج بعد الثورة من جهة ، ونوع اهتماماتهم الفكرية والثقافية الموازية ذات الطابع الانتقائى والعشوائى البحت المتجه كليا الى الخارج على النطاق العربى والعالمى من جهة أخرى ، اضافة الى ردود الفعل العكسية الناجمة عن شدة العزلة والكبت الثقافى والفكرى الذى كانت تفرضه السلطة الاقطاعية القديمة قبل الثورة فى الشمال والاستعمارية فى الجنوب ضد كل ما هو أت من الخارج أو خارج من الداخل .

حيث جاء رد الفعل بعد الثورة أشبه بعملية أسقاط مرضية فى البحث عن كل ما هو خارجى فى مجال التعليم والثقافة والعلم ، وترك كل ما هو ذاتى وداخلى والابتعاد عنه بأعتباره تخلفا ، ولا يحمل أية دلالة ذات أهمية فى مجال الثقافة والتعليم والفكر والتربية ، ولقد تجسد ذلك من خلال المظاهر الآتية :

(أ) التعليم

فلقد تظافرت كل العوامل والظروف الداخلية والخارجية وتعاونت فيما بينها بصورة مباشرة وغير مباشرة فى الدفع بالعملية التعليمية والثقافية والفكرية فى اليمن بالذات منذ عام ١٩٦٢ وحتى اليوم الى مسار مغترب عن الواقع الى حد كبير ، بدلا من كونها انعكاسا له وتعبيرا عن مشاكله ومتطلباته

---

(٢) موريس دوفرجيه : مدخل الى علم السياسة ، ترجمة جمال الاتاسى وسامى الدوربى ، دار دمشق للطباعة والنشر ، ص ١٢٥ .

كما هو المفروض ، فا الى جانب أن كل المناهج التعليمية والتربوية ابتداء من رياض الأطفال وحتى الثانوية العامة قد نقلت على علاتها نصـــا وروحا من مصر منذ عام ١٩٦٣ وقطعت كل صلة لها بالواقع وما يزال معظمها كذلك فى شمال الوطن حتى الآن ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فان أغلا أمنية كل طالب فى التعليم العام والمتوسط كانت ولا تزال هى أن يكمل تعليمه الثانوى والجامعى على الأقل خارج الوطن وفى أى مكان من العالم ، واستطاع آلاف الطلاب وكل من حصل على الثانوية العامة تقريبا أن يحصل على فرصة السفر لاكمال تعليمه فى الخارج منذ عام ١٩٦٣ وحتى عام ١٩٧٢ ، حينما بـدأت جامعة صنعاء وجامعة عدن تحد من هذه الظاهرة وتمتص نسبة بسيطة منها لا تتجاوز ٢٠٪ ٠

ومما زاد من توفر هذه الفرص امام الطلاب لاكمال تعليمهم الجـامعى فى الخارج هو ما حظيت به اليمن من عطف وتعاون عربى ودولى كبير فى هذه المسالة بالذات ، نظرا لما عانته اليمن من الحرمان من التعليم فى الماضى والعجز المخل فى الحاضر من جهة ، ولأن هذا الامر نفسه قد شكل عملية التزام أدبى ووطنى لا خيار فيه بالنسبة للدولة أزاء هذه القضية حتى الآن من جهة أخرى ، مع حالة غياب كامل أو شبه كامل لأى خطة محددة يسير فى نطاقها هذا الايفاد الواسع لمراحل التعليم المتوسط والجـامعى أو حتى الاشراف الصحيح ، الأمر الذى حول العملية التعليمية الى عملية اغتراب محقق وما تزال رغم ما قد حظيت به هذه الظاهرة من اهتمام وتغير ملحوظ من الناحية الكمية وبالذات فيما يتعلق بالشطر الشمالى من الوطن ، وحتى وقت ليس بالبعيد بالنسبة للشطر الجنوبى ايضا والذى أخذ فى التحول منذ بداية السبعينات نسبيا ٠

فلقد تعلمنا الكثير الى حد التخمة ونحن تلاميذ صغار فى المدارس عن واقعة دنشواى ومظاهرة عرابى وكيف حطم نابليون أنف أبو الهول ٠٠ الخ ، لكن أحد منا لم يعرف شيء حتى الآن عن موقعة شهارة فى الحرب الوطنية ضد الاتراك وقد لا يستطيع التعرف بسهولة حتى على موقع هذه المنطقة على الخريطة الجغرافية لليمن ، كما أن الكثيرين أن لم نقل جميع جيلنا المعاصر لا يعرف شيئا عن المذابح الفردية والجماعية التى ارتكبها الائمة طوال تاريخهم ضد أفراد الشعب اليمنى ولا كيف قـاوم الشعب هذا الاضطهـــاد ، بل ولا يعرفون كيف حطم يعلى بن أمية قصر غمدان ولمـاذا ؟ ٠٠٠ الخ ٠ ولنـا عودة الى مناقشة مثل هـــذه الأمور حينما نتحدث عن المدلول الاجتماعى والتاريخى لمعنى الظروف الذاتية والموضوعية بعد قليل ٠

(ب) الثقافة :

أما الشكل الثانى للاغتراب الفكرى والثقافى فى حياة المثقفين اليمنيين، وهو الأهم فى تقديرنا ، فقد جاء عن طريق ما يعرف بالفكر الموازى أو الثقافة الموازية ، أى غير الرسمية من خلال الاهتمامات الفكرية والسياسية والثقافية والذاتية التى لعبت الدور الحاسم والمباشر فى تكوين المثقفين اليمنيين وبنائهم الفكرى والثقافى الى حد كبير ، حيث كان هذا الشكل هو أكثر اغترابا لأسباب كثيرة أهمها : أن بذور هذه الثقافة الموازية وبداياتها المعاصرة على نطاق المنظمات السياسية قد نقلت هى الأخرى الى اليمن من بيروت أو دمشق أو القاهرة بصورة أكثر أغترابا وربطا للاهتمامات السياسية والثقافية والفكرية وحتى الأدبية بالنطاق القومى فى أحسن الأحوال والنطاق العالمى فى أحيان كثيرة ، واسقاط كل اهتمام بالواقع المحلى ، لا باعتباره الأرضية الحقيقية التى سيرتكز عليها نشاط هؤلاء المثقفين حاضرا ومستقبلا ، ولا حتى باعتبار هذا الواقع جدير بالاهتمام باعتباره جزء هام وحيوى من التكوين القومى كله للوطن العربى والأمة العربية ٠

لقد كانت المنظمات السياسية والثقافية للمثقفين اليمنيين فى بداية تكوينها على الأقل وحتى وقت قريب هى أشبه ما تكون بالبعثات الدبلوماسية تماما لهذا الموقف السياسى والايدلوجى أو ذاك داخل الوطن العربى وخارجه، الأمر الذى زاد من أغتراب الثقافة والمثقفين فى بلادنا وكرس قطيعتهم بالواقع الاجتماعى وزيادة جهلهم به وعزلتهم عنه وعجزهم عن التعامل الحقيقى معه الى حد مخيف ٠

فقد زاد اهتمام المثقفين اليمنيين السياسيين بما يصدر عن ميشيل عفلق كمؤسس لحزب البعث العربى الاشتراكى فى سوريا ، ومحسن ابراهيم كمؤسس لحركة القوميين العرب فى لبنان ، وتعليقات أحمد سعيد أو خطابات عبد الناصر فى القاهرة والانصياغ النفسى والعصبى المريض لكل ما يصلهم من هذه المصادر الثقافية والسياسية بلا مناقشة مسموعا كان أو مكتوبا ، ناهيك عن بعض المقولات المتداولة الجافة لماركس ولينين وأحاديث ماوتسى تونج ، والانطلاق من خلال كل ذلك للصراع فيما بينهم ومحاولة تصفية بعضهم البعض أولا وقبل كل شىء ٠

فى الوقت الذى خلت أذهانهم تقريبا من أى تصور علمى وموضوعى صحيح لظروف الواقع الذاتى والموضوعى وتحرك القوى الطبقية الاقطاعية والكمبرادورية وأستعدادها الواسع لافراغ الثورة والنظام الجمهورى من

مضمونهما الوطني والقومي على الأقل ، والانفراد بالسلطة ، مستفيدة من خبراتها الجديدة التي اكتسبتها من خلال الأحداث ، وعمق تجربتها القديمة والضاربة في صميم الواقع الاجتماعي والاقتصادي ، فكان لها ما أرادت وكان للمثقفين ما يكرهون .

ولا تفوتنا الاشارة الى الحقيقة الاجتماعية والتاريخية المعاصرة والتي لم يعد ينكرها أحد ، والتي مؤداها بأن مصادر الفكر والثقافة القومية التي أغتربت الى داخل المجتمع اليمني أو التي أغترب اليها المثقفون والمتعلمون الى خارج المجتمع على النطاق القومي والعالمي ، هي في ذاتها كانت ولا تزال ظاهرة مغتربة أصلا بحكم طبيعة تكوينها ومضمونها ، ليس بالنسبة لمن وصلت اليهم جاهزة في هذا القطر العربي أو ذاك من خلال أبواق الاذاعات والصحف أو الكتب والارساليات السياسية ، أو المناهج الدراسية التعليمية الرسمية ، بل أنها كذلك كانت ولا تزال ظـــاهرة مغتربة أيضا بالنسبة لمصادرها ومنطلقاتها الاقليمية أيضا ، سواء كانت في مصر أو سوريا أو العراق أو بيروت ، ومقطوعة الصلة الاجتماعية والتاريخية والجدلية العلمية الصحيحة بالواقع الاجتماعي والتاريخي لهذه المصادر الاقليمية بصفة خاصة والأمة العربية بصفة عامة ، والتي تلقتها جماهيرها الغفيرة وأسلمت لها كل مشاعرها وعواطفها الوطنية والقومية بصدق أكثر من عقدين من الزمن ابتداء من نهاية الأربعينات وحتى بداية السبعينات ، حينما أفتضح كل زيفهـــا وأغترابها عن الواقع الذاتي والموضـــوعي ليس بالنسبة للمجتمع اليمني فحسب بل وبالنسبة للأمة العربية كلها ، والتي ما يزال الكثيرون يتسترون ويخفون هذه الحقيقة اما تحت مظلة المناورات والمزايدات السياسية البالية التي لم يعد لها اذان تسمع ولا قلوب تخشع ، لا على النطاق الاقليمي ولا على النطاق القومي . وأما تحت وطأت العنف والتصفيات الجسدية بالجملة .

ونظرا لما لهذه النقطة المتعلقة بالظروف الذاتية والموضوعية لأي أمة أو مجتمع نامي أو متخلف من مفهوم خاص في أذهان المثقفين لا ينسجم قط وطبيعة هذا المفهوم أو يعبر عنه من قريب أو بعيد ، فأننا سنقوم بمحاولة تشخيص بعض الدلائل والمؤشرات العملية والواقعية لهذا المفهوم في صميم الواقع اليمني والعربي ، حتى يتبين لنا بوضوح أكثر مدى الاغتراب الثقافي والفكري لفكرنا وثقافتنا العربية وانفصالها وعزلتها المميته عن طبيعة الواقع الاجتماعي والتاريخي لكل قطر عربي على حدة وللأمة العربية بصفة عامـــة والمجتمع اليمني بصفة خاصة ، وبالذات في الفترة من نهاية الأربعينات وحتى بداية السبعينات .

وذلك من خلال بحث وتحليل المدلول الاجتماعي والتاريخي للظروف الذاتية والموضوعية للمجتمع اليمنى والعربى بصفة خاصة والمجتمعات النامية والمتخلفة بصفة عامة ، والتعرف بشكل أعمق على التوازن المختل فى أذهان المثقفين اليمنيين وغير اليمنيين بين حقيقة هـذه الظروف وخصوصياتها وأمكانياتها من جهة وكعوامل ذاتية وموضوعية داخلية ورئيسية من جهة أخرى ، والظروف القومية والدولية كعوامل ثانوية من جهة ثالثة ، وذلك حتى لا نتوقف عند مجرد التحليلات النظرية السابقة التى قد لا تضيف الى معلوماتنا الا القليل ٠

المدلول الاجتماعى والتاريخى لمعنى الظروف الذاتية والثقافية الوطنية

نستطيع أن نؤكد بحزم ومنذ البداية فى هذه النقطة على حقيقة أن الظروف الذاتية والموضوعية التى يرددها مثقفونا على أسماع بعضهم البعض يوميا أكثر من ترديد أسمائهم الشخصية ، لم تكن قط مجرد صيغة لفظية غير ذات مدلول على غرار مقولة « زيد ضرب عمر » ولا كلمة سر نثبت من خلالها هويتنا عند اللزوم ، كما أنها ليست تسمية لغوية أو علامة تجارية يستطيع كل من يحصل على امتياز استخدامها أن يدمغ نفسه وأشيائه بها لكى يتميز عن غيره ويبدو أكثر أغراء لمن يشاهده أو يستمع الى حديثه ٠

ان الظروف الذاتية والموضوعية هى صميم الوجود الحقيقى للمجتمع ومجموع تاريخه كله ومفتاح تحوله نحو الأفضل بغير بديل ٠

ونظرا لما تعانيه هذه القضية فى البلدان النامية والمتخلفة من فقدان المدلول الاجتماعى والتاريخى لها الى حد مخيف لدى المثقفين بصفة عامة والوطنيين منهم على وجه التحديد ، وما نجم عن كل ذلك من عملية أختلال خطير فى التقدير العلمى السليم للعوامل الموضوعية والذاتية فى مقابل العوامل الخارجية ، فاننا سنقوم فى هذه الفقرة بأعطاء لمحة سريعة وعاجلة عن المدلول الصحيح لمعنى الظروف الذاتية والموضوعية فى عملية النضال والتحول فى واقع مجتمعنا اليمنى والعربى بالذات ، مع مقارنتها بالعوامل الخارجية غير الذاتية التى طغت على العوامل الذاتية وأضعفت دورها الى حد بعيد ٠

فبينما نجد مثلا بكل وضوح أن كل وسائل الاعلام والثقافة والدراسة والبحث عن المجتمعات الاشتراكية والرأسمالية المتقدمة على السواء والحركات القومية واللبرالية التاريخية لكثير من الشعوب قد أتاحت بوفرتها وتنوعها

لمثقفى البلدان النامية والمتخلفة بعامة والوطن العربى واليمن بخاصة أن يطلعوا على الكثير والكثير من تفاصيل الحياة العامة وجزئياتها وتاريخهـــا أيضا فى المجتمعات الاشتراكية والرأسمالية معا فى الوقت الذى لا يعرفون عن ثقافتهم الوطنية وواقع شعوبهم ومجتمعاتهم الا التافه القليل والمشوهة ٠

ففى اليمن مثلا نجد الآن ـ كما يقول عبد الفتاح أسماعيل ـ أن أكثر مثقفينا ولعا بالثقافة أو الأدب يفهمون جيدا ما يدور من جديد على الصعيد الثقافى فى الوطن العربى ، ويفهمون أيضا أدبيات الاشتراكيـة العلمية ، لكنهم لا يعطون أهتماما ولا يوجهون جهودهم الثقافية لمعرفة ثقافتهم الوطنية ٠٠ فغالبيتهم ما يزالوا يعانون من فقر فى هذا الجانب ، بينما نجد كبـــار المثقفين الاقطاعيين والرجعيين ـ وهم ضد كل تطور وتقدم ثقافى ـ هم حفظة للتراث الكلاسيكى اليمنى فى التاريخ والأدب(٣) ٠

فمسرحية هاملت وتاجر البندقية لشكسبير ، ورأس بوتين والاصدقاء الثلاثة ورواية الأم لمسكسيم جوركى قد قرأها ٩٠٪ على الأقل من كل من يحسن القراءة والكتابة ويمتلك الحد الادنى من الحس الوطنى والميل الى الاطلاع والرغبة فيه من شباب ومثقفى اليمن والوطن العربى عامة ، أما القضيـة الحقيقية للمهاجر اليمنى الذى غاب عن وطنه لمدة خمسة وعشرين عاما وعاد بعدها فى عام ١٩٦٢ لينخرط فى سلك الحرس الوطنى قبل أن يتوجه الى قريته ويلتقى بزوجته وأبنه البالغ من العمر خمسة وعشرون عاما وهو عمر هجرة أبيه والذى لا يعرفه لأنه فارقه وهو لا يزال فى بطن أمه ، وذلك حينما أستشهد جنديا فى احدى المواقع بعد عام من القتال دفاعا عن الثورة والجمهورية وأكتشف قائده الضابط الشاب من خـــلال استنطاقة قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيره أنه أبوه ويكتشف الأب أن قائده الصغير الذى ظـــل يقاتل تحت أمرته مدة عام كامل هو أبنه ! ٠

هذه القصة وآلاف غيرها لم يعرف أحد عنها شيء لانها لم تكتب بعد وقد لا تكتب ٠٠ تماما كقصة أولئك الابطال فى سن العاشرة والرابعة عشرة الذين يخشى على أمثالهم من حوادث عبور المشـــاه بمفردهم فى الشوارع المزدحمة بالسيارات والضياع وسط الزحام ، حينما دافعوا عن مدينة صنعاء فى حرب السبعين يوما فى أواخر الستينات لتظل عاصمة للثورة والجمهورية،

---

(٣) راجع كتاب : مناقشات حول الثقافة اليمنية ، دار ابن خلدون ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ٢٦ (عدد من المثقفين اليمنيين) ٠

دافعوا عنها بثبات فاق كل التصور حينما هرب منها الملتحون وتجار المواسم، وتخلا عنها حكام الفرص والمناسبات وجنرالات وشيوخ الميزانيات والاعتمادات .. هذه القصة التي بدأت تسير الى حيز النسيان بدلا من أن تكتب وتقرأ ليست بأقل شأنا وأهمية ودلالة في أدبيات النضال الثوري في بلد متخلف كاليمن من القصة الحقيقية الأخرى للمرأة القروية التي أنتزعت خنجر عسكري السلطة لتشق بطنها وتفارق الحياة في لمح البصر في أوائل السبعينات بمدينة صنعاء حينما كان يقتادها الى ضابط التحقيق بتهمة « الشيوعية » كواحدة من بين أكثر من خمسين أمرأة كن قد أنتزعن من بين أهلهن وأطفالهن من قرى المناطق الوسطى وأحضرن الى العاصمة تحت أسنة الرماح لنفس الغرض وبنفس التهمة ! .

واذا كان البعض منا ما يزال يتذكر بصعوبة المدلول السياسي والاجتماعي لكلمة « دستوري » التي شاعت بعد فشل حركة ١٩٤٨ الوطنية وحتى قيام الثورة عام ١٩٦٢ فان الغالبية الساحقة من المثقفين لا يعرفون قط المدلول المماثل لكلمة « ناصبي » و « رافضي » و « خباني » و « حضوري » و « قبيلي » و « شهاري » الى غير ذلك من مفردات القاموس السياسي والفكري لتاريخ أئمة بيت حميد الدين وأشياعهم من عناصر الطبقة الاقطاعية وذيولها العفنة منذ عرفهم الشعب اليمني سواء كانوا في السلطة أو خارجها .

كما أن الكثير منا لا يعرف أيضا مدلول التشاؤم الكبير ليوم الربوع في منطقة البيضاء والمنطقة الشرقية بصفة عامة والذي يتلفظ به الأشخاص ضد بعضهم بالقول : « لك يوم الربوع » كتعبير عن أعلا درجات السخط والغضب وتمنيات الشر للطرف الآخر .

فالمعروف أن كلمة « دستوري » التي روجها بيت حميد الدين بعد فشل حركة ١٩٤٨ قد ألصق بها معنى التكفير والخسة والنذالة بالنسبة لكل من شارك في تلك الحركة الوطنية ضد الامام أو تعاطف معها ، والتي سميت هي الأخرى « بالدستورية » لأنها كانت في الأساس تستهدف القضاء على الدكتاتور الاقطاعي الأكبر ممثلا بالامام وأقامة دولة دستورية تعتمد على الدستور والنظام ، ومع ذلك فقد نجحت السلطة الاقطاعية الفردية المستبدة للأمام بعد أخماد الحركة في مسخ مدلول هذه العبارة الوطني الى عبارة مقت ومذمة يتنابز بها الأشخاص العاديين فيما بينهم كتعبير عن الكراهية والذم .

هذه القصة التي ما تزال معروفة لا تختلف كثيرا من حيث الاساس والمغزى السياسي والاجتماعي والطبقي لقصص تعابير ومصطلحات شائعة أكثر

قدما ، مثل كلمة « ناصبى » و « رافضى » التى تدل على كل من كان يخالف أئمة بيت حميد الدين القداما فى مذهبهم وفكرهم أو يرفضهم ويناصبهم العداء ، كما أن ما شاع من الحاق معانى المذمة والتحقير لكلمة « خبانى » التى يلقب بها كل من ينتمى لمنطقة خبان وغيرها من المناطق الوسطى وكل من يفد الى المدينة من أى منطقة فى الريف اليمنى بصفة عامة لممارسة العمل اليدوى والعضلى ، وكذلك كلمة « حضورى » نسبة الى منطقة حضور وما جاورها من المناطق الشمالية الغربية (كوكبان وشبام ومسور حجة) حيث يحمل معنى المذمة والتحقير لهذه المناطق ومن ينتمى اليهـا دلالـــة تاريخية وسياسية واجتماعية بالغة الاهمية ، ذلك أنه حينما وجدت الحركة القرمطية فى اليمن منذ القرن السادس الهجرى على يد الزعيم الوطنى على بن الفضل ومنصور حوشب ، كان الأول قد أتخذ من سرو يافع القريب من مسقط رأسه فى مدينة جيشان من بلاد العود فى المناطق الوسطى منطلقا لحركته السياسية والوطنية التى كللت بالنجاح ، وأتخذ الثانى من بلاد حضور ومسور حجة وشبام وكوكبان وما جاورها المنطلق الثانى لنفس الحركـــة الوطنية حتى التقوا معا فى صنعاء(٤) .

ولقد تمكن على بن الفضل من توحيد اليمن كاملة وأسقاط كل الممالك والامارات الاقطاعية المتناثرة هنا وهناك بما فى ذلك مراكز الائمة فى المناطق الشمالية وأقامة دولة وطنية ذات مبادىء اشتراكية وشعبية لمدة عشرين عاما لم يشهد اليمن مثيلا لها من قبل ولا من بعد حتى اليوم منذ ظهور الاسلام ، اذا ما أستثنينا دولة الصليحيين الى حد ما الذين جاءوا بعد حين وهم خلفاء نفس الدعوة وجناحها المعتدل المرتبط بالدولة الفاطمية(٤) .

فبسقوط دولة على بن الفضل بعد اغتياله بالسهم بفعل تدبير بعض الائمة الرسيين وغيرهم من قادة الممالك الاقطاعية والقبلية والارستقراطيـة الذين كانت الدولة قد قضت على مصالحهم ، كان من ضمن ردود فعلهم بعد ذلك الصاق كل المذمات وألوان التحقير والمقت بكل فئات الشعب الكادحـــة ممن يمارسون العمل اليدوى المأجور فى المدن من أبناء الريف الذين آمنوا بتلك الدعوة ودافعوا عنهـا ، وبهاتين المنطقتين التاريخيتين وأهلهما بالذات والتى انطلقت منهما الدعوة الوطنية لتوحيـد اليمن واستقلاله عن التبعية للخلافة والأئمة الموهمومين فى الخارج والممالك الاقطاعية والعشائرية فى الداخل .

---

(٤) راجع كتاب الحمادى عن القرامطة فى مكتبة دار الكتب بصنعاء .

(٤ مكرر) محمد يحيى الحداد : تاريخ اليمن السياسى ، الطبعة الدالية ، ص ١٩٤ .

وذلك ضمن ما ألحقوه من التشهير والتشويه بتـــاريخ تلك المرحلة الذهبية فى حياة الشعب اليمنى(٥) ٠

ولقد تركز الأمر بنفس الطريقة بعد حين بالنسبة للدولة الصليحية التى نجحت فى توحيد اليمن مرة أخرى وأقامت دولـــة قوية مركزية من حضر موت حتى مشارف نجد والأراضى المقدسة فى مكة والمدينة التى خضعت لاشرافهم ، حيث ما تزال تلصق بهم ألوان التهم والبشاعات الخلقية والدعاوى الكاذبة حتى اليوم(٦) ٠

وعلى النطاق القومى والعام لا يكاد يوجد مثقف واحد فى أى بلد عربى لم يكن قد قرأ أو يعرف على الأقل عن أول بيان سياسى لأول حزب شيوعى فى العالم وكتاب رأس المال لكارل ماركس أو قراء عنه على الأقل ، وكتاب أصل العائلة والملكية والدولة لانجلز ، أما مجموعة الدروس التثقيفية التى أعدها الحزب الشيوعى الفرنسى لتثقيف قواعده من العمال الفرنسيين فى الكتاب المشهور بأسم : « أصول الفلسفة الماركسية » فقد حظى بما لم يحظ به أى مطبوع معاصر من القرأءة وسعة الانتشار بين مثقفى البلدان النامية والمتخلفة على كل المستويات وبمختلف اللغات ٠

كما أن كثير من الأحداث التاريخية القديمة والحديثة خارج نطاق البلدان النامية والمتخلفة لم تعد مجهولة أو خـــافية الدلالة العـــلمية والتاريخية والاجتماعية والسياسية والموضوعية ، كـــوقائع الثورة الفرنسية وتحطيم سجن الباستيل وأقامة كومونة باريس فى فرنسا ، وحادثة محاكمة وقتل عمال شيكاغو فى أمريكا ، وثورة ١٩١٧ فى روسيا ، وحرب الأنصار فى الصين ، وهزيمة الحركة النازية فى الحرب العالمية الثانية ، وانتصار الشعب الفيتنامى البطل ٠٠٠ الخ ٠ فكل هذه الأحداث والوقائع التاريخية وغيرها من وقائع وأحداث التحولات التاريخية فى النضال البشرى فى المجتمعات الاشتراكية والرأسمالية على السواء تحتفظ اليوم بكل مضامينها ودلالاتهـــا التاريخية والموضوعية السليمة ، ولها مكانتها وأثرهـــا فى نفوس ومشاعر

---

(٥) راجع حمود العودى : نحو رؤية وقرآة جديدة للتاريخ والتراث ، دراسة فى مجلة الغد اليمنية عدد مارس – ابريل ١٩٧٨ ٠ وكذلك كتاب الحمـــادى عن القرامطة فى اليمن ، دار الكتب بصنعاء ٠

(٦) راجع المرجع السابق للحمادى بصفة عامة ، وكذلك تاريخ زبارة ٠

وأفكار كل المناضلين من أجل الحرية والتقدم فى العالم وتقرأ باستفاضة ويحتفل بها فى كل عام ٠

هذا فى الوقت الذى لا يستطيع الغالبية العظمى من المثقفين الوطنيين فى البلدان النامية وفى المنطقة العربية مثلا أدراك الدلالات الاجتماعية والسياسية والطبقية والتاريخية لواقعة أبتلاع هند أم معاوية لكبد العباس بعد مقتله ، ومقتل سعد بن أبى عبادة فى أحد المناطق النائية من شعاب مكة بعد خلاف السقيفة ، وبث « أشاعة » بأن جماعة من الجن قد أعتدت عليه وقتلته ، ولا نفى أبن ذر الغفارى الى الصحراء حتى مات فيها بلا كفن ، ولا مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، ودلالالة ما فعله على بن الفضل فى اليمن وأبى سعيد الجنابى فى البحرين ، وأحتفال الخليفة المتوكل فى القاهرة بحرق وأتلاف أثمن وأهم ما كتبه ابن رشد والامام الغزالى يقف الى جواره فى منصة الاحتفال وهو يعلن عن العطايا السخية لكل من يحضر كتابا أو كلمة مكتوبة لابن رشد لكى تحرق فى مثل هذا الحفل المهيب ، الأمر الذى فعله أسلافه العباسيين والفاطميين بالتراث الانسانى والفكرى الذى لا يقدر بثمن للمعتزلة والقرامطة والخوارج وغيرهم من دعاة الحرية والعقل فى مقابل أصحاب التقليد والنقل ، والذى لا يقل عما فعله المغول فى دمشق وبغداد(٧) ٠

فمثقفونا لا يجهلون كل الدلالات التاريخية والسياسية والاجتماعية والطبقية لمثل هذه الأحداث الهامة فحسب بل أن مثقفينا الوطنيين يجهلون أيضا الدلالات الاجتماعية والتاريخية والسياسية لضرب الناس لأنفسهم بالسياط والحدائد المسننة حتى الموت فى النجف وكربلاء فى العراق وغيرها من المناطق داخل الوطن العربى وخارجه ، وحج ألوف الناس يوميا الى ضريح السيد البدوى والسيد الحسين وغيرهما من أماكن دفن الموتى فى مصر ، تحت رعاية ومباركة رجال السلطة ومشاركتهم أيضا ٠

كما أننا فى اليمن أيضا نجهل تماما لماذا أرتد الأسود العنسى أو كفر على نحو ما تروى الأساطير كما لا نستطيع أن نتذكر قط أو نستنتج دلالة هدم « يعلى بن أمية » حاكم اليمن فى عهد عثمان لقصر غمدان وملحقاته فى صنعاء بأمر من الخليفة ، مثل ما يجهل الكثيرون منا دلالة تحطيم نابليون لانف أبو الهول فى تبة الجيزة فى مصر بمدفعية القرن التاسع عشر ٠

---

(٧) د٠ محمود اسماعيل : الحركات السرية فى الاسلام ، ص ١٢٥ ٠

فكل مثل هذه الأمور والوقائع هى التى يتكون منها بناء التاريخ كله بالنسبة للوطن العربى وغيره من المجتمعات النامية والمتخلفة ومجمل ظروفه الذاتية والموضوعية ، ويستدل من خـــلالها وبهـــا على حركته وصيرورته التاريخية والجدلية التى لا تتوقف ، وتقرأ فى ضوئها حقيقة الماضى والحاضر وتحدد بمقتضاها والاسترشاد بها صورة المستقبل ، والعـــوامل الذاتية والموضوعية المؤدية اليه ، كل هذه الأمور والقضايا هى من القصور والأهمال والتناسى حتى الآن بالنسبة للمثقفين بصفة عامة وطـــلائع النضال الوطنى والتحررى فى المجتمعات التى نحن بصددها بصفة خاصة ، بحيث لا يحتل الاهتمام بها الا مقعدا من الدرجة الثالثة أو الرابعة ٠

بل غالبا ما تبدوا بعض الاهتمامات الفردية والعشـــوائية السطحية لبعض المثقفين بمثل هذه الأمور والقضايا مجرد تعبير عن الازدراء والسخرية والتهكم من جهة أو مجرد العداء الشكلى والمحاكمة السطحية الساذجة من جهة ثانية ، على نحو ما سبق القول فى مكان سابق من هذه الدراسة ، أو لا يعرفون عنها أو يتذكرون منها فى أحسن الأحوال أكثر مما يعرفه أو يتذكره أو يردده رواد التقليد والنقل المحرف والمشـــوه من حملة أفكار وأيدولوجية الطبقات الاقطاعية والارستقراطيات المسيطرة القديمة المتخمة بالتضليل والخرافه والمسخ العقلى للتفكير السليم الذى ما نزال نقرأ من خلاله كل تاريخنا ، ويلقن به أطفالنا وشبابنا فى المدارس والجامعات ودور العلم والعبادة ومقابر الموتى ، وعند قارئى الكف والطالع وضاربى الودع والمداحين على رصفة الشوارع وبالشكل والمفهوم المشوهة الذى تريده هذه الطبقـات الاقطاعية والرجعية المتخلفة ويضمن بقاء واستمرار مصالحها المرتبطة بحالة التخلف القائم لا وفقا لما يقضى به المفهوم الحقيقى لطبيعة الواقع وأبعاده التاريخية والاجتماعية والتراثية(٧) ٠

خصوصا وان هذه الطبقات الاقطاعية المتخلفة قد نجحت الى حد كبير فى المحافظة على حق الوصاية على هذا التراث والتحدث بأسمه دون سواها منذ زمن بعيد وحتى اليوم ، وجعله جزء لا يتجزأ من مليكتها الخاصة التى يورثها الأباء لأبنائهم ولا يجوز للآخرين حتى مجـــرد التفكير فى المشاركة فيها ، تطبيقا لأوامر السماء على الأرض ، اذ يجب أن لا يغيب عن الذهن

(٧ مكرر) راجع حمود العودى : التراث الشعبى وعلاقته بالتنمية فى البلاد النامية . دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمنى ، وبالذات الفصل الثالث بصفة عامة . مركز الدراســـات اليمنية ، ١٩٨٠ ٠

المدلول السياسى والاجتماعى والطبقى والذى نجهله ضمن ما نجهل للحكمة الاقطاعية والارستقراطية القاضية بأن الحياة لا تستقيم أمورها الا بوجود أمام « هاشمى » معصوم من الخطأ فى قمة السلطة ، وأن صـــلاة الجماعة لا تصح الا بوجوده ولا تساق الزكاة الا الى خزائنه ، وتفسد كل الحقـوق والمعاملات اذا غاب بشخصه أو غاب من ينوب عنه من نفس السلالة الوهمية أو الوسط الاقطاعى والارستقراطى على الأصح ، والذى رغب فى تكريس مصالحه الطبقية سياسيا واقتصاديا وأيديولوجيا عن طريق نشر وتعميـق مثل هذه الاشاعات والأكاذيب فى أذهان بسطاء الناس زمنا طويلا فى بلادنا، والتى تتميز بها العقلية الاقطاعية عبر التاريخ فى كل المجتمعات ، ونحن نشاركهم كل ذلك بوعى منا أو بدونه ٠

وهكذا تتأكد حقيقة أن الظروف الذاتية والموضوعية وأدبياتها الثقافية والفكرية التى يرددها مثقفونا على أسمـــاع بعضهم البعض يوميا أكثر من ترديد أسمائهم الشخصية لم تكن مجرد صيغة للمنطق المثالى اللفظى ولا كلمة سر نثبت بها هويتنا عند اللزوم ، كما أنها ليست تسمية لغوية أو علامـة تجارية يستطيع أى شخص أن يدمغ نفسه وأشيائه بها لكى يتميز عن غيره ، ولكنها صميم الوجود الحقيقى للمجتمع وتاريخه كله ومفتاح تحوله نحـــو الأفضل بغير بديل ، كما أننا لا نستطيع أن نتصـــور ومن وجهة النظر الاشتراكية العلمية ـ كما يقول عبد الفتاح اسماعيل ـ بصـــدد المثقفين اليمنيين الوطنيين ـ أن تكون هناك ثقافة أممية بدون أن يكون لهـا أساس ثقافى وطنى ٠٠ فلكى يطل المثقف اليمنى على رحـاب الثقافـــة الأممية والانسانية عليه أن ينطلق من ثقافته الوطنية ٠٠ فالمثقف الوطنى الجيد هو المثقف الأممى الجيد«٨» ٠

وفى ختام هذه الفقرة التى قد تطول فيها أحـــاديث الشجون وحتى لا نذهب فيه أكثر مما يسمح به أطار الموضوع الجوهرى والشـــامل لهذا البحث ، دعونى أقول كلمة أخيرة كفرد قدر له أو يفترض فى نفسه على الأقل أنه واحدا من هؤلاء المثقفين المتشردين ، نسى العيش فى قريته القديمة ومهارة الخبرة والممارسة فى التعامل مع ثوره ومحراثه وأغنامه الأليفة الطيبة منذ أكثر من خمسة عشر عاما وأصبح يجيد حفظ بعض الكلمات ويحسن صياغتها

---

(٨) راجع كتاب : مناقشات حول الثقافة اليمنية ، ص ٢٦ (عدد من المثقفين اليمنيين) دار ابن خلدون ، بيروت ، ١٩٧٥ ٠

على هذا النحو ، دعونى أقول كمثقف بشكل ما بأننى لا أريد أن أظلم نفسى وأظلم أمثالى من المثقفين الوطنيين بالقول بأننا لا نملك مفهوما محددا لدور العوامل الذاتية وأهميتها فى عملية النضال وأحداث التحولات التاريخية أو نجهل هذه القضية كليا وجزئيا ، فالكثير منها صار يدرك كل ذلك أدراكا حسنا كقضية مبدئية ونظرية منهجية لا أكثر ، أما الكيفيات والممارسات العملية والاستيعاب الحقيقى السليم لهذه القضية فأنه ما يزال هو التحدى الذى نجهله ولا نحسب له حسابا ، والثغرة المميتة فى حياتنا والتى تطل منها الافاعى والحشرات السامة ما بين عشية وضحاها لتفسد كل ما نعمله وتقضى على كل ما نحلم به حتى مجرد بقائنا على قيد الحياة ، فهل نقبل مواجهة هذا التحدى حتى من أجل المحافظة على البقاء ؟! ٠

نهاية الاغتراب والعودة الى الأصل

أود أن أعيد الى الذاكرة ما سبق وأن أشرت اليه عرضا فى مكان سابق من هذا البحث من أنه ما أن بدأ الواقع الاجتماعى للمجتمع اليمنى يستعيد توازنه الطبقى والاجتماعى التقليدى بعد سنوات قليلة من قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ ويكشف عن أغتراب المثقفين فى هذا الواقع على نحو ما سبق حتى وجد المثقفون أنفسهم فجأة أشبه بالأناس المتشردين الذين لم تنقطع صلاتهم بكل شىء من حولهم فحسب بل صار معاديا لهم ويشير اليهم بأصابع الاتهام ويقوم بتصفيتهم بلا تردد ، وفى هذه المرحلة بدأ المثقفون اليمنيون ككل الدخول فى مرحلة جديدة من الصراع والمعاناة لا مع الواقع السياسى والاجتماعى المحيط الذى سحب أعترافه بهم كأوصياء وكشف لهم عن المقاييس الهشة والساذجة التى أنبنت عليها حياتهم وثقافتهم ووجودهم نفسه ، بل ومع أنفسهم أيضا التى ما عادت لتقوى على المغالطة بعد الآن ٠

وهنا نستطيع القول أنه رغم كل المعاناة الشاقة والتمزق والتشرد الرهيب الذى أصاب هذه الفئة الاجتماعية فى اليمن منذ أواخر الستينات وحتى اليوم على مستوى الساحة اليمنية ككل وما جد فى حياتهم وفكرهم من تطور وتحول كبير ، الا أن الوقائع قد جرت أحداثها بمقاييس مختلفة نسبيا فى الشطر الشمالى من الوطن بالنسبة للشطر الجنوبى منه ، الأمر الذى أدا الى اختلاف النتائج نسبيا أيضا حتى هذه اللحظة ، وفى حدود العلاقة بالسلطة السياسية على الأقل ، حيث ستتضح هذه الفروق النسبية حينما نتحدث فى مكان لاحق من هذه الدراسة عن الأوضاع الراهنة فى الشطر الجنوبى من الوطن مقارنة بما هو جار فى الشمال ، حيث ما زال حديثنا فى هذه الفقرة هو عن الأسس والمفاهيم الشاملة للمثقفين اليمنيين

ككل ومن زواية المفهوم الاجتماعى والطبقى والتاريخى لهـــذه الفئة وليس المفهوم السياسى البحت الذى سنرجىء الحديث عنه قليلا ٠

قلت أنه بالرغم من كل المعاناة والتمزق وهول الحقائق المرة التى فوجىء بها المثقفون اليمنيون فى منتصف وأواخر الستينات عن أنفسهم وعن الواقع من حولهم ، الا أنه من واقع هذه المعاناة نفسها ومن خلالها بدأت الأمور تتحول جذريا شيئا فشيئا وتتحرك فى الاتجاه التاريخى والواقعى العلمى الصحيح ، وتضع النهاية المحتومة لقصة الاغتراب الطويل ٠

فلقد بدأ المثقفون اليمنيون يكتشفون لأول مرة أنهم لم يكونو قط فئة اجتماعية مستقلة ومتجانسة قادرة على قيادة كل الفئات والطبقات فى المجتمع أو أنهم طبقة فوق كل الطبقات ، وأنهم عبارة عن لفيف اجتماعى متناقض الأفكار والمصالح والأهداف والتطلعات يعبر عن طبيعة الواقع الاقتصادى والسياسى والاجتماعى المتناقض أكثر مما يعبر عن نفسه وأنهم أقل وأضعف بكثير من أن يقوو على أن يكونوا سلطة بمفردهم ، أو حتى طليعة متماسكة تدافع وتناضل عن مصالح اجتماعية وطبقية معينة فى صميم الواقع الاجتماعى بمعزل عن هذه الطبقات وعن الواقع الاجتماعى نفسه ، كما بدأوا يكتشفون ببطىء حجم الدور الحقيقى للمسألة القومية وحدود أمكانياتها التى تتوقف عند الأسس الجوهرية الشاملة لوجود المجتمع نفسه ، وثقافته وحضارتـه وتاريخه ولغته ورقعته الجغرافية وانتمائه الوطنى ، ولا تتعداء ذلك قط الى أن تصبح مدخلا لحل المســـألة الاجتماعية وتنظيم العـــلاقات الاقتصـــادية والاجتماعية والطبقية والسياسية داخل المجتمع الواحد ، والتى تخضع بصفة مطلقة لقانون التطور الاجتماعى ومســاره الجـــدلى والديالكتيكى المتناقض والمتطور على الدوام ٠

كما بداء هؤلاء المثقفون أيضا يكتشفون بتأثر أكثر بطـــأ وصعوبة فداحة التجهيل والعزلة المخيفة عن الواقع الذاتى والموضوعى التى ألحقتها بهم الظروف والحقوها بأنفسهم بسبب هذه الظروف أيضا ، وكيف بدأوا يجدون أنفسهم أكثر تعاسه وأمية من الأميين أنفسهم فى هذا الواقع ، حينما تهاوت كل القشور التى بنو عليها حياتهم السابقة ولا ذو بهذا الواقع للبحث عن مأوا يمنحهم مجرد الاحتفاظ بالبقاء على الأقل ، كل بطريقته الخاصة وبما يضمن تحقيق مصالحه أو أمنه وبقائه ، متحللا من كل التزاماته القديمـة بصورة مباشرة وغير مباشرة ، حيث لجأ كل منهم الى أقرب مكان يعرفه أو تربطه به صلة قرباء قديمة أو مودة وصداقة جديدة ٠

حيث بدأ كل منهم يسترجع أفكاره بصعوبة لكي يتذكر نقطة البداية التى بداء منها لكى يعود اليها بصفة عامة أو يبحث عن نقطة جديدة يرسو عليها بشراعه المهشم اذا استحالت عليه العودة الى نقطة البدء أو وجد ما هو أفضل منها ٠

وبتعبير أوضح فان المثقفين اليمنيين حينما بدأوا يتعلمون من الوقائع والأحداث العملية ما أجبرهم على مراجعة كل مواقفهم ومفاهيمهم القديمة ومغادرتها الى هذا الحد أو ذاك فانهم بذلك قد اقتربوا من صنع النهاية لقصة اغترابهم وبداؤا فى الوقت نفسه رحلة العودة الى أصولهم الاجتماعية والطبقية وتبنى مصالحها بصورة مباشرة وغير مباشرة من أقصى اليمين وحتى أقصى اليسار ، وتحديد منطلقاتهم الجديدة فى ضوئها ومن خلالها ، والقيام بتطوير هذه المصالح والدفاع عنها بطريقة واقعية وصحيحة ، وسط ظروف سياسية واجتماعية ونفسية بالغة الصعوبة أنتهيت بالكثير منهم الى حالة من التأزم والضياع المحقق قبل أن يقووا على التخلص من كل ما تشبعوا به من رواسب قديمة ويظفروا بهويتهم الجديدة ويتكيفوا معها بسهولة ٠

ولقد كان المثقفون ذوى الأصول الاقطاعية والبرجوازية والكمبرادورية هم أقل الجميع معاناة وقدرة على التكيف بسهولة مع الظروف الجديدة مع وسطهم الطبقى الأصلى الذى صار يملك السلطة والمال معا بعد الخامس من نوفمبر عام ١٩٦٧ فى الشطر الشمالى من الوطن ، ويقدم لهم مختلف الأغرآت لكى يوظفوا قدراتهم ومهاراتهم السياسية والوظيفية فى خدمته ، ويتخلصوا بسرعة من كل رواسبهم وشقاوتهم القديمة ، الأمر الذى سهل لأكثريتهم الغالبة أنقاذ أنفسهم من الضياع بسرعة والتكيف المغرى والمريح مع أوضاعهم الطبقية القديمة الجديدة ، التى أغتربوا عنها لبعض الوقت ، والقليل منهم جدا هم الذين لقيوا الكثير من المعاناة والمتاعب فى سبيل البحث عن هوية طبقية جديدة تتناسب ولو بحد أدنى مع ما تشبعوا به من أفكار ومفاهيم قومية ووطنية فى سن الطفول والشباب ، يشاركهم فى ذلك الغالبية العظمى من المثقفين ذوى الأصول البرجوازية الصغيرة والعمالية والفلاحية ممن توفرت لهم فرص التعليم والثقافة بعد قيام الثورة على نحو ما سبقت الاشارة فى مكان سابق من هذه الدراسة ٠

فلقد ثبت من خلال مسح اجتماعى خاص قام به الباحث مؤخرا وحصل من خلاله على نتائج ذات دلالة واقعية وعلى درجة جيدة من الثقة والصدق العلمى فيما يتعلق بهذا الموضوع ، اتضح من خلالها أن ٦٥٪ من المثقفين

اليمنيين ذوى الأصول الاقطاعية والارستقراطيات العشائرية والقبلية الذين لا تقل نسبتهم عن ٤٥٪ من مجموع المثقفين اليمنيين المعاصرين الذين أتيحت لهم فرص التعليم والتثقف ككل وممن قاموا بعزل أنفسهم عزلا مشوها عن أصولهم الطبقية الاقطاعية وتبنوا الفكر القومى واللبرالى والبعض منهم تبنا الاتجاهات اليسارية المتطرفة منذ بداية الستينات وما قبلها ، هؤلاء جميعا قد رجعوا قلبا وقالبا الى أصولهم الطبقية الاقطاعية القـــديمة منذ أواخر الستينات وأوائل السبعينات ٠

وانما ما يزيـــد عن ٢٥٪ من النسبة المتبقيـــة منهم قد تبنوا الفكر البرجوازى والكمبرادورى الجديد ، وأن ١٢٪ منهم قد تأزموا وانقطعت بهم السبل بعد أن عجزوا عن تكييف أنفسهم مع أى موقف جديد وبطريقـــة صحيحة ، وأن ٨٪ منهم على الأكثر هم الذين احتفظوا بتوازنهم ضمن الخط اللبرالى القومى الذى بدأوا به وطوروا أنفسهم من خلاله فى الاتجاه الوطنى والتقدمى ٠

كما أن نسبة ٥٢٪ من المثقفين ذوى الأصول البرجوازية والكمبرادورية التجارية والذين يشكلون ٢٥٪ على الأقل من مجموع المثقفين اليمنيين قد عادوا بدورهم الى أصولهم الطبقية التى أصبحت أكثر تطورا وأغراء فى امتيازاتها ومكاسبها المادية ، وأن أقل من ٢٠٪ هم الذين نجحوا فى المحافظة على الخط الوطنى اللبرالى والتطور من خلاله ، ومال حوالى ٨٪ منهم الى تبنى فكر ومواقف الطبقة الاقطاعية والارتباط بها ، بينما تأزم أكثر من ٢٠٪ منهم وعجز عن التكيف السليم من جديد مع أى من المواقف السابقة وانقطعت بهم سبل العمل السياسى والفكرى الصحيح بصورة مباشرة وغير مباشرة ٠

أما مجموعة المثقفين ذوى الأصـــول العمالية والفـــلاحية والأوساط الاجتماعية الفقيرة والذين تصل نسبتهم الى ما يقرب من ٣٥٪ من مجموع المثقفين المعاصرين والذين زادت نسبتهم بهذا الشكل نتيجة قيام الثورة فى الشمال عام ١٩٦٢ والحصول على الاستقلال فى الجنوب عام ١٩٦٧ فقد كانوا هم أتعس الجميع وأكثرهم معاناة بصفة عامة فى هذا الموقف ، ذلك أن أوساطهم الطبقية العمالية والفلاحية والاجتماعية الفقـــيرة والمضطهدة لم تستطع أن تقدم لهم أى امتيازات مادية أو معنوية مغرية للعودة اليها بسهولة وتبنى فكرها ومصالحها ، نظرا لما كانوا قد اعتادوه من نمط معيشة حيـــاة البرجوازية الصغيرة وعاداتها ومزاجها الاجتماعى المشوهة والمنحرف (أكل ـ شرب ـ ملبس ـ مسكن بطريقة معينة) من جهة وما تشبعت به عقولهم

من أسس تربوية برجوازية وارستقراطية معينة أساسها الحرص على التخلص من أوساطهم الاجتماعية والطبقية الأصلية وعدم التفكير فى العودة اليها فى يوم من الأيام، رغم استعدادهم أو اعتقادهم الواهم على الأصح أنهم يستطيعون العمل من أجلها من خلال توجيه النصائح والارشادات النظرية لما يجب أن تكون عليه الأمور من أماكن متعالية ، أو أعلان الندم والاستياء المصحوب بدموع التماسيح لما قد لحق ويلحق بها من ظلم وأذاء من قبل الطبقات المسيطرة ، والاكتفاء بمجرد النقد الكلامى لما هو موجود والتنظير المثالى لما ينبغى أن يكون فى أحسن الأحوال ٠

كما أن الطبقات الاقطاعية والبرجوازية قد أبدت الكثير من المحاذير ازاء قبول عضويتهم فيها ، الا وفق شروط مشددة يثبتون من خلالها حسن النية ، ولذلك فقد جاءت نسب توزيع هؤلاء المثقفين لأنفسهم فى الأونة الأخيرة توزيعا طبقيا مختلفا بشكل ملحوظ بالقياس الى سابقيهم من ذوى الأصول الاقطاعية والبرجوازية ، فبينما بلغت نسبة المثقفين ذوى الأصول الاقطاعية والبرجوازية الذين عادوا الى أصولهم الطبقية وتبنوا فكرها ومصالحها ٦٤٪ و ٥٢٪ على التوالى ، فان نسبة المثقفين ذوى الأصول العمالية والفلاحية والفئات الاجتماعية الفقيرة الذين حافظوا على خطهم الوطنى وطوروه وعادوا للارتباط بأصولهم الطبقية وتبنى مصالحها وفكرها التقدمى الصحيح وقاموا بتطويره لم تتجاوز ٣٧٪ بينما نجحت الطبقات الاقطاعية فى أمتصاص ١٦٪ منهم و ٢١٪ أمتصتهم الطبقة البرجوازية الكمبرادورية الجديدة ، وصاروا جزء لا يتجزاء من هذه الطبقات ومدافعين أقوياء عن مصالحها ٠

أما النسبة الباقية وهى لا تقل عن ٢٦٪ فقد أعترتهم حالة من التأزم السياسى والنفسى من هول ما فاجأتهم به الأحداث وعجزوا معها عن التكيف السليم مع أى موقف طبقى أو سياسى محدد فى الواقع الاجتماعى ، الأمر الذى أنتهى بأكثريتهم الى الجنون والتشرد أو الانتحار المباشر والبطىء من خلال أدمان شرب المواد الكحولية وتعاطى القات وفقدان الاستقرار النفسى والاجتماعى والعائلى ، والامعان فى الا مبالاة والثرثرة والاستسلام لحالة التشرد الحياتى المخيف هروبا من واقع يرفضونه الى عالم فشلوا فى تحقيقه٠

وبذلك نستطيع القول بأن المثقفين اليمنيين المعاصرين قد بدأوا مغادرة مواقعهم القديمة أو التقليدية فعلا منذ منتصف الستينات وما بعدها ، وسط أحداث مريرة ودامية كان أولها أحداث لحج والشيخ عثمان فى عدن عشية الاستقلال عام ١٩٦٧ ، وربما يكون آخرها هى أحداث ١٥ أكتوبر سنة

١٩٧٩ فى صنعاء ، حيث قاموا بتقسيم أنفسهم تقسيما طبقيا الى ثلاثة أقسام رئيسية ، القسم الأول التحق بالطبقات الاقطاعية والبرجوازية الكمبرادورية بحكم الانتماء الأصلى أو القناعات السياسية والمصلحية وانقطعوا لخدمة مصالحها ، بعد أن تنازلوا عن كل ما تبقى لهم من الاهتمامات القومية واللبرالية القديمة كدليل على حسن نواياهم تجاه هذه الطبقات .

أما القسم الثانى فقد سار فى الاتجاه العكسى أى العودة الى أوساط الطبقات العمالية والفلاحية بحكم انتمائهم اليها أو اقتناعاتهم السياسية الناجزة بهذه الطبقات وتبنى مصالحها وأيدولوجيتها بطريقة أكثر علمية وموضوعية ، وقامت بتنميتها وتطويرها نظريا وعمليا بشكل ملحوظ، رغم كل المشقات والمتاعب التى عانوا منها ولا يزالون .

أما القسم الثالث من هؤلاء المثقفين فقد شكنوا بقطاعهم الواسع الظاهرة الأكثر استثناءا وتميزا ، والتى قد تخص المجتمع اليمنى أكثر من غيره من المجتمعات النامية والمتخلفة ، فهم أولئك الذين لم يطيقوا قط العودة الى حظيرة الطبقة الاقطاعية والبرجوازية والقبول بشروطها المهينة من جهة ، وعجزوا فى الوقت نفسه عن اختيار المواقف المضادة لذلك بطريقة صحيحة بحكم ما تشبعوا به من تربية سياسية وفكرية خاطئة ، ومالوا الى الرفض والمقاومة السلبية لكل شىء من حولهم والتعامل معه بطريقة مرضية .فانقطعت بهم السبل وأنتهت بهم الممرات الى نهايات مأساوية محزنة حقا .

ونستطيع أن نستدل من خلال هذه الدلالات الاحصائية على بعض الحقائق الأخرى الأكثر أهمية منها :

(أ) اثبات حقيقة أن فئة المثقفين (أى متقفين) ليسوا فئة مستقلة أو طبقة فوق الطبقات ولكنهم يمثلون شريحة اجتماعية مقسمة رأسيا بين كل الطبقات الرئيسية فى المجتمع ، ليقوموا بدور التعبير عن مصالحها السياسية والاقتصادية المتناقضة وخدمة هذه المصالح دون أن يكونوا مفوضين أو قادرين على الدفاع عنها أو المحافظة عليها بمفردهم وبمعزل عن هذه الطبقات نفسها التى لا تمنحهم هذا الحق مهما بلغت درجة ثقتها بهم وأخلاصهم لها . لأنهم لا يعجزون عن الوفاء به فحسب بل ولأنه حق غير شرعى بالدرجة الأولى .

(ب) ان الانتماء الطبقى وأصوله الاجتماعية هو الأساس الجوهرى الذى تحدد فى ضوئه الهوية الاجتماعية والطبقية للأفراد كقاعدة عامة ، وان

تحول بعض الأفراد المثقفين وانتقالهم من طبقة لأخرى هو الاستثناء الذى بالرغم من أهميته الا أنه يظل استثناء وليس قاعدة عامة يجب الحذر من التورط فيه أكثر مما ينبغى أو المبالغة فى دوره أكثر من اللزم سلبا أو أيجابا ٠

(ج) ان القطـاع الواسع والملحوظ من أولئك المثقفين الذين تأزموا وطنيا ونفسيا وغالبيتهم ينتمون الى أوساط عمالية وفلاحية وبرجوازيـة صغيرة ووطنية ويشكلون بحالتهم تلك الاستثناء غير العادى قد كانوا هم الفدية أو الضريبة التى كان لا بد وان تدفع ثمنا لقصة ذلك الاغتراب الطويل التى عانت منها هذه الفئة وما تزال فى كثير من المجتمعات النامية والمتخلفة، والتى جسدت أعظم دلالاتها وحدة بروزها فى مجتمعنا اليمنى بكل تأكيد من خلال هذا النمط من المثقفين ذوى النهايات التعيسة ٠

الفصل السابع

الدلالات الواقعيـــة

الا يبدو أن الطابع النظرى قد طغى على حديثنا فى الفصل السابق فى هذه النقطة الخاصة ببدء عودة المثقفين اليمنيين من رحلة الاغتراب المشوهة التى شبوا وترعرعوا فى ظلها ، الى أصولهم الاجتماعية والطبقية وأقامـــة علاقات طبيعية معها ؟ وأننا نفتقر الى بعض الدلالات الواقعيـــة للأحداث والتطورات الفعلية فى هذا الشأن التى تؤكد كل ذلك . رغم ما سبق الاستناد اليه من بعض المؤشرات الاحصائية التى يتحمـــل الباحث وحده مسئولية صدقها وموضوعيتها ؟

هذا بالضبط هو ما أحس به وما أجدنى مضطرا لاستيفائه فى هذا الفصل حتى يكون الكل فى الصورة ، ولا أتحمل عبء الحكم على هذه النتائج الهامة بمفردى ، خصوصا وأننا بصدد موضوع شديد الحساسية والأهمية معا ولا يحتمل التناول النظرى والشكلى العابر ، ولا مجرد الاشارة الى نسب احصائية مليئة بالمخاطر اذا ما قدمت كدالة وحيدة الجانب .

كيف نشأ المثقفون اليمنيون ، ومن أى المصادر الطبقية وفدوا . وفى ظل أى ظروف سياسية واجتماعية وقومية كونوا ثقافتهم ورؤيتهم لأنفسهم وللواقع من حولهم ؟ كل تلك قضايا سبق طرحها بوضوح ومن خلال بعض الوقائع أيضا . أما كيف أنفرط عقدهم وتحطمت سفينة اغترابهم وتفرقت بهم سبل أصولهم وواقعهم الاجتماعى الصحيح ، فذلك ما حللناه من الناحية النظرية وبعض الدلالات الاحصائية فى الفصل السابق ونستوفيه هنا من خلال استعراض أهم الأحداث والتطورات الواقعية التى تمت من خلالها كل تلك التحولات فيما يلى :

فى الشطر الجنوبى من الوطن

قد يظن البعض أو يفترض خطأ بن البيان الذى صـــدر عن مؤتمر « حمر » فى ١٩٦٦/١١/٢٥ الذى نجم عنه انفصال الجبهة القومية عن جبهة

التحرير واعـــادة تقييم أوضاعهـا سياسيا وعسـكريا وأيدولوجيا ، لأن الانقسام الحقيقى قد بداء قبل ذلـــك بثلاث سنوات تقريبا حينما طرحت مسألة الثورة والنضال المسلح ضد الاستعمار البريطانى كبديل ســـياسى واستراتيجى حاسم من قبل الجبهة القومية وقطـاعات واسعة من جمـاهير الشعب فى الريف للحصول على الاستقلال ، بدلا من الدوران حول أحلام المفاوضات والمطالبات والاضرابات والاستجـــداء المهين للاستقلال الذى لن يأتى بهذه الطريقة من برطانيا والذى كانت تمارسه عناصر جبهة التحرير الذين كانوا ما يزالون وقتها يعملون فى اطار ما عرف بحزب الشعب الاشتراكى والمؤتمر العمالى ، والذين رفضوا وقاوموا مبداء الثورة المسلحة بوضوح ، وبمفهوم سياسى وأيديولوجى غامض ومفعم بالسذاجة وضيق الأفق وسوء الرؤية التى يتميز بها أسواء مثقفى البرجوازية الصغيرة فى بلد متخلف وما يزال تحت السيطرة المباشرة للادارة الاستعمارية كجنوب الوطن وقتها وبوعى منهم أو بدونه ٠

ذلك أن العناصر القيادية لحزب الشعب الاشتراكى والمؤتمر العمالى كانت قد نجحت منذ أوائل الخمسينات وحتى بداية الستينات تحت تأثير المد القومى الخارجى فى اثارة المشاعر القومية لقطاعات واسعة من الجماهير والعمال فى مدينة عدن بالذات والدفـــع بها نحو مواقف مطلبية عادية ، وممارسات قومية وسياسية غامضة وغير محددة المعالم ، بما فى ذلك فكرة المطالبة بالاستقلال ٠

واذا كانت الجماهير العمالية والطلابية والتجار الصغار الذين حركوا تلك الأحداث لم يكونوا يدركوا من أبعادها ومراميها أكثر من كونها ممارسة وطنية وقومية وتحررية حقا ضد الاستعمار ومن أجـــل القومية العربية والوحدة العربية فانه على خلاف ذلك كانت العناصر القياديـــة والسياسية المثقفة والمحركة لتلك الأحداث والمطالب تعى جيدا ما الذى تريد وتخطط لأجله ، ومن ورائها البرجوازية والكمبرادور التجارى فى المدينة وضواحيها ٠

فلقد كانوا بحكم طبيعة تكوينهم الاجتماعى والفكرى يشكلون ائتلاف سياسى وطبقى لعناصر البرجوازية الصغيرة والكمبرادورية التجارية الكبيرة والعناصر الوظيفية المنتفعة مع النظام الاستعمارى والمتكاملة معه منذ زمن طويل ، وحينما كانوا يصرون على المطالبة بالاستقلال من خلال المفاوضـــة والمطالبة والمظاهرة كحد أقصى ويرفضـــون جملـة وتفصيلا فكرة الثورة المسلحة ، فأنهم بذلك كانوا يعبرون بدقة وبوعى منهم أو بدونه عن طموحات الطبقة البرجوازية والتجارية الكمبرادورية فى مدينة عدن وحدها ، وصولا الى ضرورة اعادة النظر جذريا فى مبدأ تقاسم المصالح السياسية والاقتصادية

مع الادارة الاستعمارية ، بما يضمن لهذه الطبقة أو لهذا الائتلاف المشوهة مصالح وامتيازات جديدة باسم الاستقلال ، مع الاحتفاظ بكل أسس الارتباط والتكامل بين المصالح المشتركة لكـــلا الطرفين (هـــذه الطبقات من جهة

فلقد كان بحثهم عن استقلال أكثر لمصـــالح الطبقة البرجوازيـة والكمبرادورية والعناصر المنتفعة سياسيا ووظيفيـا فى نطـــاق السيطرة والتبعية الاستعمارية ، وليس بحثا عن استقلال وتحرر سياسى واقتصادى حقيقى للشعب بأسره ، مع الامعان فى التلاعب بعواطف ومشاعر الجماهير والدفع بها الى مواقف وممارسات سياسية فى ظاهرها الرحمة وباطنهـا العذاب ٠

ولقد كان الذعر والهلع الذى أصيبت به تلك العناصر المثقفة من مسألة الثورة المسلحة هو أعظم دليل على هذه الحقيقة ، لأن مبداء الثورة المسلحة من شأنه أن يؤدى فى النهاية الى دخول أطراف طبقية وسياسية جديدة قد تشمل الشعب بأسره (عمال وفلاحين ومثقفين وطنيين وبرجوازية صغيرة ٠٠٠٠ الخ) ذات أبعاد ومضامين وأهداف سياسية واقتصادية تحرص عـلى تحقيقها من خلال مبدأ الاستقلال وتتعارض جزئيا وكليا مع أهداف الطبقة التجارية والكمبرادورية السابقة التى تعبر عنها تلك العناصر السياسية المثقفة وتناضل من خلالها بوعى منها أو بدونه ٠

وفى ضوء هذه الدلالات الطبقيـــة والتاريخية لم تقف تلك العناصر طويلا أمام مفترق الطرق حيث أختارت طريقها وموقفها الى جانب الطبقـــة البرجوازية الكمبرادورية بحكم مصالحها المرتبطـــة بها من جهة ومحدوديـة رؤيتها السياسية والاجتماعية والتاريخية لتطور الواقع من جهة أخرى ، حيث لم تكن تقوى على أن تتصور أن ثورة مسلحة يمكنها طرد الاستعمار بالقوة مهما كانت مقوماتها وأمكانياتها ٠ وبينما ايدت الثورة « معنويا » ـ كما يقول عبد الفتاح اسماعيل ـ منظمة شبيبة السلفى (الاتحاد الشعبى الديمقراطى) فان حزب الشعب الاشتراكى وقف موقفا مستهينا بها ، بل اعتبرها ثورة « دراويش عرب » كما وصفها زعيم الحزب آن ذاك ٠ أما حزب البعث فقد كان موقفه حينها ـ بشكل غير مباشر ـ هو نفس الموقف الذى اتخذه حزب الشعب(١) ٠

---

(١) عبد الفتاح اسماعيل : كتابات مختارة حول الثـــورة الوطنية الديمقراطية وآفاقها الاشتراكية ، دار الفارابى ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ١٩ ٠

ولقد تجسد هذا الموقف من خلال ما أعلنته وماربسته هذه العناصر القيادية من تصريحات ومواقف وممارسات مختلفة كان أبرزها ما جاء فى « الكتيب » الذى صدر عن مكتب التوجيه والنشر لحزب الشعب الاشتراكى بعنوان « هذا موقفنا » فى عام ١٩٦٣ والذى مما جاء فيه : ان حزب الشعب الاشتراكى معا أيمانه الأكيد بأن اجلاء المستعمر عن بلادنا واجب مقدس فهو : لا يؤمن بسفك الدماء حيث يمكن حقنها ، ولا يوافق على تخريب الارض حيث يمكن بناؤها وزرعها ، ويعتبر العمل المسلح وسيلة للضغط على الاستعمار من أجل الوصول الى حلول سياسية أفضل ، وليس لاحراز انتصار عسكرى حاسم على غرار انتصار دولة على دولة ، ورفض الوصول الى المجد الحربى الرخيص على حساب دماء وأرواح الاحرار من القبائل فى ردفان ويافع والضالع ودثينة والحواشب .. فى حرب أقلاق لا حرب تحرير(١) .

أما حزب رابطة أبناء الجنوب « وهى رابطة سياسية لأبناء السلاطين وعناصر الطبقة الاقطاعية ككل » فانه بالرغم من بعض الخلافات العلنية بينها، وبين قيادات حزب الشعب الاشتراكى كممثل للبرجوازية والكمبرادور حول بعض القضايا ، الا أن غزلا سياسيا غير مباشر كان يتم وجدانيا على الأقل وعلى الصعيد العملى بصورة أوضح بين الطرفين بحكم ترابط المصالح وتداخلها بين الاقطاع السلاطينى والكمبرادور من جهة والادارة الاستعمارية الراعية والمهيمنة من جهة أخرى ، حيث كانت هذه الرابطة الاقطاعية ذات النزعة الانفصالية والاقليمية والارستقراطية العفنة تشجب العمل المسلح وتعتبره نذيرا بالخراب والدمار يهدد المنطقة ، وكان هذا المنطق ـ كما يقول الصحفى المصرى عادل رضا ـ وان اختلف من حيث الشكل عن منطق حزب الشعب الاشتراكى الا أنه من حيث المحتوى يؤدى الى طريق واحد . وذلك فى كتابة ثورة الجنوب تجربة النضال وقضايا المستقبل ، الذى حاول من خلاله أن ينظر لهذه المجاميع السياسية ويلبسها بعد منتصف الستينات ثوبا غير ثوبها الذى ولدت وترعرعت فيه زمننا طويلا ، ومن منطلق صحفى وسياسى

(١ مكرر) راجع كتيب : هذا موقفنا الذى أصدره عبدالله الاصنج باسم « حزب الشعب الاشتراكى » عام ١٩٦٣ .

معين يعكس حالة التردى السياسى والفكرى الذى كان يسيطر على النطاق القومى بصفة عامة وعلى موقف القيادة السياسية للجيش المصرى فى شمال الوطن والحكومة المصرية نفسها ، وطريقة تعاملها مع المتغيرات الجديدة لثورة شعبنا فى الجنوب بطريقة خاطئة ٠

فلقد أكد عادل رضا حقيقة هذا الموقف الصريح فى بداية الستينات لهذه الأحزاب السياسية التقليدية من الثورة المسلحة - والحق ما شهدت به الاعداء - بقوله : « كانت الأحزاب تتخذ « طابع الهروب » من الدعوة الى النضال المسلح وعدم التخلى عن موقفها فى المناداة بأساليب السياسة التقليدية والاصرار على رفض أسلوب النضال المسلح ٠٠٠ ويضيف : لقد تصورت الأحزاب السياسية التقليدية أن الثورة لن تستمر شأنها فى ذلك شأن أى انتفاضات قبلية سابقة ، وصدرت منشورات وتصريحات من هذه الأحزاب (تخطىء) أسلوب النضال المسلح وتعتبره وبالا ودمارا على شعب الجنوب(٢) ٠

وهو فى الوقت الذى يقرر فيه هذه الحقيقة يعجز كليا عن تفسيرها وفهم أبعادها الطبقية والتاريخية ، ويكتفى بالقول فى نفس الصفحة : ان المنطق الذى خرج من هذه الاحزاب وحدد هويتها كان غريبا علينا وعلى كل المراقبين المتابعين للقضية ، وكذلك على الشعب العربى كله ؟!(٣) ٠

وهو لا يعكس بهذا الفهم موقفه الشخصى كصحفى فحسب ولكنه كان يعكس من باب أولى فهم السياسة العربية القومية المتردى وقتها بصفة عامة ، والمصرية منها على وجهة التحديد والتى كانت تفرض نفسها على الأحداث بقوة داخل المنطقة ، وهو ما يقصده بالضبط من عبارة « كان غريبا علينا وعلى كل المراقبين المتابعين للقضية وكذلك على الشعب العربى كله ؟! » ٠ وهو الأمر الذى جعلنا نهتم بما جاء فى هذا الكتاب ونستدل به على بعض الوقائع فى هذا الجزء من هذه الدراسة ٠

ولقد كان هذا الفهم المغترب للسياسة المصرية وقتها والعربية بصفة عامة للأحداث والمتغيرات العربية والدولية الذى كان يرى بعين واحدة ويلمس

---

(٢) عادل رضا : ثورة الجنوب تجربة النضال وقضايا المستقبل ، دار المعارف المصرية ، ١٩ م ، ص ٥٦ ٠

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٦ ٠

ولا يميز هو نفسه الذى تبنى هذه العناصر بعد ثلاث سنوات كاملة من حرب التحرير التى أوشكت على الانتهاء من طرد المستعمر والاستيلاء على السلطة وتحقيق الاستقلال الحقيقى والكامل • فحينما بدأت تلك العناصر والتجمعات السياسية الاقطاعية والبرجوازية الأصل والموقف تشتم رائحة السلطة بعد اقتراب رحيل الاستعمار البريطانى تحت ضربات النضال المسلح ، بادرت بروح انتهازية الى الاعتراف بالثورة المسلحة وطرح مبدأ التوحيد ، لا لكى تشارك بصدق فى المراحل النهائية للثورة ضد الاستعمار وتشارك فى استلام السلطة بعد رحيله المرتقب ، وانما لكى تتسلل الى مواقع استراق ثمـــرة الكفاح الوطنى المسلح طوال أربع سنوات ممثلا فى الاستقلال وتنفرد بـــه وتطوعه لخدمة مصالحها الطبقية التى سبقت الاشارة اليها والمرتبطة بمصالح الاستعمار نفسه ، سواء أن كان موجودا أو غير موجـــود ، وحتى لا تفقد مصالحها التقليدية على الأقل فى حالة عدم استيلائها على السلطة أو التأثير فى مسارها بالكامل • فلقد كان الأعلان المفاجىء ــ كما يقول عبد الفتاح اسماعيل ــ عن الأيمان بالثورة الشعبية المسلحة من قبل الذين رفضوها فى البداية ووقفوا موقفا معاديا لها وادانوها فى تصريحاتهم السياسية هو أعلان عن مخطط ضمنى بغرض لوى عنق الثورة وتطويقها(٣) •

ولقد اعتمدت فى ذلك على ثلاثة عوامل أو ثلاثة منطلقات رئيسية ، الأول : مهارتها فى البدء بالمناورة فى الضغط على وتر النغمـــة القـــومية والوحدوية الغامضة واقناع القيادة الســـياسية للجيش المصرى والسلطة السياسية فى صنعاء ــ حيث تكمن الارضية الواسعة لانطلاق ودعم الحرب المسلحة ضد الاستعمار ــ بحسن نيتها أو تضليلهم على الأصح ، رغم أن قياداتها البرجوازية والكمبرادورية والسلاطينية المثقفة لم تكن فى حقيقتها تؤمن حتى بوحدة الممالك والامارات الاقطاعية التى صنعها الاستعمار وظل يغذيها طوال ما يزيد على مائة وثلاثين عاما داخل الجنوب ، عوضا عن زيف أيمانها بالوحدة اليمنية والعربية أو حتى الخط اللبرالى للفكر القومى نفسه ، ذلك أنه لم تسقط بعد من أسماعنا الشعارات سيئة الذكر والسمعة لهذه العناصر الاقطاعية والكمبرادورية المنتفعة عن « عدن للعدنيين » أولا ، ودولة « الجنوب العربى » ثانيا ، وان وحدة التراب اليمنى نظرية خرافية(٤) •

(٣ مكرر) عبد الفتاح اسماعيل : كتابات مختارة حول الثورة الوطنية الديمقراطية وآفاقها الاشتراكية ، دار الفارابى ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ٢٢ •

(٤) عادل رضا : ثورة الجنوب ، تجربة النضال وقضايا المستقبل ، ص ٥٨ •

كما أن القيادة المصرية فى صنعاء قد اندفعت رغم كل ذلك بسذاجة ومن واقع فهمها وتوجهها العام والغامض بصفة عامة الى المراهنة على هذا الخط الواهى والمنحرف ، وبدوافع ونوايا لا تخلوا من السوء والخبث المقرون بحسن التصرف الشكلى حينما ضغطت فى اتجاه التوحيد ، لا لأنها كانت ترغب عن حسن نية فى اصلاح ما فسد من تلك العناصر عن طريق ضمها الى مسار العمل الوطنى ، بقدر ما كانت تهدف الى استخدام هذه العناصر نفسها كصمام أمن فى يدها للحد من الطموحات الوطنية والتقدمية التى بدأت رائحتها تشتم من أوساط الجبهة القومية وقيادات النضال الشعبى المسلح بالنسبة لمستقبل الشطر الجنوبى من الوطن والوطن اليمنى ككل ، والتى بدأت تتجاوز بأشكالها ومضامينها حدود أهداف وطموحات قيادة عبد الناصر نفسها ، ممثلة فى القيادة العربية للجيش المصرى فى صنعاء ، ويتم الترتيب لها بمعزل عن وصاية الزعامة القومية المباشرة لعبد الناصر ٠

وقد استجابت بعض عناصر الجبهة القومية بدورها لهذا الضغط ، لا لمجرد كونه ضغطا سياسيا أو أدبيا فحسب ولكنها هى نفسها أيضا كانت ما تزال مهتمة بكفرة الاستقطاب السياسى أيضا بحكم تربيتها وأفقها القومى والبرجوازى الصغير ، غير مدركة لكل المحاذير المترتبة على ذلك ، الا أنه ما أن بدأت أجراس هذه المحاذير تدق منذ اليوم الأول للتوحيد المصطنع وتلوح مخاطرها فى الأفق بينما يقترب موعد استلام السلطة من المستعمر حتى أدركت غالبية القيادات والقواعد العريضة فى الجبهة التى حملت على عاتقها كل أعباء وتضحيات النضال السياسى والعسكرى مغبة الاخطار المترتبة على ترك الأمور تجرى على نحو ما قد وصلت اليه ، فبادرت بحسم الأمر بجرءة وطنية حاسمة برفض عملية الدمج والتوحيد المصطنع مع جبهة التحرير من جهة ، وازاحة تلك العناصر المتواطئة فى الجبهة القومية نفسها من خلال مقررات مؤتمر « حمر » فى ١٩٦٦/١١/٢٥ ، مستفيدة من خبرتها النضالية سياسيا وعسكريا واحتفظت بالخط الوطنى للجبهة القومية سياسيا وعسكريا أيضا، قابلة بكل الاعباء والمشقات التى ترتبت على ذلك من قبل القيادة المصرية وحصارها السياسى والعسكرى للجبهة القومية وهى فى أدق مراحل نضالها وعلى مقربة من نقطة الحسم مع السلطات الاستعمارية وانتزاع الاستقلال الناجز منها بالقوة ، ورغم ذلك فقد استمرت وكسبت الموقف بالاستيلاء على السلطة وازاحة كل العناصر الاقطاعية والكمبرادورية وكشفت زيفها وتصرفاتها الانتهازية ٠

وبذلك فانها لم تشكل أول انقسام حقيقى ذى مغزاء طبقى بين اليمين

واليسار فى حياة المثقفين اليمنيين المعـــاصرين فحسب بل والبداية الأولى لبلورة الاتجاهين وزيادة وعى كل منهما بمصالحة الطبقية وخطة الايدولوجى وتطويره أكثر فأكثر ٠

فقد ظل يتسع نطاق استقطاب اليمين بعد ذلـــك وامتصاصه لمعظم عناصره الطبقية بشكل أكثر وضوحا ، ليس من أوساط الطبقة الاقطاعية السلاطنية والبؤر الكمبرادورية والبرجوازية فحسب بل ومن داخل مؤسسات السلطة القديمة التى خلفها الاستعمار فى الجيش والأمن ، ومن داخل تنظيم الجبهة القومية نفسها ، تحت مختلف المسميات والأشكال السياسية المعادية لثورة الشعب اليمنى وطموحاته الجديدة ، بداء بجبهة التحرير وانتهاء بما يسمى بالجبهة الوطنية لتحرير جنوب اليمن تحت رعاية ومباركة القـــوى الاستعمارية والامبريالية والرجعية العربية التى تواصل قيامها بدور كلب الحراسة ، انطلاقا من حقيقة أن القوى الرجعية والكمبرادورية المحلية فى اليمن أو أى مجتمع نامى ومتخلف هى فى التحليل الأخير جزء لا يتجزاء من القوى الأمبريالية والرجعية فى العالم(٥) ٠

كما اتسع فى المقابل نطاق استقطاب الخط الوطنى للجبهة القوميةلجماهير الشعب وطبقاته الكادحة من خلال انتهاج السياسة الوطنية والتقدمية وتنفيذ اجرآت التحول الثورى على المستوى الاقتصادى ، والاجتماعى ، ضمن توجه اشتراكى علمى واضح ، ذلك أنه بالرغم من كل المعاناة والاعباء السياسية والنضالية الشاقة التى تحملتها العناصر السياسية والوطنية المثقفة التى طرحت هذا التوجه غداة الاستقلال وبدأت ممـــارسته وتنفيذه من واقع تواجدها فى السلطة ، الا أن معاناتها لم تكن فقط من جراء تحالف وتكالب القوى الاقطاعية والكمبرادورية المعادية للثورة منذ البداية والتى كانت قد وجهت لها ضربات قاضية ، بل ومن خلال تيار اليمين البرجوازى المتذبذب داخل السلطة الجديدة نفسها وداخل التنظيم السياسى نفسه بزعامة قحطان الشعبى رئيس الجمهورية ٠

حيث حدث ما يمكن اعتباره بداية الانقسام الثانى فى صفوف المثقفين ذوى الأفق القومى والبرجوازى الوطنى الصغير داخل الجبهة القومية نفسها

---

(٥) كتاب الثورة الوطنية الديمقراطية فى اليمن « سلسلة وثائق » : دار ابن خلدون بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٢ ، ص ١٥ ٠

بعد وصولها الى السلطة ، والذى بنيت على أساسه منذ البداية بصفة عامة ، أدى الى وجود قسمين رئيسيين : القسم الأول بقيادة اليسار التقدمى الذى أراد أن يعطى للاستقلال والثورة كل أبعادهما الاقتصادية والسياسية من خلال ضرورة تطهير الجيش والبوليس من العناصر المعادية للثورة وتكوين الجيش الشعبى « المليشيا » من جيش التحرير وتشكيلات الفدائيين والبدء بتطهير مماثل لأجهزة الدولة واعادة تنظيمها جذريا ، وأحداث انقلاب جذرى فى الملكية الزراعية فى الريف عن طريق مصادرة كافـــة أراضى الاقطاع وتوزيعها على الاجراء من الفلاحين وتأميم كافة المؤسسات المالية والبرجوازية الكبيرة الأجنبية والمحلية ، وصولا الى تحقيق اقامة دولة العمال والفلاحين الفقراء ... الخ ، حيث تجسد كل ذلك من خلال مقررات المؤتمر الرابع للجبهة القومية التى رفضتها جماعة قحطان فى قمة السلطة(٦) . أما القسم الثانى وهو بزعامة قحطان رئيس الجمهورية وعناصر السلطة العليا فهو أنه ان لم يكن قد قصد التراجع الى الخلف وتبنى مواقف سياسية أكثر برجوازية ويمينية فانه قد أراد حقيقة أن يقف بالأوضاع حيث هى عند حدود تنفيذ بعض الاصلاحات الشكلية وتأميم بعض أراضى وممتلكات السلاطين وذلك تقربا ومماألة لـكل عناصر ومراكز القـــوى القديمة فى الجيش والشرطة والمنظمات السياسية العميلة ، كجبهة التحرير والرابطة وغيرها ، فى محاولة الامساك بالعصاء من النصف ، فى الوقت الذى تزايدت فيه حدة هذا الجناح اليمنى وحماسة ضد الجناح اليسارى التقدمى ومباشرة تصفيته بكل الوسائل بالمطاردة والعنف المسلح ، والتشهير المغرض والمضلل . حيث يمكن الاستدلال والتعرف على فهم وتوجه هذا الجناح اليمنى من خلال ما جاء فى بيان مؤتمر صحفى لعبد الملك اسماعيل فى القاهرة فى ١٩٦٨/٥/١٧ والذى كان يشغل وقتها وزيرا للاقتصاد جاء فيه : « أن هؤلاء الأشخاص الذين قضت الحكومة على حركة التمرد التى قادوها قد رفعوا شعارات لا تتفق مع المجتمع العربى ، كما حرضوا الطلبة على قتل أحد ضباط الجيش ، وأنهم قدموا برنامجا للعمل السياسى يرتكز على نظرية طبقية تضمن اعتبار الماركسية اللينينية منهجا للتطبيق ونبذ سياسة التعايش السلمى وعدم الأخذ بالتجارب النضالية التحررية فى الدول العربية(٧) . وهكذا جاء المؤتمر الرابع للجبهة القومية ـ كما يقول عبد الفتاح اسماعيل ـ ليميط اللثام عن وجود تيارين متناقضين

---

(٦) راجع مقررات المؤتمر الرابع للجبهة القومية . مارس سنة ١٩٦٨م .

(٧) عادل رضا : ثورة الجنوب تجربة النضال وقضايا المستقبل ، ص ٣٩٩ .

داخل الجبهة القومية فى مفهومهما للثورة بعد الحصول على الاستقلال الوطنى، تيار يمنى متخلف يرى فى الثورة علما ونشيدا ٠٠ وآخر يرى فيها السير نحو تحولات جديدة لصالح الكادحين اليمنيين وازدهار حياتهم(٧) ٠

فهذا الخط البرجوازى اليميني الذى بالرغم من كل ثقله ودوره الفعال فى حرب التحرير وداخل التنظيم والسلطة الا أنه كان وما يزال مشبعا بخليط لا حد له من المفاهيم الاقطاعية والبرجـــوازية والقومية الغامضة ، اما بحكم أصالة الانتماء الطبقى أو نوع التربية السياسية البرجوازية التى شبو عليها منذ الصغر والتى خانهم الحظ فى القدرة على تجاوزها ، أو عز عليهم مغادرتهـــا بعد أن صاروا يحكمـــون وتلوح لهم الكثير من المصالح والطموحات والزعامات الشخصية المبنية على بحر من رمال ، رامية عرض الحائط بكل الأسس والمبادىء الثورية والديمقراطية التنظيمية بين رفـــاق السلاح على الأقل ٠

حيث باشر قحطان أجرآته الشخصية كرئيس جمهورية وحسب فى ساذجة للقيام بلعبة التحالفات والتوازنات البليدة ، بين المتناقضات ، والتى فى حرب التحرير أو قادة سلاح حرب التحرير على الأصح ، واستبدالهم بمراكز قوى تقليدية موروثة فى الجيش والشرطـــة ، والتى كانت ما تزال مؤسسات مشبعة بالتربية الاستعمارية التى أوجدتها ، ان لم تكن ما تزال مرتبطة بها فعلا وتشكل احتياطيها الضرورى بالفعل ، وذلك فى محاولـة ساذجة للقيام بلعبة التحالفات والتوازنات البليدة ، بين المتناقضات ، والتى غالبا ما تلجأ اليها بغباء الفئات السياسية المثقفة فى البلدان النامية والمتخلفة ـ حينما تكون فى السلطة أو على مقربة منها ـ وحينما يعيشون بلا رؤيـة علمية للواقع وبلا حس أو انتماء طبقى صحيح ، ويظنون بدلا من ذلك أنهم بذاتهم قد صاروا سلطة أو طبقة بذاتها قادرة على ممارسة هذه اللعبة المميتة بالنسبة لهم ، وكسب نتيجتها الوهمية ٠

الا أن الخط الوطنى التقدمى فى أوساط المثقفين اليمنيين فى الشـطر الجنوبى من الوطن قد استطاع أن يتلمس خطواته الأولى على طريق الرؤية العلمية الصحيحة للواقع بكل أبعادها النظرية والعملية ، وادرك بوضوح كل

(٧ مكرر) عبد الفتاح اسماعيل : كتابات مختارة حول الثورة الوطنية الديمقراطيه ، وآفاقها الاشتراكية ، دار الفارابى ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ٣٥ ٠

المخاطر الفادحة لتلك اللعبة البرجوازية الغبية لقطـــاع معين من المثقفين السياسيين المنظمين داخل الجبهة برياسة قحطان ، ليس بالنسبة لمصيرهم كخط أكثر وطنية وتقدمية داخـــل التنظيم والسلطة فحسب بل وبالنسبة لمستقبل الاستقلال الوطني للشرط الجنوبي من الوطن برمته بما فيه ذلك القطاع البرجوازي الصغير والابله ، ممن بدأوا ينفذون الحلقات الاولى من لعبة الموت ، برفضهم مقررات المؤتمر الرابع للجبهة وتعطيلها ، ومطاردة اليسار التقدمي والتحالف من المؤسسات الاستعمارية الموروثة في الجيش والشرطة، والتي وجدت في هذه اللعبة لا مجرد الاحتفاظ ببقائهـــا كرصيد احتياطي لحماية المصالح الاستعمارية واستمرارها فحسب ، بل لقد أغرتها بالاستعداد للاستيلاء على السلطة أيضا ، والذي تجسد من خلال محاولة انقلاب ٢٠ مارس سنة ١٩٦٨ الفاشلة(٧) .

ولذلك فقد تصدى الخط الوطني التقدمي لهذا الانحراف بالعودة الى مواقعهم النضالية الاولى في الكهوف والجبال وبين جماهير الفلاحين في الريف والعمال في المدن ، هناك حيث استلهموا منذ البداية وعيهم الطبقي ورؤيتهم الصحيحة للحاضر والمستقبل ، وحيث كان المنطلق الاول للدخول في مواجهة شاملة سياسية وعسكرية للخط المريض والمنحرف داخل السلطة والتنظيم وحسم الموقف لصالح هذا الخط التقدمي في الثاني والعشرين من يونية سنة ١٩٦٨ ، بحكم خبرتهم النضالية واكتسابهم لثقة أوسع قطاعات جماهير العمال والفلاحين في الريف والمدن والذين قادوا حرب التحرير من جهة ، ولامتلاكهم كل البديهيات الضروريـــة لرؤية الواقـــع الاجتماعي والطبقي والتاريخي رؤية علمية صحيحة والتحرك في ضوئها من جهة أخرى ، ولان نفس تلك اللعبة كانت ما تزال نتائجها الخاسرة ماثلة للعيان في الشطر الشمالي من الوطن بعد انقلاب الخامس من نوفمبر سنة ١٩٦٧ من جهة ثالثة، حينما أرادت بعض المنظمات السياسية المثقفة بأفقها الوطني والبرجوازي الصغير ، وتربيتها الشوفينية الخاطئة أن تتسلل الى السلطة وتنفرد بها من خلال التحالف مـــع قطاع وأسع من ممثلي الطبقة الاقطاعية والعشائرية والكمبرادور ، وأقصى خصومهم ومنافسيهم في المنظمات السياسية الوطنية الأخرى ، والذين لم يكونوا أسعد حظا منهم في الفهم والرؤية الصحيحـــه الا بفروق نسبية ، فقادوا الطبقة الاقطاعية الى السلطة وسهلوا مهمتها الى حد كبير على الأقل ، أرادوا ذلك أم لم يريدوا وخرجو من اللعبة بخفي حنين . ولذلك فقـــد كانت طليعة اليسار التقـــدمي في الجنوب تعي جيدا أهمية

(٧ مكرر) راجع بصفة عامة فردهولايد : الصراع السياسي في الجزيرة العربيـــة ، ترجمة حازم صاغيه وسعد محيو ، دار ابن خلدون ، بيروت ، طبعة ١٩٧٨ ، ص ١٦٩ الى ١٧٣

الصراعات والانقسامات الايدولوجية بعد الاستقلال ، الأمر الذى تؤكده احدى وثائق الثورة الوطنية الديمقراطية فى اليمن بالقول : ولم يكن الصراع بعد الاستقلال مشروعا وعادلا فحسب ، ولكنه كان ضروريا من أجل تطور الثورة وتقدمها وبدون ذلك فقد كان الاستقلال الذى انتزعناه سيتحول الى جسر للاستعمار الجديد(٨) ٠

وبذلك نستطيع القول بالنسبة للشطر الجنوبى من الوطن أن ثانى وأهم أنقسام تاريخى بين أفراد شريحة المثقفين اليمنيين المعاصرين ومنظماتهم السياسية ، قد بداء قبيل وأثناء المؤتمر الرابع للجبهة القومية فى مارس ١٩٦٨ ، وحسم لصالح الخط التقدمى فى الثانى والعشرين من يونية من نفس العام حيث تمكن الخط التقدمى بعد ذلك من انضاج مواقفه ونضالاته أكثر فأكثر وبحزم وجدية لم يعرفها النضال الوطنى فى اليمن من قبل ، من خلال تعميق الاجراءات الثورية وخلق التحالف الطبقى القوى بين طبقات العمال والفلاحين وبينهم،لا مجرد كونهم سلطةسياسية وطنية تحكم بأشخاصها ولكن كطليعة سياسية مناضلة لهذه الطبقات نفسهـــا ومرتبطة بها أشد الارتباط سياسيا واجتماعيا وايديولوجيا ٠ فلقـد حرصت الثورة فعلا بعد صدور قانون الاصلاح الزراعى ـ كما تشير الوثائق السياسية ـ على أن لا يتم تنفيذه بالطرق التقليدية ، حيث تستخدم فيه ادوات السلطة القمعية من أجل ضرب الاقطاعيين ونزع الأراضى الزائدة عن الحد الأعلى فى القانون ٠٠ فقد هيأت الظروف السياسية والتنظيمية بحيث كانت مبادرات وانتفاضات الفلاحين المعدمين والفقراء ، وكذلك الصيادين ضد مستغليهم الطبقيين(٩) ، فحققت بفضل ذلك أعظم الانتصارات الوطنية فى تاريخ شعبنا المعاصر على الصعيدين السياسى والاجتماعى ٠

والى جانب تحقيق أفضل المنجزات الثورية والوطنية فى مجال التطبيق الاشتراكى العلمى من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، فقد حققت انتصارات لا تقل أهمية على الصعيد السياسى والتنظيمى ، ابتداء بالقدرة على التصدى لكل القوى التى استماتت فى عدائها لثورة شعبنا فى الجنوب والشمال وتهورها فى الانقضاض على مكاسبه الثورية والوطنية ، وحماية الاستقلال والسيادة الوطنية ، مرورا بتجاوز الأشكال التنظيمية البرجوازية القومية

---

(٨) الثورة الوطنية الديمقراطية فى اليمن « سلسلة وثائق » ، دار ابن خلدون للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٢ ، ص ١٣ ٠

(٩) كتاب الثورة الوطنية الديمقراطية « سلسلة وثائق » الطبعة الاولى ، دار ابن خلدون بيروت ١٩٧٢ ، ص ٨٥ الى ٩٠ ٠

القائمة للجبهة القومية وغيرها من المنظمات الموازيـــة الى التنظيم السياسى الموحد لكل فصائل العمل الوطنى والتقدمى ، وانتهاء باقامة الحزب الطليعى الواحد « الحزب الاشتراكى اليمنى » الذى يشكل اليوم أعظم نقاط التحول التاريخى لمسيرة الثورة اليمنية ككل ٠

هذا فى الوقت الذى انقطعت السبل بمســار الخـــط الآخر « خط قحطان » الذى اذا لم يكن قد عمق انحرافه الى الخط المضـــاد فقد اعترته السلبية والتأزم النفسى والسياسى الحاد ومال الى الترف الذهنى العقيم ، وهذا لا ينفى قط أن قطاعات واسعة من العناصر الوطنية لهذا الخط ممن كانوا يجهلون اصلا حقيقة ما هم بصدد فعله واستطاعت الأحداث والتطورات اللاحقة أن تقنعهم بذلك . قد عادوا للمساهمة الجادة فى المســـار الوطنى والتقدمى الجديد ، خصوصا وأن كل المؤسســـات العســـكرية والسياسية والاقتصادية البرجوازية والكمبرادورية والاقطاعية القديمة كانت الثورة قد قامت بتصفيتها تماما ولم تعد تشكل مراكز جذب واغراء لمثل تلك العناصر السياسية المثقفة ثقافة برجوازية هشة ، وغير مسلحة تسليحا جيدا بموقف نظرى علمى واضح وانتماء طبقى ثورى صحيح ، اضافة الى حقيقة كون أن الثورة قد تجاوزت وضعها كمجرد سلطـــة سياسية أو تنظيم سياسى الى تجسيد نفسها كواقع اقتصادى واجتماعى وثقافى فى وجدان المجتمع وأعماق حياته كلها ٠

وخلاصة ما نستطيع أن نستخلصه من كـــل ما سبق بالنسبة لفئة المثقفين فى الشطر الجنوبى من الوطن هو انهم قد انقسموا اصوليا وايدولوجيا منذ حوالى منتصف الستينات الى ثلاثة أقسام رئيسية على النحو التالى :

(أ) القسم الأول وهو ذلك الطراز من العنـاصر المثقفة ذات الأصول والأنتمآت الاقطاعية والبرجوازية الكبيرة والكمبرادور التجارى العريق فى مدينة عدن كان قد بدأ فى مجاراة المد القومى العربى فى المنطقة والتحمس له منذ وقت مبكر نسبيا من خلال بعض التجمعات السياسية كحزب الشعب الاشتراكى ورابطة أبناء الجنوب ، ووصلت الى حد المناورة والمداعبة المباشرة للنقابات العمالية وجماهيرها الواسعة فى عدن من خـــلال المؤتمر العمالى وسيطرتها عليه لبعض الوقت ، والمناورة السياسية من خلاله على طريـــق مطالبة بريطانيا بالاستقلال الذى يتيح لها الحصول على امتيازات سياسية واقتصادية أكثر فائدة وأوسع نطاقا وربحا فى حماية الاستعمار بصورة مباشرة وغير مباشرة واستجدائه الاستقلال من خلال رفع الافتات والمسيرات

والاعتصامات والاضرابات المهذبة على الطريقة البوذية ٠

ولذلك فانه ما أن بدأت بوادر حرب التحرير الشعبية من أجل الحصول على الاستقلال الوطنى الصحيح والكامل ، حتى عجزت تلك العناصر بحكم طبيعتها عن استيعاب هذا الموقف ومجاراته على غرار ما فعلته من قبل فى مجاراة الشعارات القومية العربية التى غطت المنطقة وأجادت المناورة الزائفة من خلالها ، ولذلك فقد عارضت العمل المسلح ضد الاستعمار كما هو معروف من أول لحظة وناصبته العداء بلا حدود ، لكنها ما أن أدركت فى الأخير أنه قد فرض نفسه من خلال جماهير الشعب من العمال والفلاحين والبرجوازية الوطنية وأصبح يشكل جسر العبور الوحيد الى الاستقلال الكامل وان الوقت يقترب ، حتى بادرت الى ممارسة لعبتها الخاسرة والأخيرة على نحو ما سبقت الاشارة ، والتى لم تودع بعدها مواقفها الانتهازية فحسب بل وكل مصالحها ووجودها الطبقى نفسه الى الأبد فى الشطر الجنوبى من الوطن ، ومعها كل مصالح وطموحات القوى الاستعمارية والامبريالية العالمية ٠ وذلك هو الطراز الأول من مثقفى الطبقة الاقطاعية والسلاطنية وحلفائها الكمبرادوريين الكبار ٠

(ب) أما الطراز الثانى من المثقفين الذى يتبنى أصوليا أو أيدولوجيا مواقف البرجوازية الوطنية الصغيرة فى المدن ، والملاكين العقاريين المتوسطين فى الريف فقد كانوا أكثر أخلاصا وصدقا فى تبنى الفكر الوطنى القومى الذى انبثقت من خلاله حرب التحرير ومساهمة فيه ، ضد محور الاحتلال الأجنبى من جهة وتحالف الاقطاع والكمبرادر من جهة ثانية حتى النهاية ، الا انها قد أخفقت بحكم طبيعتها عن تبنى الحلول الثورية الجرئية والجذرية لمرحلة ما بعد الاستقلال وانجاز مهام مرحلة التحرر الوطنى الديمقراطى من خلال أفاق نظرية وعملية علمية واضحة وناجزة ، ومالت بحكم طبيعتها وتربيتها السياسية القديمة أيضا وهى فى قمة السلطة غداة الاستقلال الى التذبذب والتردد الجبان والميل الى ممارسة لعبة التوازن المميته بعد الاستقلال على نحو ما سبقت الاشارة أيضا ، والتى منيت بالفشل والاخفاق الشديد ، وذلك هو الطراز الثانى من مثقفى الطبقات البرجوازية المتوسطة والملاكين العقاريين الصغار الذين تضألت مواقفهم ومالت الى الانزواء والتأزم بتضاؤل مصالح تلك الطبقات نفسها وتأزم فكرها ، رغم أن الكثير منهم وبحكم طبيعتهم الشديدة المرونة أيضا قد استطاعوا انتشال أنفسهم والالتحاق بمسار الخط الوطنى التقدمى الراهن والمساهمة فى حمل اعبائه ومسئولياته بصدق٠

(ج) أما الطراز الثالث من المثقفين اليمنيين المعاصرين فى الشطر

الجنوبى من الوطن ممن ينتمون الى الطبقـــات العمالية والفلاحية والفئات الاجتماعية الكادحة والفقيرة فى المجتمع بحكم أصولهم الاجتماعية أو قناعاتهم السياسية والايدولوجية الصادقة ، فانه بالرغم من أنهم لم يكونوا يختلفون عن غيرهم من الطرازين السابقين فى شىء من حيث طبيعـة النشأة ونوع التربية السياسية الأولى والظروف المحيطة ، الا أن طول ممارسة النضال الوطنى سياسيا وعسكريا فى صميم الواقع الاجتماعى وحسها الطبقى نفسه قد علمها وكشف لها من الحقائق الاجتماعية والتاريخية عن نفسها وعـن الواقع ما حجبته عنها كل الظروف والعوامل السابقة التى أنصاعت لها زمنا طويلا ، وبدأت بناء على ذلك توطد صلاتها وارتباطهـــا القوى بأصولهـا الاجتماعية والطبقية وتتبنى فكرها ومصالحها بلا رجعة ، وتعمل على تنميتها وبلورتها فى نفسها وفى الواقع الاجتماعى بصفة عـامة ، الأمر الذى سهل لها امتلاك رؤية نظرية علمية صحيحة من جهة وموقف اجتماعى نضالى صلب وعميق الجذور من جهة أخرى ، مكنها من مواجهة كل العوائق والتحديات التى ورثها الماضى واقامها الحاضر حتى هذه اللحظة ، وما يزال عليهم الكثير الذى يتوجب انجازه ومواجهته ، وذلك رغم عمرها اليافع وتجربتها الفتية الناشئة ، وهذا هو الطراز الثالث من مثقفى الطبقات العمالية والفلاحية وتحالف قوى الشعب المنتج .

(د) واذا كانت لا تزال لنـا بقية لا نجد بدا من الاشـارة اليها فيما يتعلق بالمثقفين اليمنيين فى الشطر الجنوبى من الوطن فهى آخر الأحداث فى شهر يونيو ١٩٧٨ والتى انتهت بنهاية مصير سـالم ربيع ، والتى لا نريد ان ندخـل فى تفاصيل أكثر فى موضوعها أكثر من الاشـارة الى الحقيقـة التاريخية والعلمية التى تؤكـــد بأنه اذا كان لليمنى البرجوازى طفولته ومراهقته الفكرية ، فان اليسار التقدمى لا يخلو من نفس الصفة والتى مثل « سالمين » بكل أبعاد خطه السياسى والفكرى المتهور داخل اليسار الوطنى نموذجا لمراهقة اليسار الطفولى فى بلادنا والذى تحدث عنه لينين وحذر منه ، بدأه بالتطرف اليسارى الفوضوى فى بداية السبعينات ، وانتهاء بالانحراف اليمينى وممارسة الانتهازية البرجوازية والخروج عـــلى مبدأ الديمقراطية الثورية نهائيا فى أواخر السبعينات . ونحن ندرك - كما يقول عبد الفتاح اسماعيل تعليقا على الأحداث - أن كل ثورة تصاب بخطرين رئيسيين قاتلين .. خطر الانتهازية اليمينية ، وخطر الانتهازية اليسارية وقد نجونا منهما ،

ولكن حتى لا تتكرر المآسى لا بد من الدراسة الكافية للتجربة الماضية ، وهذه هى القضية الأولى(٩) ٠

فى الشطر الشمالى من الوطن

قد يظن البعض بوجود فوارق جوهرية بين الدلالات الواقعية لتغير أوضاع المثقفين اليمنيين المعاصرين وتطورها ما بين الشمال والجنوب ، والحقيقة أن مثل هذه الفروق - ان وجدت - هى فروق نسبية وجزئية الى حد كبير يدور معظمها حول شكل علاقة المثقفين بالسلطة السياسية الحاكمة هنا وهناك لا أكثر ، وهى دالة اذا كانت لها أهميتها السياسية البحته الا انها غير ذات موضوع جوهرى بالنسبة لتحليل الواقع الاجتماعى والطبقى للمجتمع اليمنى بصفة عامة ، والذى يعنينا بالدرجة الأولى فى هذا البحث الذى نركز فيه على فئة أو شريحة المثقفين اليمنيين المعاصرين فى هذا الاطار الطبقى والاجتماعى ومن خلاله مفهومه نفسه ، عوضا عن أنه بالرغم من وجود التباين فى شكل السلطة السياسية بين الشمال والجنوب الا أن ذلك لم يترك بعد أية أثار متمايزة وجوهرية بين شطرى المجتمع على أى مستوى من المستويات الاجتماعية والوطنية المختلفة ، خصوصا فيما يتعلق بفئة المثقفين السياسيين التى لا يمكن الحصول على سمات مميزة لها بين الشمال والجنوب، وعلى العكس من ذلك فانها قد مالت حقيقة ومنذ رحيل الاستعمار وانتهاء الملكية الى مزيد من الترابط والتكامل والتداخل العميق رغم كل الظروف والمصاعب التى تعترض طريقها ، الأمر الذى نرجو أن نقوى على تأكيد حقيقته من خلال الأحداث والوقائع التى جرت فى حياة المثقفين وواقعهم فى شمال الوطن ، ووجدت أبعادها وامتداداتها المباشرة فى الجنوب منذ قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر وحتى اليوم ٠

فاذا ما تذكرنا أن معظم المنظمات السياسية الموجودة فى الشمال بعد الثورة هى نفسها الموجودة فى الجنوب قبل وأثناء حرب التحرير وما بعد الاستقلال وتحت قيادات مركزية موحدة موجودة فى الشمال أو الجنوب حسب طبيعة الأحوال والظروف السياسية هنا أو هناك ٠ فماذا حدث أذن فى الشمال منذ منتصف الستينات من أحداث وتطورات أجبرت المثقفين

(٩ مكرر) عبد الفتاح اسماعيل : كتابات مختارة حول الثورة الوطنية الديمقراطية وآفاقها الاشتراكية ، دار الفارابى بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٤٢٩ ٠

اليمنيين فى الشمال أو اقنعتهم بالضرورة على مراجعـــة مواقفهم وأفكارهم القديمة والبحث عن أبعاد اجتماعية وطبقية جديدة يأوون اليها بعد غربتهم الطويلة ؟

لقد حدث أنه فى الوقت الذى كانت فيه الجبهة القومية الملتزمة بالفكر البرجوازى القومى لحركة القوميين العرب تنقسم على نفسها وتبلور مواقفها النضالية التقدمية الخاصة من خلال العمل السياسى والعسكرى بعد انفصالها عن قيادة تلك الحركة فى بيروت شكلا ومضمونا ، وبعيدا عن الوصـــاية المباشرة للقيادة العسكرية المصرية فى صنعاء استعدادا للمعركة الفاصلة مع الاستعمار والاستيلاء على السلطـــة فى منتصف الستينات حدث فى نفس الفترة وبالتحديد فى عام ١٩٦٦ أن انقسم الجناح الآخر لهذه الحركة نفسها فى الشمال وأقدمت غالبيتها العظمى على أعلان تبنى الفكر الاشتراكى العلمى كأساس نظرى لنضالها وتجاوز كل المواقف والأفكار القديمة فى اطار تنظيم سياسى مستقل عن القيادة المركزية للحركة فى بيروت هو « الحزب الديمقراطى الثورى اليمنى » ومهما كانت الحدود والفاعلية المتواضعة لذلك الاعلان فى تبنى الأفكار والمواقف العلمية الجديدة بين مثقفى الحركة الذين ظلوا يناصبونها العداء لسنوات طويلة ، الا أنه كان بحق أول مؤشر حقيقى لتجاوز الأفكار البرجوازية الصغيرة والخروج على الأفكار والمفاهيم القومية الخاطئة ، رغم أن كل الرواسب القديمة ظلت تسحب نفسها على التنظيم الجديد لعدة سنوات لاحقة من الناحية العملية على الأقل ، نظرا لعدم وجود محكات نضالية عملية فى صميم الواقع تساعد أولئك المثقفين عـلى بلورة توجههم الجديد واعطائه الأبعاد الاجتماعية والطبقية الصحيحة على غرار ما حدث فى الجنوب ، حيث كانت الوقائع اليومية لحرب التحرير تقدم المحك العملى لكل المفاهيم النظرية المتطورة أكثر فأكثر .

كما أن منظمات سياسية يسارية جديدة بدأت تظهر فى حدود معينة (حزب العمل) ،اضافة الى العناصر اليسارية الماركسية القديمة (الشبيبة) التى بالرغم من سبقها فى تبنى الاتجاه العلمى الا أنه ظل بالنسبة لها أشبه بمقولات نظرية وثقافية بحته على المستوى الفردى فى أحسن الأحوال ، أما التحول الأساسى الثانى فقد حدث بالنسبة لمنظمة حزب البعث العربى الاشتراكى فى اليمن التى بدأت بعد فترة وجيزة بالانقسام على نفسها عموديا وليس أفقيا كما حدث بالنسبة لحركة القوميين العرب ، أى أن المنظمة أنقسمت الى منظمتين فى اطار نفس الفكر البرجوازى القومى كصـــدى مباشر لانقسام القيادة المركزية للحزب فى دمشق الى محورين ، محـــور دمشق ومحـور

بغداد ، ثم ما لبث محور دمشق الذى امتص أفضل العناصر والكوادر الوطنية الشابة أن وصل الى نفس النتيجة التى كانت قد وصلت اليها حركة القوميين العرب من قبل من حيث تبنى نظرية الاشتراكية العلمية من جهة والاستقلال عن القيادة المركزية القومية لحزب البعث فى دمشق من جهة ثانية فى اطار تنظيم جديد هو « حزب الطليعة الشعبية » ، والتى ظلت تعانى من نفس الرواسب بحكم التربية القديمة وانعدام المحكات العملية أيضا ٠

أما محور بغداد الذى تميز باستقطاب قطاع واسع من العناصر الاقطاعية والقبلية العشائرية التى دأب حزب البعث على استقطابها منذ وقت مبكر بحكم عدائها أو خلافها مع القيادة العسكرية المصرية فى اليمن وتحت تأثير الخلاف المستحكم بين البعث وعبد الناصر على مستوى الوطن العربى ، فقد مال الى التفسخ من الناحية التنظيمية التى لم تكن بالنسبة لـــه أكثر من ارتباط شكلى وتصرف انتهازى ، وتوجه بحزم الى الارتباط بمصالحه الطبقية والعمل على تطويرها من خلال الاستيلاء على مراكز السلطة العسكرية والمدنية، وتحول الى أدوات قمع شديدة بيد السلطة ضد كل العنـاصر الوطنية بصفة عامة ، كما أحتفظت لنفسها بخيوط واهية للمناورة السياسية على المستوى الداخلى والخارجى والتى ما تزال بعض الدول العربية وفى مقدتها بغداد نفسها تراهن على هذه الخيوط الواهية حتى الآن ، مستفيدة فى ذلك من الخبرات السياسية التى تعلمتها وعرفتها من خلال احتكـاكها بالمنظمات السياسية القومية والوطنية السابقة والاطلاع على شئونها فى الماضى ٠

وبالرغم من أن حزب البعث بتوجهه البرجوازى القومى الغامض قد استقطب هذا الطراز من المثقفين وأشباه المتعلمين ممن لم يفارقوا هويتهم الاقطاعية والعشائرية أكثر من مسافة سنتيمترات محدودة تحت تأثير العداء والخلاف المستحكم بين هذه العناصر والوجود المصرى فى اليمن من جهـــة والنشـــاط البعثى بصفة عـــامة ، الا أنه لم يكن هو المحـــور السياسى الوحيد الذى مارس هـــذه الظـــاهرة المشـــوهة للاستقطـاب السياسى بعد عـــام ١٩٦٢ ، بل لقـد شاركته كـل المنظمـات السياسية البرجوازية والقومية الوطنية الأخرى ، بما فى ذلك دوائر اليسار المـاركسى المحدودة نفسها حين ذاك التى فعلت ذلك ، ووصـــل الجميع مع مثل تلك العناصر الى نفس النتيجة مع بعض الفوارق النسبية لا أكثر ، سواء من حيث المقدمات أو النتائج ، حيث كان انقسام الناس من خلال الأحداث الجارية فى الشمال أنقساما عموديا الى جمهوريين وملكيين وليس أفقيا على أساس طبقى على غرار ما حدث فى الجنوب هو احدى الأسباب الرئيسية التى سهلت عملية

الاستقطاب وتسترت على مخاطرها ، الى جانب كل الظروف المحلية والقومية المحيطة التى كانت كلها تدفع بالسير فى هذا الاتجاه المغترب ٠

ولذلك فان الأحداث الكبيرة التى ظلت تجرى على مسرح الواقع بعد عام ١٩٦٢ طوال سبع سنوات وبالرغم من حيويتها السياسية والعسكرية الا أنها ظلت تفتقر الى البعد الاجتماعى والطبقى السليم وتتركز حول بعد واحد وهو المحافظة على اسم النظام الجمهورى واسم الجمهورية بغض النظر عن المضمون السياسى والاجتماعى والاقتصادى لهذا النظام الجمهورى المشكل من ائتلاف اقطاعى وبرجوازى وطنى واسع النطاق ولا تربطه سواء خيوط واهية كانت تتمزق وتنقطع من وقت لآخر ولا تجد لها رابطة مشتركة الا فى المواجه العسكرية مع المحور الملكى فى أحسن الأحوال ٠

وكان الخط الوطنى الذى يمثله أولئك المثقفون على اختلاف نزعاتهم هو أضعف حلقات ذلك الائتلاف رغم ما كان يدعى لنفسه من بريق وهدير زائف على سطح الحياة السياسية والاجتماعية غداة الثورة مباشرة ، أما الثقل الاجتماعى والطبقى الأكثر تماسكا وانسجاما وخبرة فهو الاقطاع والارستقراطيات القبلية والعشائرية القديمة من جهة والبرجوازية التجارية والكمبرادورية الجديدة من جهة أخرى ٠

ولذلك فانه ما أن لاح فى الأفق بوادر نهاية الحرب الجمهورية الملكية لصالح الخط الجمهورى الذى خاضه الشعب بصدق وطنى وتضحيات غير محدودة ، حتى كان أولئك المثقفون هم الضحية الأولى أو فدية الائتلاف بين المصالح الاقطاعية والبرجوازية والكمبرادور المشتركة بين الجانب الملكى والجمهورى على السواء ، والذين لم يكن يوجد بينهم تناقض حقيقى سوى فكرة الجمهورية كتسمية واطار سياسى ، واعادة توزيع الانصبة والمصالح المشتركة سياسيا واقتصاديا ، حيث قبل الجانب الملكى بالتنازل عن أسم الملكية والقبول بالنظام الجمهورى كأطار شكلى لنظام الدولة فى مقابل قبول الجانب الجمهورى بأعادة توزيع المصالح السياسية والاقتصادية بين الطرفين بصورة أكثر عدلا ، وكان التناقض الحقيقى الغير معلن هو بين هذه الفئات والطبقات معا وبين جماهير الشعب الكادحة وفئاته الوطنية التى ناضلت من أجل الثورة والجمهورية بمضمونهما السياسى والاجتماعى معا ، وليس مجرد الشكل ، وكان فى المقدمة المثقفون الوطنيون والتقدميون بالذات(١٠) ٠

---

(١٠) حمود العودى : المنظور العلمى للثقافة ، طبعة القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٢٢٤ الى ٢٢٨ -

ونستطيع القول بان انقلاب الخامس من نوفمبر الرجعى ١٩٦٧ قد شكل مفترق الطرق الحقيقى والصخرة التى تحطمت عليها آخر الهياكل المهشمة لسفن اغتراب المثقفين اليمنيين ليس بالنسبة للشـــطر الشمالى من الوطن فحسب ، بل وبالنسبة للشطر الجنوبى أيضا ، حيث وجـــد الخط الوطنى التقدمى فى تلك النكسة خير موعظة له فى كل تصرفاته المقبلة فى الجنوب ، كما أن نفس هذا الخط الوطنى التقدمى فى الشمال بكل أبعاده ومنطلقاته لم يكتشف أنه قد خسر بذلك أخر ورقة فى ممارسة لعبة التوازن المميته التى ظل يمارسها منذ قيام الثورة على مسرح الأحداث فحسب بل لقد اكتشف أن هذا المسرح نفسه قد قفلت أبوابه جميعا فى وجوههم سواء من شارك منهم فى القاء آخر تلك الأوراق الخاسرة التى صنعت الحدث نفسه أو من وقف يتفرج ويعد أوراقا أخرى ، وما عاد يطيق احتمال شقاوتهم وثرثراتهم القديمة الجديدة أو حتى وجودهم نفسه ٠

فعـــاد كل الى حيث بدأ وبدأ يتلمس طريقه وهويته الســـياسية والاجتماعية الصحيحة التى تنسجم وأصوله الطبقية أو طموحاته الشخصية أو موقفه السياسى والأيديولوجى الصـــادق وسط ظروف شديدة البؤس ومثقلة بالمرارة ٠

وهنا نستطيع أن نلاحظ ثلاث مسارات رئيسية قام مجموع المثقفون فى شمال الوطن بتوزيع أنفسهم عليها أصوليا بالدرجة الأولى واختياريا بالدرجة الثانية وهى : المسار الاقطاعى القديم ، والبرجوازى الكمبرادورى الجديد ، ثم المسار الوطنى التقدمى الناجز ، مع الاشارة الى القطـــاع الواسع ممن سحقتهم الأحداث والتطورات غير المتوقعة تلك وتأزمـوا سياسيا ونفسيا ، وذلـك على نحو ما سبقت اليه الاشـــارة من خـــلال الحديث عن الدلالات الاحصائية ومضامينها الاجتماعية والاقتصادية والطبقية المتعلقة بهذه الثلاثة أو الأربعة مسارات فى الفصل السابق والتى انتهى اليها المثقفون الوطنيين بصفة عامة ، والمعبرة عن حقيقتهم الذاتية والموضوعية والتى لا نجدنا بحاجة الى تكرار الحديث عن ذلك هنا مرة أخرى ٠

نتـائج وملاحظات عامة

ومن كل ما سبق نخلص الى مجموعة من الحقـــائق الأساسية عن المثقفين اليمنيين بصفة عامة نوجزها فى الآتى :

١ ــ ان المثقفـــين اليمنيين منـــذ بداية الخمسينات وحتى منتصف

الستينات - وهى مرحلة النشأة أيضا - قد تميزوا بالانفصال المشوه عن أصولهم الاجتماعية والطبقية ، واستسلموا بعمق للعواطف والمشاعر القومية المقرونة بالاتجاهات اللبرالية والوطنية الغامضة مكونين فيما بينهم فى ضوء كل ذلـــك ومن خلاله بعض الروابط الركيكة والمؤقتة والتى لا تستند الى أى بعد اجتماعى وطبقى محدد .

٢ - ان الفترة من بداية الستينات وحتى منتصفهـا تقريبا بما أنها قد شكلت أهم قفزة سريعة فى التكوين الكمى الحديث للمثقفين ، فقد كانت فى الوقت نفسه فترة التجريب العملى لكل المفاهيم والأفكار التى انبنى عليها تكوينهم وتشبعوا بها زمنـــا طويلا ، وبالرغم من أن مجمل تلك الممارسات التجريبية قد أدت بحكم طبيعتها الى نتائج سلبية بصفة عامة الا أنها لا تخلو من بعض الايجابيات غير المباشرة على الأقل .

٣ - ان الفترة ما بعد منتصف الستينات بقليل وحتى الآن هى المرحلة التى شكلت بحق مفترق الطرق التى انتهت عنـدها مجمل الأفكار القديمة ذات البعـد الواحد بالنسبة لهؤلاء المثقفين وبدأت منها المرحلة الجديدة ذات الأبعاد والانتمآت الطبقية المختلفة والمرتبطة بالواقـــع والمعبرة عنه تعبيرا طبقيا وعلميا صحيحا الى حد ما ، والذى ما يزال هذا التعبير يتضح ويتعمق أكثر فأكثر .

٤ - ان ظروف المثقفين فى شمال الوطن ومن وفد اليهم من الجنوب منذ بداية الستينات وحتى منتصفها كان أسعد حـالا وحظـا من الناحية الشكلية والنفسية على الأقل ، وأسوأ حظا بكثير من الناحية العملية ، حينما كانوا يعيشون زهو انتصار الثورة وانهاء الملكية وقيام الجمهورية ، بينما كان القطـــاع الآخر منهم فى جنـوب الوطن ومن انضم اليهم من الشمال يعيشون نفس الاحساس أيضـــا مع فارق جوهرى هو أن المعاناة الواقعية من خلال حرب التحرير ضد الاستعمار والاقطاع السلاطينى ، كتعبير ممتد للثورة فى الشمال ، والذى كان ما يزال فى بداية الطـريق ، حيث كانت تشكل تلك المعـــاناة ما يشبه صمام الأمان وفرملة الآلة الشديدة الحركة والانطلاق بالنسبة لمن هم فى الجنوب ، الأمر الـذى كان يفتقر اليه غيرهم ممن هم فى الشمال .

٥ - ان تلك المعـــاناة التى كونت تلك الفرملة القوية وصمام الأمان المؤكد عنـــد الاقتضاء قد مكنت قطاعا واســعا من المثقفين اليمنيين المقيمين فى الجنوب والمشاركين فى حرب التحرير مكنتهم من تحقيق رؤية أفضل

للواقع ومجرياته وأقنعتهم منذ أول لحظة تقريبا بضرورة النضال السياسى والعسكرى فى محورين لا محور واحد ، محور الاستعمار الأجنبى الوافد من الخارج ومحور الاقطاع السلاطينى والكمبرادورى فى الداخل باعتبارهما كل لا يتجزأ ، الأمر الذى افتقر اليه كلية المثقفون المقيمون فى الشمال فى صراعهم ضد الملكية والقوى الرجعية ٠

٦ - ان هذه المقدمات قد ظهرت نتائجها وثمارها بعد منتصف الستينات بشكل حاد حينما وجد الكل أنفسهم أمام مفترق الطرق عندما أثبتت طلائع حرب التحرير من المثقفين السياسيين الوطنيين فى الجنوب أنهم أكثر حنكة وتماسكا وقدرة على التقاط زمام المبادرة فى الأحداث والتطورات وانتزاع نتائجها السياسية والعسكرية فى صالح الخط الوطنى والتقدمى ومصلحة جماهير الشعب الذى ضحى معهم فى سبيل التحرر والنصر الوطنى ، والعكس صحيح بالنسبة للشمال حيث برزت مثل تلك العناصر وهى أقل حنكة وأكثر تمزقا وضعفا ، الأمر الذى أدى بطبيعة الحال الى تناسب شبه عكسى لكل نتائج وتطورات أحداث هذه المرحلة فى الشمال بالنسبة للجنوب منذ منتصف الستينات وحتى أوائل السبعينات ٠

٧ - ان الثورة فى الجنوب حينما تمكنت فى ضوء ما سبق من القضاء نهائيا على الطبقة الاقطاعية والسلاطينية والكمبرادورية ومصالحهما وضيقت الى حد كبير من النشوء البرجوازى المستغل فانها بذلك قد خدمت وساعدت قطاعا واسعا من المثقفين البرجوازيين الصغار على التزام الخط الوطنى والمشاركة فيه وحالت دون عودة معظمهم الى الارتباط بأصولهم الطبقية الاقطاعية والكمبرادورية القديمة بشكل ملحوظ بقضائها على تلك المصالح نفسها ٠

٨ - والعكس بالنسبة لما حدث فى الشمال حيث شكل انفراد الطبقة الاقطاعية بالسلطة بعد انقلاب الخامس من نوفمبر بالتحالف مع الكمبرادور والنشوء البرجوازى وحده بدلا من الائتلاف الوطنى الجمهورى ، شكل ظاهرة تهديد وترغيب بالنسبة لقطاعات واسعة من المثقفين ذوى الأصول الاقطاعية والبرجوازية ، تهديد بالمطاردة والتصفية والتشويه اذا استمروا فى اثارة القلاقل والمتاعب السياسية والاصرار على الممارسات « الشقية » ، والترغيب فى الأمن والأمان والحصول على امتيازات سياسية واقتصادية وشخصية كبيرة اذا ما عادوا الى أصولهم الاجتماعية والطبقية وتبنوا مصالحها والدفاع عنها باخلاص ، الأمر الذى لم ييسر للطبقات الاقطاعية والبرجوازية

امتصاص الغالبية العظمى من عناصرها المثقفة « أصوليا » فحسب ، بل وأتاح لها فرصة الحصـــول على نصيب وافر من المثقفين الـذين لا ينتمون اليها أصوليا من ذوى الأصـــول الفلاحية والعمـالية والاجتماعية الفقيرة ، الذين أغرتهم امتيازاتها فتبنوا مواقفها وفكرها ودافعوا عنها بشراسة منقطعة النظير فى أكثر من واقعة وأكثر من موقف حتى الآن ٠

٩ ـ ان الخط الذى استطاع الاحتفاظ بالسير فى الاتجـــاه الوطنى فى الشمال والذى يمثل مصـــالح قوى الشعب الكادحة والمنتجة وارادتها الوطنية والثورية الحقة قد عانا فى بداية هذه المرحلة عند منتصف الستينات وحتى بداية السبعينات ، عانا من الشلل والتمزق السياسى والنفسىوالمعنوى من هول ما جرى ويجرى ضده ومن حوله ، مما أفقده توازنه لبعض الوقت وأودى بالكثير من عناصره القوية والصلبة الى التأزم النفسى الشديد وســوء التكيف مع أنفسهم ومع مجريات الأحداث من حولهم تماما ، الا أن الجانب الآخر قد استطاع الصمود والتقاط الأنفاس والخطوات الأولى بصعوبة على الطـريق الصحيح الذى ما لبث أن اتسع وتطور بسرعة كما وكيفا ، وبدأ هذا الخط الذى يشكل البديل الشرعى والتاريخى للحاضر وصـاحب كل المستقبل ، بدأ يعد العد التصاعدى منذ بداية السبعينات وما يزال ، بدلا من العد التنازلى الذى ظل يمارسه منذ بداية الستينات بوعى منه أو بدونه ، وفى اتجاه شبه متوازى مع ما يحدث فى جنوب الوطن فى الوقت الحاضر ، وصولا الى نقطة تلاقى محـــددة ما تزال بعيـــدة عن متناول كلا الاتجاهين وما يزال عليهما مسئوليات وتضحيات جسام ليصلوا اليها معـا من أقرب الطرق وبأقل التكاليف وفى أسرع وقت ممكن ٠

والملحوظة الأخيرة التى نحرص على الاشارة اليها فى نهاية هذا الفصل هى أننا سوف نولى اهتماما خاصا فيما تبقى من صفحات هذا البحث لبحث وتحليل هذا الطراز من المثقفين التقدميين فى بلادنا بصفة خاصة وكل البلدان النامية والمتخلفة بصفة عامة،وهو الطراز الذى أصبحفى مقدورنا الآن أن نتخيله بوضوح من واقع كل التحليلات الســابقة فى هـــذا البحث وهم المثقفون الوطنيون والتقدميون ، طلائع وحلفاء الطبقات الثورية المناضلة ضد القهر والتخلف ، وصـــولا الى المزيد من تحليل طبيعة تركيبهم ودورهم الطبقى والتاريخى فى الوقت الحاضر وما يعترضهم من عوائق ومصاعب ، أو ينقصهم من الامكانيات الذاتية والموضوعية اللازمة لاستكمال قدرتهم على أداء مهمتهم الوطنية والتقدمية فى الحاضر والمستقبل ، اضافة الى تحليل كل الأبعـاد والمضامين التاريخية والجدلية لتحالف المثقفين الوطنيين ،الثوريين من جهة وطبقات العمال والفلاحين من جهة أخرى ٠